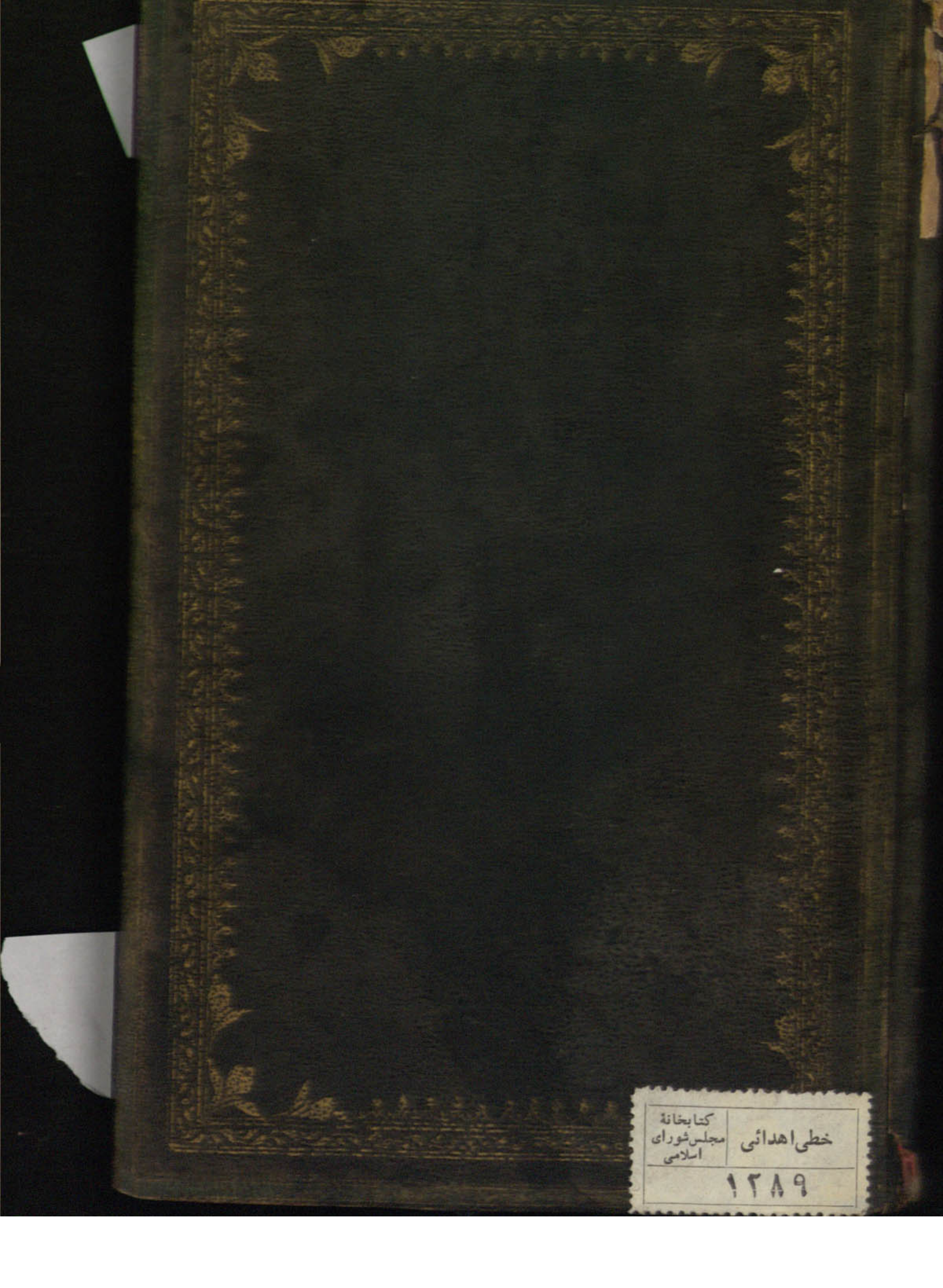

کتابخانهٔ
مجلس شورای
اسلامی
خطی اهدائی
۱۲۸۹



کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب شرح دعای صباح مفتاح الفلاح
مؤلف
جلد (۱۲۸۹) از کتب (خط) اهدائی
آقای سید محمد صادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب
۲۱۹۹۲
۴۲۷۶
خطی اهدائی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۱۲۸۹



کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب شرح دعای صباح مفتاح الفلاح
مؤلف محمد کریم حسن بن محمد رضا خواجوئی اصفهانی
جلد (۱۲۸۹) ۳ از کتب (خطی) اهدائی
آقای سید محمد صادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب
۳۱۹۹۱
۴۲۷۶
خطی اهدائی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۱۲۸۹
۱۲۸۹


ملک
۲۱ شوال
۱۳۳۳



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يا من اذهب الليل مظلما بقدرته وجاء بالنهار مبصرا برحمته ونصلي على اشرف بريتك محمد واله وعترته وخاصته على جميع بريته وواصف بريته وصاحب كريمته اخيه صاحب السيف والقلم معدن الجود والكرم اسد الله الغالب مظهر الغرائب والعجائب اشرف الانبياء والمرسلين ما خلا خاتم النبيين علي بن ابي طالب صلوة متجددة بتجدد الاصباح متكررة بتكرر الارواح وبعد يقول العبد الحقير الاثم مولاه الجليل محمد بن الحسن بن محمد رضا المشهور باسمعيل عفى الله عن جرائمه بمحمد واله وفاطمة هذا الدعاء الشريف الموسوم بدعاء الصباح الموصوف بمفتاح الفلاح ومصباح النجاح قد اشتهر نسبته الى جناب الحضرة المقدسة والساحة المطهرة نور الثقلين ومجمع البحرين ابي الحسنين امير المؤمنين وسيد الوصيين

سلام الله عليهم اجمعين حتى وان لم نجده بسند صحيح الى ذلك الجناب المستطاب لكن نقل بعض الاصحاب انه وجده باسانيد صحيحة وروايات صريحة متصلة اليه عليه السلام ومع قطع النظر عن ذلك فعباراته الشافية وكلماته الوافية ومضامينه العالية ونظمه الغريب واسلوبه العجيب ادل دليل واعدل شاهد على صدوره من ذلك المصدر الاعلى بناء على مصدرا ولهذا احسن من قال واصدق فان كلامه بلى والحق صلى الله عليه فوق كلام المخلوق دون كلام الخالق فلا اشتراك فيه ولا اشتباه بل حيثما كان كان ممتازا امتياز قائله عمن قال حيث بلغ بفصاحته العليا مبلغا لم يبلغه غيره واحد الا هو كما سماه بل بعينه تصدت مع قصور الباع واختلال الاوضاع ان اشير الى جملة ما في فقراته وعمدة ما في كلماته اجابة لالتماس من ينبغي اجابة التماسه وتسهيلا للدعاة ما في محل النيل فانه بحر عميق وكلام دقيق صدر من مصدر التحقيق وقد شاع ذاع في هذه الازمان قراءته في كثير من اهل الايمان وكاد ان يكون قراءة اعلاهم مجرد تحريك اللسان لعدم وقوفهم بمعانيه المقصود منه محتاجون الى البيان لكيلا يكون حالهم حال مصروع يتكلم ولم يخطر معناه بالجنان وبالله الاستعانة للصواب وعليه الثقة والتكلان

بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى الاسم الاعظم من سواد العين الى بياضه والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة رقة القلب وانعطاف يقتضي

التفضل والاحسان واذا وصف الله تعالى بها كان المراد بها
غايتها اى التفضل والاحسان لان الرقة من الكيفيات المزاجية
التابعة للتأثر والانفعال والله سبحانه منزه عنها وهو اما من باب
المجاز المرسل بذكر السبب وارادة المسبب اذ الرحمة والرأفة
سبب التفضل والاحسان واما على طريقة التمثيل بان شبه
حاله تعالى بالقياس الى المرحومين في ايصال الخير اليهم بحال الملك
اذا عطف على رعيته ورق لهم فاصابهم بمعروفه وانعامه فاستعير
الكلام الموضوع للهيئة الثانية للاولى من غير ان يتجوز في شيء
من مفرداته وعلى ذلك فقس سائر الصفات التى لا يصح اضافة
تعالى بها سواء كانت انفعالات كالرحمة والحياء والغضب اولا
كالاستهزاء والمكر والخداع ونحوها قيل ان صفات الله تعالى التى
على صيغة المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة
فيها فان المبالغة يكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان و
صفات الله تعالى منزهة عن ذلك وقيل ان صيغ المبالغة قسمان قسم
يحصل فيه المبالغة بحسب زيادة الفعل والثاني بحسب تعدد المفعول
ولا شك ان تعددها لا يوجب للفعل زيادة اذ الفعل الواحد قد يقع
على جماعة وعلى هذا تنزل صفاته تعالى ويرتفع الاشكال هذا و
ورد في بعض الروايات ان الرحمن العاطف على خلقه بالرزق لا يقطع
عنهم مواد رزقه وان انقطعوا عن طاعته والرحيم بعباده المؤمنين
في تخفيفه عليهم طاعته وبعباده الكافرين في دعائهم الى موافقته
والرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة

والرحمن

والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة المبانى على زيادة المعانى فعند اعتبار
الابلغية فيه باعتبار الكمية نظرا الى كثرة افراد المرحومين يقال يا رحمن
الدنيا ورحيم الآخرة لشمول رحمة الدنيا للمؤمن والكافر واختصاص رحمة
الآخرة بالمؤمن وعند اعتبار الابلغية فيه باعتبار الكيفية وهي جلالة
الرحمة ودقتها بالنسبة الى مجموع كل من الرحمتين يقال يا رحمن الدنيا
والآخرة ورحيم الدنيا لجلالة رحمة الآخرة باسرها بخلاف رحمة الدنيا و
باعتبار نسبة بعض افراد كل من رحمة الدنيا والآخرة الى بعض يقال يا
رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما لان بعضا من كل منهما اجل من بعض
وبعضا من كل منهما ادق وقد ورد كل ذلك في الادعية المأثورة عنهم
عليهم السلام يا من دلع لسان الصباح بنطق تبلجه توجد في بعض النسخ
اللهم يا من دلع فيكون عطف بيان جيء به للمدح كما يجيء الصفة
لذلك لا للايضاح فان الله على الاصح علم للذات الواجب الوجود الخالق
لكل شيء فلا ابهام ولا اشتراك ليحتاج الى ايضاح واحتمال البدلية
لذلك غير جيد والتأكيد غير مناسب مقدمة صفة الذات ما يكون الذات
بذاته كافية في تحققه والاتصاف به لانه اما عين الذات كما هو الحق او
لازمة على القول بالزيادة بخلاف صفة الفعل اذ الذات بذاته غير كاف
في تحققها والاتصاف بها بل هو باعتبار كونه مبدأ الفعل من الافعال
يكون منشأ لتحققها والاتصاف بها والفرق بينهما من وجوه فان صفات
الذات واجبة قديمة غير مقدورة لا يمكن الاتصاف بها ونفيها بلا
بخلاف صفات الفعل فانها ممكنة حادثة مقدورة يمكن الاتصاف بها
ونفيها بلا ها والضابطان كل شيئين متضادين وصف الله تعالى باحدهما

وهما في الوجود فهما من صفات الفعل كالعفو والانتقام والرضا
والسخط فانه يقال عفى عمن تاب وانتقم عمن اصرّ ورضي عمن اطاعه
وسخط على من عصاه وصفات الذات لا يجوز وصفه تعالى بها و[illegible]
فلا يجوز ان يقال هو عالم وجاهل او قادر وعاجز وبالجملة كل صفة توجد
فيه سبحانه دون نقيضها فهي من الصفات الذاتية وكل صفة توجد
فيه ونقيضها فهي من الصفات الفعلية والمراد بصفات الجلال السلبية
وبصفات الجمال الثبوتية والمراد بالاول صفات الغضب كالقهارية
وبالاخر صفات الرحمة كالغفارية والرزاقية وبعد تقديم هذه الجملة
اقول لما كان من شرائط اجابة الدعاء تقديم المدحة لله والثناء عليه
قبل المسئلة كما ورد في الخبر اذا طلب احدكم الحاجة فليثن على ربه وليمدحه
فان الرجل منكم اذا طلب الحاجة من السلطان هيّأ له من الكلام احسن
ما يقدر عليه ومن في كتاب صاحب الدعاء امير المؤمنين سلام الله عليه
ان المدحة قبل المسئلة ذكر عليه السلام قبل ان يطلب منه تعالى
حوائجه صفات عديدة ذاتية وفعلية جمالية وجلالية تدل على
مدحه وثنائه تعالى مع رعاية مناسبة تلك الصفات لتلك الحاجات
فضاهى حق العبادة وجرى في مقام الفصاحة والبلاغة وهو الذي قد
بلغ في الفصاحة غايتها وتجاوز في البلاغة نهايتها وقد قيل اذا اراد
العبد ان يستجاب له فليدع بما يناسبه من اسمائه الحسنى والامثال
العليا وجعل تلك الصفات المادحة جملة فعلية دالة على
الدوام والثبات ايماء الى ان التجدد اولى بالاعتبار في المقام من الثبات و
الدوام لدلالته على ان تلك الآثار المتجددة وهذه الافعال الغريبة متجددة

شيئا فشيئا ومتصرمة فآنا فآنا فلا تخلو لحظة من انعام جديد ونعم مزيد بلا
غب مزيد ثم لما كانت الافلاك مرتفعة عنها الجنوح على ما دل عليه بعض
الاخبار وصرح به بعض الاخبار مدعيا عليه اجماع المسلمين وكانت من
ومتخوف لله تعالى والملائكة الموكلون بتحريكها مطيعين لله امره لا يعصونه
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وصح اسناد الدلع والتبرج وما شاكل
اليه تعالى وتوصيفه بها والا ففي الحقيقة هذان الفعلان المنسوبة
الى الافلاك والمنسوبة من تحركها ومن خويبات بركاتها فالاسناد مجاز
عقلي من حيث انه سبب امر كقولهم بنى الامير المدينة وقطع الامير اللص
قال سيدنا المرتضى علم الهدى قدس سره في بعض مسائله لا خلاف بين
المسلمين في ارتفاع عن الفلك وما اشتمل عليه من الكواكب وانها
مدبرة منصرفة وذلك معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه وآله
ضرورة انتهى وذكر نحو ذلك في ملحقات الغرر والدرر قيل وللبحث في
دعوى الاجماع والعلم بذلك من الشريعة مجال اقول لا مجال له وكثير من
الاخبار الصحيحة والموثقة وغيرهما المذكورة في الغيبة وغيرها صريحة
فيما ادعاه السيد وقد ذكرنا نبذة منها في بعض رسائلنا مع ايمائنا
الى انها غير قابلة للتصرف والتاويل فليطلب من هناك وكذا الامر لو نبني على
قانون الفلاسفة وقيل ان الافلاك باجمعها حية مطيعة لمبدعها وغرضها
من حركاتها التشبه بجنابه والتقرب اليه جل شانه فان افعالها كانت
مضمحلة في فعله تعالى وارادتها مستهلكة في ارادته فجاز وصفه بذلك
كما مرّ لما مرّ ويقال انه اشار الى مقام توحيد الافعال بان لا مؤثر في الوجود
الا الله كما ذهب اليه قوم منهم الحكماء القائلون بان الله تعالى هو الفاعل

لجميع الممكنات وان ما عداه بمنزلة الشرائط والالات كافهمه من كلام بعض المتاخرين والفضل للسابق كما ان القصور في المتاخر هذا واتركلنه يا من من بين حروف النداء الموضوعة للنداء البعيد على ما نقل عن الزمخشري وابن هشام مع انه سبحانه اقرب اليه من حبل الوريد هضما لنفسه واستقصارا لها عن مظان الزلفى رعاية لقانون الادب الذي هو دأب السالكين وطريقة العاشقين فان طرق العشق كلها اداب او تعظيما وتبعيدا للحضرة المقدسة والساحة المطهرة عن قرب الداعي المكدر بالكدورات البشرية والمنغمس بالانغماسات الهيولانية او تنبيها على شدة حرصه ووفور رغبته على الاجابة كانه امر بعيد على ما ذهب اليه الشيخ ابن الحاجب من انها لم تقرب والبعيد لانها لطلب الاقبال مطلقا فلعل الوجه في ايثارها ان ما عداها يقتضي قرب المكان او بعده بخلافها فانها لا يقتضي شيئا منهما وفيه ان التعميم لا يجدي ذلك غاية الامر انها جنس منحصر في النوعين فلا بد من وجوده في ضمن احدهما فالحق انها موضوعة للنداء البعيد وقد ينادى بها القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته او لغفلته او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهذا ايضا يصلح ان يكون وجها اخر لايثارها هنا ابن المنير واصلها صوت هتف به لمن كان بعيدا منك ثم استعمل في كل نداء وان قرب المنادى كانك تقدر المخاطب ساهيا عنك وكفى بالغفلة بعدا فتوقظه بذلك الصوت من سنة السهو ثم توذنه بخطابك وانكان متيقظا بان الامر الذي يعلمه مهم عندك وكانه في غفلة عنه فتزيده يقظة الى يقظة بالتصويت ثم قال فان قلت كيف استعمل هذا الحرف في الدعاء وقد علم ان الله تعالى لا يجوز عليه السهو ولا الغفلة ولا البعد فانه اقرب الى الداعي من حبل الوريد قلت استقر لها بالاتساع

صارت

صارت موذنة باهتمام المتكلم بالمقصود الذي يلي بعدها اعم من كون المنادى غافلا او حاضرا او اظهارا للاهتمام بالحاجة من قبيل الضراعة والحاح المطلوب في الدعاء وقال الزمخشري في قول الداعي في جؤاره يا رب ويا الله مع كونه اقرب اليه من حبل الوريد استقصار منه واستبعاد لها عن مظان الزلفى وهو اقتضاعى لان الداعي يقول في دعائه يا قريبا غير بعيد وربما قال يا من هو اقرب الي من حبل الوريد فاين هذا من الاستقصاء ومقام البعد انتهى كلام ابن المنير ويجيب عنه بان هذا الكلام من الداعي غير مناف لاستقصاره ومقام البعد لا يبعد منه لان المراد استقصار نفسه واستبعادها عما يقربه الى رضوان الله انتهى ولعل المراد بذاته تعالى اقباله وتوجهه بوجهه او بقلبه على ما يزعمه المجسمة والمشبهة ومن يحذو حذوهم تعالى عن ذلك بل المراد بكونه مطلوبا الاقبال كونه مسؤول الاجابة او الاقبال عما كانه عن الاعتناء لان من اعتنى بامر واكرمه التفت اليه واقبل بوجهه عليه فلا حاجة الى القول بان نداءه تعالى مجاز لتشبيهه بما له صلوح النداء اذ القول بانه غير صالح للنداء بعيد مع ان القول بالتشبيه ايضا غير مناسب والموصول من بين المعارف لكون من اجزاء تلك الصفات عليه فيكون ادل على غرضه المسوق له الكلام لانه تعالى لما كان قادرا على تلك الافاعيل العجيبة والاثار الغريبة كان قادرا على انجاح ما رتبه واسعاف مطالبه التي تسبب عن ذلك او لتجربه الى انه مدعو ومناداه انما يمكن ان يعرف بواسطة تلك الصفات والصلات على ما هو وضع الموصول او لتنبيه على ان تلك الصلات والصفات معلومة الانتساب اليه فلا يذهب منها وهم الى غيره اذ العلم بمضمونها ونسبتها اليه فطري بديهي حاصل لكل احد من الموحدين والمشركين والمعترفين والمنكرين ولذا

ما قال خليل الرحمن ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب لم يمكنه
معارضته ومعارضته ويجادله لعلمه بان القادر على ذلك ليس الا هو
ولذلك سكت وبهت كما اخبر الله سبحانه عنه بقوله فبهت الذي كفر واوفى
بان الباعث له على دعائه بما هو اتصافه بتلك الصفات والصلاة وقوله
دلع هو التفات من الخطاب الى الغيبة والخطاب للايضاح بعد الابهام تفخيما
لشأن المبهم وتعظيما له والدلع الاخراج ومنه انه كان يدلع لسانه للحسن اي
يخرجه حتى يرى حمرته فيهش اليه يقال دلع وادلع ومنه الحديث ان امرأة
رأت كلبا في يوم حار فادلع لسانه من العطش ومنه يبعث شاهد الزور
يوم القيامة مدلعا لسانه في النار وفي القاموس دلع لسانه كمنع اخرجه
كادلعه فدلع كمنع ونصر دلعا ودلوعا وانما عبر عن ظهور ضوء الصبح و
مباشرته وابتدائه بدلع لسانه لانه انصداع ظلمته عن نور ولهذا اتى با
بالصديع وكأن الافق كان بحرا مملوا من الظلمة ثم انه تعالى شق ذلك البحر
المظلم بان اجرى فيه جدولا من النور ويعبان اخرى انشقاق ظلمة بظهور
الصبح المستطير وهو اثر ضوء للصبح يرى كانه جدول ماء صاف يسيل في بحر
كدر بحيث لا يتكدر الصافي بالكدر ولا يختلط الكدر بالصافي فذلك الجدول المعترض
عنه بلسان الصباح وقد يقال له عمود الفجر والمراد انه تعالى شق الظلمة
فانشقت عن ضوء يستضيء به ما كان كدا في نفسه كثيفا في جوهره كالارض
ولجزائها المتصلة والمنفصلة واللسان في الاصل معناه الفصاحة ومنه
اللسن اي الفصيح وانما يمس تلك الحاجة به لان بها الة لافصاح المعاني وايضا
واضافته الى الصباح اضافة اللجين الى الماء في قوله والريح تعبث بالغصون وقد
جرى ذهب الاصيل على لجين الماء حيث قدم المشبه به على المشبه

اضيف اليه اي اصيل كالذهب على ماء كاللجين وكذا الكلام في تطوق بلجة ظلما
سبائي وعلى هذا فليس في الكلام استعارة بل فيه تشبيهات فقط ويحتمل ان
يكون الاضافة فيه لامية كما سنشير اليه ان شاء الله العزيز وبما قررناه
ظهر ان لا حاجة الى القول بالتجريد بان الدلع عبارة عن اخراج اللسان من
الفم فهو على طريقة ينفك الدماء وسبحان الذي اسرى وفي لسان الصباح
براعة استهلال لان هذا الدعاء لما كان موضوعا لان يطلبه الداعي حين صباح
فذكره في مقام الوصف والثناء براعة بارعة لا يخفى والصباح اول النهار
جاء صباحه وهو الفجر ومثله الصبح وقد يطلق على منتصف الليل الى آخر
الزوال كما نقله ابن الجوزي عن العرب وفي الجمع اصباح والمراد به هنا اول
النهار وهو ضوء الشمس يظهر في جانب المشرق قبل طلوعها لانها اذا قربت
من الافق الشرقي مال مخروط ظل الارض عن سمت الرأس وقربت الاجزاء
المضيئة في حواشي الظل من البصر وفيه ادنى خفوق فيدركه البصر وكلما
ازدادت الشمس قربا من الافق ازداد ضوءها بانت الظل قربا من البصر الى
ان يطلع الشمس ومظهره اما كرة البخار القابل للظلمة والنور او ما يقارب
الافق من الاجزاء البخارية المختلطة بالهواء القابلة للضوء بكونها
في الجملة فيتحقق شرط التكيف بالضوء والكلام فيه وفيما فيه
من موضع اخر ثم الظاهر ان المراد بالصباح هنا الفجر المستطير المسمى بالصادق
لان الاطلاق منصرف اليه لكونه متبادرا الى الذهن لا المستطيل المسمى
بالكاذب وان كان كل منهما يطلق عليه الصباح كما ورد في الخبر لا يغرنكم الفجر
المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير ولان الصادق والكاذب
من الصباح وان كان لكل منهما لسان مدلع ونطق والاول يتصور منهما

صدق ولا كذب الا ان التبلج والاشراق مما يلائم الصدق بل هو نفسه لان
الضوء عند عروض الصباح يظهر مستدقا مستطيلا كالعمود
تشبيه بذنب السرحان لدقته واستطالته ويبقى وجه الارض على ظلامه
بظلمتها ثم يزداد الضوء الى ان يختلط طولا وعرضا وينبسط في عرض الافق كنصف
دائرة وهذا اول التبلج والاسفار فتأمل ونطق ينطق من باب ضرب يضرب تكلم
بصوت وحروف تعرف بها المعاني ويقال نطق اللسان كما يقال نطق الرجل
والنطق يطلق على الظاهري الذي هو اللفظ والباطني الذي هو ادراك الكليات
وعلى القوة التي هي مصدر ذلك الفعل ومظهر هذا الانفعال اعني الناطقة
والمراد هنا الاول على وجه الاستعارة والباء فيه اما بائية او
الية او سببية واضافته الى التبلج اضافة الذهب الى الاصيل حيث شبه
التبلج الذي هو السبب لكشف السر بالنطق الذي هو السبب لظهور ما في
الضمير ثم قدم عليه واضيف اليه وكما ان النطق اللازم للسان المتكلم
فكذا التبلج اللازم للسان الصباح او لامته او فيه بيانيه وفي تبلجه لا
والضمير فيه يعود الى الصباح والتبلج الاشراق والاضاءة يقال بلج الصبح و
بلج اذا اشرق واضاء واسفر والبلجة بالفتح والضم ضوء الصبح وفي الحديث
ليلة القدر بلجة اي مشرقة ومنه ما نقل عن السيد الحميري في رد الشمس على
صاحب الدعاء عليه السلام ردت عليه الشمس لما فاته وقت الصلوة
وقد قربت للمغرب حتى تبلج نورها في وقتها للعصر ثم هوت هوي الكوكب
وقد عرفت ما في الكلام من التشبيه ولك ان تقول تشبيه الصباح في النفس
بالشخص المتكلم الجامع للاظهار والكشف اذ الصبا كاشف السر كما ان المتكلم كاشف ما في
الضمير استعارة بالكناية واثبات اللسان له تخييل وهذا الاستعارة في نفسه

للاستعارة الاولى كالاظفار للمنية في قوله واذا المنية انشبت اظفارها لان
المكنية والتخييلية على مذهب صاحب الايضاح ومن يرى رايه متلازمان
لا يتحقق احدهما بدون الاخرى اذ التخييلية على هذا المذهب يجب ان تكون
قرينة المكنية كما انها يجب ان تكون قرينة التخييلية الكنية والنطق اما
ترشيح او تخييل وقع تبع استعارة بعينه او هو محمول على حقيقته
وانما قلنا على هذا المذهب لان صاحب الكشاف والمحققين من شراح كلامه
يقولون ان المكنية قد توجد بدون التخييلية قد توجد بدون التخييلية
وان قرينتها قد تكون تحقيقية تصريحية كاستعارة النقض لابطال
العهد في قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه حيث
استعار الحبل للعهد فهي مكنية ونبه عليها بذكر النقض الذي
هو ابطال تأليف الحبل وهي استعارة تحقيقية تصريحية حيث شبه
ابطال العهد به واطلق اسم المشبه به على المشبه وهذا معنى
قوله في الكشاف شاع استعمال النقض في ابطال العهد من حيث
تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من اثبات
الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول
الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله عز وجل
اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها
ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا
بتلك الرمزة على مكانه ونحو قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه
الناس لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع بانه اسد وعلى العالم بانه بحر انتهى
كلامه قال العلامة التفتازاني استفدنا منه ان قرينة الاستعارة

بالكناية لا يجب ان تكون استعارة تخييلية بل قد يكون تحقيقية وقال
صاحب الكشاف ذلك كلامه من غير تكلف على الشرائط المولى به فقد يكون
ما لا يستعمل والغرض منه ما الشبه فقط كما في مخالب المنية وقد يكون
ما استعمل وان تفرع على الاول كالنقض والاغراق للابطال والاشعار
ونحن في ذلك تابع ما نشتهي فههنا يصح ان يقال استعار الكنا اللجم
المتكلم وهي مكنية ونبه على يذكر اللسان الذي هو آلة الافصاح والاعلام
وهي استعارة تصريحية حيث شبه ايضاح الصباح واظهاره الاشياء
كما ينبغي باللسان ثم اطلقوا اسم المشبه به على المشبه ومنها حاصل
المعنى انه ادعوا وانادي الذي لجلج لسان الصباح بان جعله مشرقا
مضيئا للعالم معربا لما فيه من الاشياء كالنطق الذي هو معرب
لذات الصدور وما اظهار نوره واغراض ضوئه فالصباح ضوء الصباح
انما هو من ضياء الشمس قطعا وبيان ذلك على ما حرره ارباب الهيئة
ان المستضيء بالشمس من الارض اكثر من نصفها دائما لانها اعظم منها
ومتى استضاءت كرة صغرى من كرة عظمى كان المستضيء من الصغرى
اكثر من نصفها والمظلم اقل ويكون ظلها مخروطا فظل الارض على هيئة
مخروط يلازم رأسه مدار الشمس وينتهي في فلك الزهرة كما علم بالحساب
والنهار مدة كون المخروط تحت الافق والليل مدة كونه فوقه فاذا
ازداد قرب الشمس من شرقي الافق ازداد ميل المخروط الى غربيه ولا يزال كذلك
حتى يرى الشعاع المحيط به واول ما يرى منه هو الاقرب الى موضع الناظر
لانه اصدق رؤية وهو موضع خط يخرج من بصره عمودا على الخط الواصل
للشمس والارض فيرى الضوء مرتفعا عن الافق مستطيلا وما بينه وبين

الافق مظلما لقربه من قاعدة المخروط الموجب لبعد الضوء هناك عن
الناظر وهو الصبح الكاذب ثم اذا قرب الشمس جدا يرى الضوء معترضا
منبسطا وهو الصبح الصادق ومنهم من قال انما سمي الاول كاذبا لانه يعقب
بالظلمة بناء على فناء ضوئه وزواله خلاف الثاني وقيل ان الضوء لا ينعدم
بل يختفي الضوء الثاني عليه لغلبته كما ان ضوء المصباح يختفي في ضوء الصباح
هذا وهذا الانباء كونه تعالى خالقه كما ان وجود النهار بطلوع الشمس لا ينافي
كونه تعالى خالقه والفجر الذي اراد ان ذلك يعد من الفاعل المختار ومعنى
كون الصبح بضوء الشمس بدلا بل اخترعها وكلها خلاف المعقول والمنقول
من علم الرياضي وكانت ساقطة عن درجة الاعتبار رواية عند اولي الالباب
تذنيب للصبحين علامة شرعية يعرفان بها قال سيدنا الصادق صلوات
الله عليه وقت الغداة اذا اعترض الفجر فاضاء حسنا فاما الفجر الذي
يشبه ذنب السرحان فذاك الفجر الكاذب والفجر الصادق هو
المعترض كالقباطي في القاموس القبط بالكسر اهل مصر
والنهم ينسب الثياب القبطية بالضم على غير قياس والجمع
قباطي وقال المعصوم عليه صلوات الله الملك الاكبر الفجر
هو الذي اذا رأيته كان معترضا كأنه بياض نهر سوراء
في القاموس سوراء كطوبى موضع بالعراق وهو من بلد السريانيين
وموضع من اعمال بغداد وقد يمد وسرح
قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه معطوفة على قوله دلع
وما فيه من رعاية محسنات الوصل بعد تحقق مجوزاته غير
خفي اما الاول فلتناسبهما في الفعلية والفعليتين في الماضوية

واما التابعة فلاتحاد المسند اليه والمناسبة الظاهرة بين المسندات و
وسرح الماشية اسامتها يقال سرحت الماشية اى رعيتها و
وارسلتها للرعي وسرحتها بالتشديد مبالغة وتكثير والمراد بالسرح
هنا التخلية وعدم المنع كما يسرح الماشية في المرعى وهو ابتغاء
بعثه او تمكينه كما يشاء وتسريح المرأة تطليقها وفيه فامساك بمعروف
او تسريح باحسان وفيه ايماء لطيف الى ان تلك القطع معطلة بعضها المرتبة
في ذهابها وايابها وطلوعها وافولها مؤتمرة باوامره فاذا امر الملك الموكل
بتحريك الفلك ان يحرك حركة الى ان ينقضي تلك القطع تجدد امرها وبذلك
يدلع لسان الصباح ولو امره بتسكينه سكنه فيبقى سكان العالم على
ظلامه قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله
غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون والقطع جمع قطعة وفي الارض قطع متجاورات
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما والليل هو الزمان الذي
يقع ما بين غروب الشمس وطلوعها عند اهل اللغة وما بين غروبها وطلوع
الفجر الصادق عند اهل الشرع وقد سبق انه عبارة عن مدة كون محيط
الارض فوق الافق وبعبارة اخرى اذا كان مركز الشمس تحت الافق الحقيقي فهو
زمان الليل والعامة يعبرون عنه بجهة ضوءها فاذا كان جرم الشمس بجملته
غائبا عن النظر لا لمانع كان زمان الليل وقد عرف المتشرعة ابتداء الليل
عند اهل السنة من زمان تجاوز جرم الشمس بتمامها الافق وعند الامامية
على المشهور من زوال الحمرة المشرقية وظهور الظلمة في ذلك الجانب
وقيل علامة انتشار القرص ولا عبرة بالحمرة وفيهما كلام يطلب من كتب
الفروع وانتهاؤه بالاتفاق عند طلوع الصبح ولما كان الليل عبارة

عن الزمان

عن الزمان المذكور وكان الزمان من الكميات المتصلة القابلة للقسمة
بل لها كانت له اجزاء وقطع والظاهر ان المراد بقطعه ساعاته واناته و
دقائقه وثوانيه وثوالثه وروابعه الى غير ذلك من المقادير المذكورة
في كتبهم فانهم قسموا اليوم بليلته على اربعة وعشرين قسما متساوية
وسموا كل قسم ساعة وقسموا كل ساعة بستين قسما وسموا كل قسم
دقيقة وسموا الساعات المذكورة مستويات لتساويها في المقدار
ابدا طال كل من الليل والنهار ام قصر لكنها يختلف في العدد بحسب
طول كل منهما وقصره وقد يقسمون كل يوم وكل ليلة باثني عشر قسما
مستوية ويسمونها الساعات الزمانيات والمعوجة لعدم تساويها
في المقدار وان استوت في العدد فان مقدار كل ساعات يزيد وينقص
بحسب كل من الليل والنهار وقصره لكنها لا يختلف في العدد فهي
عكس المستويات فهذه الدقائق والساعات هي المراد هنا بالقطع ايضا
والمراد بها طلوع قطعة قطعة من القوس التي بين نقطتي المشرق
والمغرب تحت الارض من دائرة مدار الشمس اعني طلوع قوس الليل
شيئا فشيئا وافولها كذلك والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان
تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وغياهب
اللجلجة نظر بطون بلجة والغيهب الظلمة والشديد السواد من الخيل
والليل يقال فرس ادهم غيهب اذا اشتد سواده وليل غيهب مظلم
والجمع غياهب ومنه قيل ارقب الكواكب وارمق الغيهب واللجلجة
والتلجلج التردد في الكلام فهو صفة المتكلم اذا ثقل كلامه فلم يقدر
على تقرير مرامه وتحرير كلامه اما للدهشة او خشية او ما شاكل

ذلك وقيل قولهم المنكر ما يصدر عن الكافر من التلجلج عند سؤال الملكين وفي المجم
في المثل السائر الحق ابلج والباطل لجلج اي الحق ظاهر والباطل متردد فيه وفي ب
منه الحديث المشهور خذ الحكمة اني كانت فان الحكمة في صدر المنافق تلجلج في
صدره حتى تخرج فتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن فشبه ظلمة الليل
بقطع الماشية استعارة مكنية واثبات التلجلج لها تخييل او ترشيح وفي
شرح باعتبار المعتبر الفاعل استعارة تبعية اذ الغرض منه تمثيل حاله تعالى
في ارساله واذهابه ظلمة الليل شيئا فشيئا بحال الراعي في تدريجه قطيع
الماشية مكانا فمكانا الا انه لم يصرح في جانب المشبه به بما بازاء المشبه
من الالفاظ الا بكلمة شرح فان مدلولها هو العلة وهذه الهيئة وما تعلق
تبع بالحظ في ضمن الالفاظ منوية فلا يكون شرح استعارة ويمكن جعله
من قبيل التمثيل المفرد بان شبه ذاته تعالى عن ذلك بالراعي و
شبه ظلمة الليل بقطيع الغنم وارساله اياها بتدريجه اياها الى غير ذلك
من الاعتبارات ولعل الاول اولى بالاعتبار عند اولي الابصار وانما
اضاف التلجلج اليه تعالى باعتبار ان الاشياء الواقعة فيه لا يمكن
تشخيصها ولا تمييزها كما ان من له التلجلج لا يمكن تمييز كلامه وفهم مرامه
فالليل كالحيوان الصامت والانسان الابكم في انه لا يمكن ان يفهم غرضه
من صوته واضافة الغياهب الى التلجلج اضافة المشبه الى المشبه به
او العكس والباء فيه للملابسة والمراد انه دعي من ذهب ظلمته ملابسا
في حال تلبسها بالظلمات المشبهات بالتلجلج ثم نكتة تقديم الجملة
الاولى على الثانية والنظم الطبيعي يقتضي العكس اما للاهتمام بشأن
الصباح وغاياته او للاشعار بتقديم النور على الظلمة والقول بان

الظلمة

الظلمة هي الاصل والنور طار عليها اثرها ثم الاستدلال عليه بقوله
تعالى اولم يروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اي كانتا
ففتقهما الله باظهار النور فيهما اذ لا يكون مع الرتق الا الظلام فهو
سابق على النور وبما قد ثبت ان الغيبة لا تقوم الا بها فدل على ان الليلة
النوم سابقة على نهارها اذ كل يوم له ليلة فكان الليل قبل النهار ويدفعه
قول الرضا عليه السلام ان طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها
زحل في الميزان والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور
فذلك يدل على ان كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط
السماء فالنهار خلق قبل الليل انتهى او للايماء الى انها وجودي و
الظلمة عدمية اذ هي عدم النور عما من شانه ان يصير مستنيرا والملكات
اصل بالنسبة الى الاعدام قال صاحب الكشاف الظلمة عبارة عن عدم
النور هذا هو المطابق للغة وعليه المحققون وزيادة عما من شانه النور
غير مسموعة انتهى قال التفتازاني اذا الجو عدم النور على
الاطلاق فه كان بين النور والظلمة تقابل الايجاب والسلب وان زيد عما من
شانه فبينهما تقابل الملكة والعدم وعند بعض المتكلمين هي عرض ينافي
النور فبينهما تقابل التضاد انتهى وهي على هذا وجودية وعلى الاولين
عدمية والمناقشة بان الظلمة مرئية ولا شيء من الاعدام كذلك فانها
اذ لا تجد فرقا بين اغماض العين في الظلمة الشديدة وفتحهما كما يشهد له
التجربة واتقن صنع الفلك الدائر في مقادير تبرجه اتقن الامر
احكمه والمراد انه جعله محكما قوي الخلق ثابتا لا يتهدم من حيث الكل
ولا يتوزع بمرور الازمان وتعاقب الدهور وكم سبعا شدادا وجعلنا السماء

سقفا محفوظا او الصنع بالضم مصدر صنع الله معروفا وصنع به صنيعا
قبيحا اي فعله كذا قال الجوهري في الصحاح وتبعه صاحب القاموس وقال
صنع الله معروفا كمنع صنعا بالضم فعله والشيء عمله وقال الراغب
الصنع اجادة الفعل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا قال الله تعالى
صنع الله الذي اتقن كل شيء انتهى والفرق بين صنع الشيء وخلقه
ان الصنع عبارة عن اخراجه من العدم الى الوجود والخلق عبارة عن
تقديره على مقتضى الحكمة لتخرجه الى الوجود لان كل ما يخرج من العدم
الى الوجود مفتقر الى تقديره اولا والى ايجاده على وفق التقدير ثانيا
والى تصويره بعد الايجاد ثالثا وهذا كالبناء المحتاج الى تقدير
ما لا بد منه في وجوده من الخشب واللبن ومساحة الارض وعدد
الابنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه المهندس ثم يحتاج الى البناء بنفس
يتولى الاعمال التي عندها تحدث اصول الابنية ثم الى المزين
ظاهره ويزين صورته فهذا في غير افعال الله تعالى واما في افعاله فان ذاته
بذاته هو الخالق والصانع والمصور من حيث ترتيبه صور المصنوعات
احسن الترتيب المشاهد هذا واضافة الصنع الى الفلك اضافة الخلق
الى اللطيفة والاخلاق الى الثياب لان الفلك المصنوع المخلوق والفلك
بفتحتين مدار النجوم سمي بذلك تشبيها له بفلكة الدولاب والمغزل
في الحاشية لحاشية الدوراني قال ابو ريحان ان العرب والفرس سلكوا
في تسمية السماء مسلكا واحدا والعرب تسمى فلكا تشبيها له بفلكة
الدولاب على محور وطاحن والفرس تسمى اسمان تشبيها له بالرحى
مكان بلغتهم الرحى ومان دال على التشبيه اقول فكما ان فلكة الدولاب

الجنين يحتاج في وجوده ودورانه الى موجد يوجده ومدبر يدبره ومكمل
يكمله كذلك هذا الدولاب الشريف الاعظم المصنوع بحكمة يقصر فيها ادراك
البشر يحتاج الى موجد يوجده ومدبر يدبره ومقدر يقدره هذا الدوران الدائم
بهذا التقدير والوزن فهو اتم دليل على وجود صانعه وقدرته وعلمه
وحكمته اذ الضرورة قاضية بان فاعل هذه الامور المشتملة على لطائف
الصنع وبدائع النظم والترتيب عالم لطيف خبير والمراد بالفلك جنسه او
الالف واللام فيه للاستغراق فيشمل الافلاك الكلية والجزئية
باسرها والدوار من ابنية المبالغة من دار يدور اذا طاف حول الشيء واذا
عاد الى الموضع الذي ابتدا منه والعرب قد تنسب مثال من كرر الفعل على
فعال فقالوا للكثير السوال سآل والاسناد حقيقي في اللغة والعرف
هو ما يكون من حق الاسناد ان يسند اليه سواء كان فاعلا حقيقيا
او علة قابلية فان اهل العرف يسندون الافعال الى تلك الاسباب ولا
يلاحظون فيها التدقيقات الكلامية فاسناد الدوران اليه لا ينافي ما
ورد ان الله وكل بالفلك ملكا معه سبعون الف ملك فهم يديرونه
فاذا ادار دارت الشمس والقمر والنجوم معه ومخالفته لقوانين
الفلاسفة غير مضر لانها نظريات لم تثبت ببرهان فالقول بها وهو
لا يعارض النصوص الشرعية ولا سيما اجماعهم كما سبق قال
غياث الدين منصور قدس سره الذي يستفاد مما افاده القدماء من
الحكماء ان كل فلك كلي شخص واحد كل من الكليات الى السيارات السبع
شخص له قلب هو كوكبه واعضاء هي افلاكه الجزئية وبدنه هو الفلك
الكلي والنفس الفلكية تتعلق اولا بالقلب الذي هو الكوكب ثم بغيره

من الاعضاء وهذا كالشخص الانسانى فان نفسه اولا تتعلق بروحه
الحيوانى الذى فى القلب ثم بسائر اعضائه والارادة النفسية فى
الكوكب فالنفس بالارادة الكوكبية تحرك البدن وسائر الاعضاء
على ما شاء واراد كما ان كل انسان وحيوان يحرك بدنه واعضائه على
ما اراد انتهى وقد قرر اصحاب الارصاد بمقتضى ما ادى اليه ارصادهم
ان كل نقطة تفرض على مقعر الفلك التاسع تتحرك فى عشر عشر ساعة
مستوية احدا وسبعين الف فرسخ وستمائة وست فراسخ واستخرج
منه انه مدة ما يتلفظ به الانسان بلفظ واحد يتحرك الفا وسبعمائة
واثنين وثلثين فرسخا فالوجه فى مبالغة تعذر انه كما وكيفا ظاهر ثم لو كانت
للارض حركة وضعية من المغرب الى المشرق وكانت الحركة السريعة من
المشرق الى المغرب وهى اليومية مستندة اليها والبطيئة الخالفة من
المغرب الى المشرق وهى الخاصة مستندة الى الفلك كما زعمه قوم لما
صح وصفه بالدوار حول الارض فتبينه دلالة على بطلان ما ذهبوا اليه
الا ان يقال لا منافاة بين البطوء فى الحركة والمبالغة فى الدوران بحسب العدد
بمعنى صدور هذا الفعل عنه مرارا كثيرة بحسب طول المدة نعم بينهما
منافاة بحسب الشدة فتامل ايضاح ذهب الفلاسفة الى ان الافلاك
باجمعها حية ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها واكثرهم على ان
غرضها من حركاتها نيل التشبه بجنابه والتقرب اليه جل شانه و
بعضهم على ان حركاتها لورود السوانح القدسية عليها انا فانا فهى
من قبيل الطرب والرقص الحاصل له من شدة السرور والفرح وذهب جمع
منهم الى انه لا امتناع فى شىء من الكواكب ايضا حى فاثبتوا لكل منها نفسا تحركه

بحركة مستديرة على نفسه وابن سينا فى الشفا مال الى هذا القول ورجحه
فى الاشارات وقال العلامة البهائى قدس سره فى الحديقة الهلالية لم
يرد فى الشريعة المطهرة ما ينافى ذلك القول ولا اعلم دليلا عقليا على بطلانه
فلو قال به قائل لم يكن مجازفا ثم قال واذا جاز ان يكون لمثل البعوضة والنملة
فما دونها حياة فاى مانع من ان يكون لتلك الاجرام الشريفة ذلك وبعضهم
فى ذلك كلام القاشانى قدس سره فى تعليقاته على هذا الدعاء وقال ما قال
ثم زاد عليه ابيات فارسية حيث قال وانشد بعضهم ۞ از ملك تا بملك
جو كردان است ۞ فلك اندر ملك جان ايست ۞ عرش وكرسى وجرمها وكرات
كنز ارشانها انجم وحشرات ۞ خنفسا مو مكس حمار وعقاب ۞ همه با جان و
جسم ومنه بى جان اقول قول ابن سينا واضرابه باعراضهم ليس بحجة
يركن اليها الذين يأمنون فى امثال تلك المطالب ولا سيما اذا كان مجرد
دعوى عرية عن الحجة والبرهان مخالفا لما انعقد عليه اجماع المسلمين
كما نقله السيد الجليل المرتضى علم الهدى كما سبق وكفى به ناقلا
اذا قالت حذام فصدقوها ۞ فان القول ما قالت حذام ۞ حيث قال لا خلاف
بين المسلمين فى ارتفاع الحيوة عن الفلك وما اشتمل عليه من الكواكب
وانها مسخرة مدبرة مصرفة وذلك معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه
واله ضرورة مع انه خلاف لما رواه محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام
قال سألته عن ركود الشمس فقال ان الشمس اذا طلعت جذبها سبعون
الف ملك بعد ان اخذ بكل شعاع منها خمسة الاف من الملائكة من بين
جاذب ودافع حتى اذا بلغت الجو وجازت الكو طرحها ملك النور ظهرا
البطن الحديث كذا فى الفقيه وفيه عن سيد العابدين صلوات الله عليه

وعلى ابائهم وابنائهم الطاهرين ان الله وكل بالفلك ملكا معه سبعون
الف ملك فهم يديرون الفلك فاذا اداروه دارت الشمس والقمر والنجوم
معه فنزلت في منازلها التي قدرها الله ليومها وليلتها الحديث ولها نظائر كثيرة
في الاخبار المنقولة عن الصادقين للاخيار والى هذا اشار السيد بقوله
وانما نحن مدينون بتاويل تلك الافلاك بنفوس الافلاك وقواه وخاصة
على القول بان لكل كوكب نفسا تحركه غير جائز فان تاويل الظاهر انما يجوز
اذا دلت القواطع على خلافه وهنا ليس كذلك بل ليس لهم على ذلك شبهة
فلو وجب الاعراض عن التاويل فانه جاز في اكثر المذاهب الباطلة و
الاديان العاطلة والتعرض له انما نشا من التعصب المبري عنه اهل
الحق وكانا قد ذكرنا الكلام في ذلك اوضح من ذلك في بعض رسائلنا
فليطالع من هناك هذا وفي مقادير بروجه متعلق بانقص ولفظة في لفظ
مدخولها مبني على حلول الشيء فيه حقيقة او مجازا وظاهر ان المقادير
ليست ظرفا للانقاص فامتنع حمل اللفظ على حقيقته فيكون على طريقة
الاستعارة على قياس ينطق نعمته بان يشبه الهيئة المنتزعة من
الانقاص والمقادير ومصاحبة احدهما الاخر بالهيئة المنتزعة من المظروف والظرف
واصطحابهما فيكون في الكلام استعارة تمثيلية تركب كل من طرفيه
لكنه لم يصرح مما بازاء المشبه به من الالفاظ الا بكلمة في فان مدلولها هو
العمدة في تلك الهيئة وقد مر نظيره فتذكر والتبرج اظهار الزينة ويقال تبرجت
المراة اذا اظهرت زينتها للرجال وفي قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى
والمراد باتقانه في مقادير البروج انما جعلت ثابتة دائمة غير متغيرة
ولا متفاوتة بمرور الشهور وكرور الدهور فان البروج الاثنى عشر

منها

منها ست شمالية دائما مشتملة على ثلاثة ربيعية وثلاثة صيفية
وست اخرى جنوبية دائما مشتملة على ثلاثة خريفية وثلاثة شتوية
وكذلك الكواكب بعضها ثابتة لا يفارق في سيره مركوزه من الفلك ولا يتغير
الا مجتمعا وبعضها سيارة ينتقل من برج الى برج ويفترق في سيره ولكل
منها حركتين مختلفتين عامة من المشرق الى المغرب وخاصة من المغرب
الى المشرق وهذه الحسابات المختلفة والاوضاع المتفاوتة الموجبة لتبرجه
وتزيينه للناظرين مبنية على نهج واحد ونظام مشاهد ولقد جعلنا في
السماء بروجا وزيناها للناظرين قال السيد غياث الدين منصور قدس
سره المستفاد من ارباب الارصاد الروحانيات والنبوات والانبياء و
اعاظم الحكماء ان الافلاك تسعة لا غير وهي منحصرة في سبع سموات و
كرسي وعرش وقال الشيخ الجليل ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة الشرع
والبرهان تطابقا على ان الافلاك تسعة بعضها فوق بعض فمنها سبع
سموات ثم الكرسي والعرش بلسان الناموس الالهي قالوا وهي اجسام
كروية متسقات مجوفات محيطة بعضها في جوف بعض واكثرها يشتمل
على الكواكب وهي اجرام نورانية مستديرة مصمتة مركوزة في اجرام الافلاك
وما يلينا ليس فيه من الكواكب الا القمر وذلك فلك القمر وسماء الدنيا
وهو محيط بالهواء من جميع الجهات كاحاطة قشر البيضة ببياضها والارض في
جوف الهواء كالمحة في البيضة في بياضها ومن وراء فلك القمر فلك عطارد وليس
فيه من الكواكب غيرها ومن ورائه فلك الزهرة وليس فيه غيرها ومن ورائه
فلك الشمس وليس فيه غيرها ومن ورائه فلك المريخ وليس فيه غيره ومن ورائه
فلك المشتري وليس فيه غيره ومن ورائه فلك زحل وليس فيه غيره وهذه

السبعة الكواكب بها لها الشيئان ومن ورائه فلك زحل فلك الكواكب
الثابتة وهو يشتمل على ما سوى السبعة المذكورة من الكواكب ويسمى
فلك البروج وفلك الثوابت لكونه مكانا لها ولتسميتهم كواكبه بالثوابت
اما لبطوء حركتها فلا يحس واما لثبات اوضاعها بعضها من بعض فانها تجد
دائما وضعا معينا بين النسر الطائر والنسر الواقع ويسمى بالشرع في الكرسي
ومن ورائه الفلك المحيط لاحاطته بجميع الافلاك ويسمى فلك الافلاك
والفلك الاعظم والفلك الاطلس لانه غير مكوكب اما لخلوه عن الكواكب
او لعدم ادراكنا بما فيه منها ان كان وهو المسمى بالعرش المجيد في لسان
الشرع وهذا الفلك دائم الدوران كالدولاب يدور من المشرق
الى المغرب فوق الارض وبالعكس تحتها في كل يوم وليلة دورة ويدير سائر
الافلاك والكواكب معه كما قال عز اسمه وكل في فلك يسبحون وسائر
الافلاك يدور كل منها بحركة مختصة به من المشرق الى المغرب فوق الارض
وبالعكس تحتها بدليل ان الهلال يرى في الليلة الاولى في مكان وفي الثانية
ينتقل الى مكان اخر اخذا الى جهة المشرق وهكذا الى اخر الشهر حتى يتم بفلكه
الدورة وهي ان يعود الى النقطة التي كان عليها اولا فكان لكل من الافلاك
الثمانية دورتان ذاتية وهي التي من المغرب الى المشرق وقسرية وهي
التي من المشرق الى المغرب وشبهوا ذلك بنملة على رحى والرحى تمشي الى جهة
اليمين مثلا والنملة الى جهة اليسار فللنملة حركتان ذاتية وقسرية
انما سميت هذه الحركة العظمى قسرية لانها تقسر الافلاك وتدفعها الى خلاف
جهة حركتها الذاتية عكسا وهذه الحركة هي التي يرى بها الشمس كل يوم في شروق
وغروب والاصل فيها الايام الدورية الاولى من سنة اذا عرفت هذا

فالمراد

فالمراد بالفلك الدوار في عبارة الدعاء اما الفلك الاعظم وانما عبر عنه به
لكثرة دورانه كما سبق وجميع الافلاك عموما كما اومانا اليه والسيارات
السبع خاصة اذا اريد بالدوران والمبالغة فيه ما يعم الذاتي والقسري
وهو الانسب بعبارة الناموس الالهي لان الاول مع انه لا يناسبه قوله
في مقادير برجه وان ناسبه وصفه بكثرة الدوران لا يسمى بالفلك بلسان
الشرع وقد عرفت حقيقة الحال وحقيقة المقال فتذكر ثم اعلم انه لم يتيسر
لاحد من الاوائل والاواخر كمية عدد الافلاك على ما هي عليه لا عقلا ولا
نقلا فان الذي دل عليه ظاهر القران ان لله سبع سموات لكن تخصيص
عدد بالذكر لا يدل على نفي الزايد روى ثقة الاسلام في كتاب الروضة في
بسنده عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر عليه السلام قال قال لي ليلة و
انا عنده ونظر الى السماء يا ابا حمزة هذه قبة ابينا ادم عليه السلام ان لله
تعالى سواها تسعة وثلاثين قبة فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين وله
نظائر اوردنا نبذة منها في هداية الفؤاد واشبعنا الكلام فيه فيها فا
فليطلب **وشعشع ضياء الشمس بنور تأججه** من هناك
الشعشع والشعشعان والشعشعاني الطويل ومنه ما قال ابن ابي الحديد
في قصيدته المشهورة في وصف سيف صاحب الدعاء امير المؤمنين
عليه سلام الله وحيث الوميض الشعشعاني فائض من المصدر
الاعلى تبارك مصدرا فليس سواء بعد ذاك المعظم ولولا اللائي مسجو
ها ومعفرا والشعاع الخفيف والمتفرق والضوء والنور مترادفان
لغة وقيل هو اقوى من النور فهو فرط الانارة وقد يسمى الكيفية ان
كانت من ذات الشيء ضوءا وان كانت مستفادة من غيرها نورا الخ من قوله

تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا قال صاحب الكشف و
البجيتو ان الضوء فرع النور يطلق على الضياء المنبسط والنور يطلق على
ما للشيء في نفسه كالنور القائم بنفس الشمس ولذا يقع على الذوات الجوهرية
بخلاف الضوء وقال الراغب النور الضوء المنتشر الذي يعين على الابصار و
هو ضربان دنيوي واخروي فالدنيوي ضربان معقول بعين البصيرة
وهو ما انتشر من الانوار الالهية كنور العقل ونور القرآن ومنه قد جاءكم
من الله نور ومحسوس بعين البصر وهو ما انتشر من الاجسام النيرة كالقمرين
والنجوم النيرات ومنه هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ومن النور
الاخروي قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم انتهى والمشهور ان ضياء
الشمس ذاتي قائم بذاتها غير مستفاد من غيرها تستفيد منها سائر الكواكب
انوارها المزيلة للظلام حتى قال صاحب الهيئة كان رخش وعنى بها الشمس
قاهر الغسق رئيس السماء فاعل النهار صاحب العجائب عظيم الهيبة الذي
يعطي جميع الاجرام ضوءها والمعروف من الاخبار ان ضوءها مستفاد
من نور العرش ففي كتاب التوحيد عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله
بعد كلام فيأتيها جبرئيل بحلة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات
النهار في طوله وقصره وما بين ذلك فتلبس تلك الحلة كما يلبس احدكم ثيابه
ومخالفته لقواعد الفلسفة لا يضر كما مر لما مر وهم في حقيقتها مختلفون
فقال بعضهم هي فلك اجوف مملو نارا له فم يخرج منه هذا الوهج والشعاع وقال
اخرون هي سحابة واخرون هو جسم زجاجي يقبل نارية في العالم ويرسل
عليه شعاعها وقال اخرون هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر وقال
اخرون هو اجزاء كثيرة مجتمعة من النار واخرون هو جوهر خامس سوى

الجواهر الاربع والتاجج تلهب النار ومنه قوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد
حطبا جزلا ونارا تاججا واللهب حركة اشتعال النار اذا خلص من الدخان او
لهبها لسانها والاضافات بلاميها الاولى لامية والثانية بيانية وتشبيه الضوء
بالنار مكنية واثبات التاجج والتلهب له ترشيح والضمير اما عائد الى الشمس
ولتحويث رعايته للسابقات ومواخذته لسائر الفقرات او الى الضياء والمراد
ان لضيائها شعلة ولسانا ولشعلته ولسانه نور خالص ابيض كانوار سائر الشعل
كالكبريت وما شاكله فان شعلته ولسانه اما لا نور له او له نور غير خالص
والمعنى انه تعالى طول ضيائها بسبب طول لسانه وشعلته والمراد انه مد
بلطيف حكمته مددها حول الارض فاذا كان فوقها تمتد ضوءها الى اجزاء الجو
الى وجه الارض فيستضيء به اجزاؤها كانه بذلك جعل ضياءها طويلا ممتدا
بالغا واصلا الى وجه الارض وجميع ما فوق عالم العناصر او المراد انه جعل
ضوءها منيرا منتشرا ممتدا كالرماح يحكيها ويعبر عنه بالخطوط الشعاعية
او هو مبني على ما ذهب اليه جماعة من الاوائل من كونها اجساما تنفصل
من المضيء وتتصل الى المستضيء ولما انجر الكلام منه عليه السلام
من نوع وصف الى اخر اعاد ذكر الموصوف جل شانه وناداه ثانيا بقوله

يا من دل على ذاته بذاته

الدلالة الهداية والارشاد والدليل الهادي والمرشد والذات يطلق في
الاصطلاح على معنى الشيء جوهرا كان او عرضا اما في اللغة فيطلق على حقيقة
الشيء وقد يستعمل بمعنى صاحب ويجمع على الذوات وتثنيته كما في التنزيل
ذواتا افنان وقد يراد بذات الشيء ماهيته باعتبار وجودها الخارجي اذ
المعدوم لا ذات له ولا حقيقة فلا يقال الذات العنقاء ولا حقيقتها بل ماهيتها

وقد يقال على الحقيقة وعلى الهوية الخارجية وهذا هو المراد هنا وقد
يراد بذات الله تعالى ما يضاف اليه سبحانه من الاوامر والنواهي والحدود و
الاحكام كجنب الله تعالى يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ومنه قوله صلى الله
عليه وآله ان عليا لاخيشن في ذات الله وفيه شاهد على استعمال الذات
لهذا المعنى ورد على من انكره قال ابو التمام وضربت ذات الاله فيوضح المراد
انه عليه السلام شديد الصلب والتشدد في الامور الالهية لا يداري
فيها ولا يداهن ولا تأخذه لومة لائم لان الاخيشن تصغير اخشن افعل
تفضيل من خشن خشونة ضد لان قال في الاساس ومن المجاز فلان خشن
في دينه اذا كان متشددا فيه والتصغير هنا للتعظيم كقوله دويهية تصفر
منها الانامل ومنه حديث جابر ان عليا ممسوس في ذات الله والمراد انه صلوات
الله عليه لتشدده وتصلبه في الامور الالهية وعدم ملاحظته للومة
لائم او رعاية جانب شبيه بالمجنون الذي لا يبالي بما يقال فيه من لوم او
مدح وهو اذ الممسوس الذي به مس من جن قال في الاساس رجل ممسوس مجنون
وقد يطلق الذات على ما يقابل الوصف ويستعمل استعمال النفس والشيء
ولذا يجوز تذكيره وتأنيثه ومنه قوله تعالى واصلحوا ذات بينكم قال صاحب
الكشاف الاحوال الملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا
انائك يريدون ما في الاناء من الشراب وقوله تعالى بذات الصدور [illegible]
وبذاته متعلق بيدل والباء فيه كما في قولك دل فلان بخيلا على ذاك اي جعله
دليلا عليه ومعرفا له فذاته تعالى دليل على ذاته ومعرف له لا غيره ولا
لزم كون المعرف اخفى من المعرف وكيف لا وهو سبحانه اعرف الاشياء
واظهرها عند العقل لانه ظاهر بذاته ومظهر لغيره فظهوره ذاتي وظهور

غيره

غيره عرضي حاصل بانتسابه اليه واستفاضته له فمعنى دلالة ذاته بذاته
انه ظاهر بذاته لا يحتاج الى دليل يدل عليه بخلاف غيره فانه خفي بذاته و
انما يظهر به فهو دليل عليه لا ذاته ولهذا سئل النبي صلى الله عليه و
آله بما ذا عرفت ربك قال بالله عرفت الاشياء اي بظهوره وخفائها من حيث
الذات والصفات يعني اني نظرت الى الاشياء فوجدتها مدبرة ومحتاجة في
بالغير به قوام ذاتها وظهور آثارها وصفاتها فعرفنا اولا ان لها بارئا صانعا
صنعها وجعلها مبدأ للآثار وقومها ثم عرفناها بقيامها به وانتسابها اليه
فبهذا النحو بالله عرفت الاشياء وحاصله يؤول الى الاستدلال بوجود
على وجود المعلول فان من نظر الى وجوده تعالى من حيث انه وجود واجب
قائم بذاته يظهر له انه اظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها فينتقل
منه اليها ويجعله وسيلة لمعرفة انها موجودة قائمة لا بذاتها بل بغيرها
ومن هنا يقال ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله او معه وعن بعض ال
للصادقين صلوات الله عليهم اجمعين تعرفنا الى في كل شيء فرأيتك ظاهرا
في كل شيء فانت الظاهر لكل شيء وعنه عليه السلام منك اطلب الوصول اليك
وبك استدل عليك وقال كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر
اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى
غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي
توصل اليك ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى دل بآثار ذاته وبما خلقه في
الآفاق والانفس على معرفة ذاته او صفات ذاته او وجود ذاته الذي هو
عين ذاته فحذف المضاف في الموضعين للعلم به وظهوره فيكون اشارة
الى الاستدلال بالمعلول على العلة والى نفي الاولوية الذاتية والمجازية

فان دلالة وجود الممكن على وجود الواجب بما تم وثبت بعد نفي التسلسل والدور
اما بدلالة البرهان عليه او بدعوى الضرورة واشارة العقول اليه وكان
الاول اظهر لفظا والاقوى معنى الا ان معرفته بهذا الوجه كالمتعذر
او متعسرة للعوام بل لاكثر الخواص بخلاف الثاني فان من له ادنى بصيرة اذا
تفكر في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ونظر الى
الاشياء من حيث انها ماهيات لا يمكن ان توجد بذواتها عرف ان لها صانعا
صنعها ومدبرا دبرها ولذا قال علي عليه السلام البعرة تدل على البعير
واثار الاقدام تدل على المسير اسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج لا تدلان
على اللطيف الخبير حكي ذو النون المصري قال رايت شخصا قائما في وسط البحر
وهو يقول سيدي سيدي انا خلقت البحور والجزائر وانت الملك الفرد
بلا حاجب ووزير من ذا الذي دعاك فما اجبته ام من ذا الذي نظر الى آياتك
فلم تدهشه اما في صنعك السماء ذات الطرائق وبعثك الفلك فوق رؤوس
الخلائق ولجريانك الماء بلا سائق ولربطك الريح بلا عائق ما يدل على
فردانيتك اما السموات فتدل على صنعك واما الفلك فتدل على حسن صنعك
واما الرياح فتخبر من نسيم بركاتك واما الرعود فتصوت بعظيم آياتك واما
الارض فتدل على عظيم حكمتك واما الانهار فتجري بعذوبة حكمتك واما
الاشجار فتخبر بجميل صنعتك واما الشمس فتدل على تمام بلائك وهنا
احتمال آخر وهو ان الحكماء ذهبوا الى ان العلة الفاعلية للمعرفة تصوريا
كان او تصديقيا بديهيا كان او نظريا شرعيا كان او غيره انما يفيض من الله
على الذهن بعد حصول استعداده بسبب احساس او تجربة او استماع
او نظر او فكر او غير ذلك وهذه الامور معدات والعبد كاسب للمعرفة لا

موجدها

موجدها والظاهر من اكثر الاخبار ان العبد انما كلف بالانقياد للحق وترك
الاستكبار عن قبوله واما المعارف فانها باسرها انما هي صنع الله في قلوب عباده
بعد اختيارهم الحق ثم يكمل ذلك شيئا فشيئا بقدر اعمالهم وطاعاتهم حتى يوصلهم
الى درجة اليقين فالمراد انه تعالى دل بذاته على معرفة ذاته بان القاها على قلب
من شاء من عباده بعد اختيار الحق او افاضها عليه بعد استعداده لها
ويدل على الاول حسنة محمد بن حكيم قال قلت لابي عبد الله عليه السلام
المعرفة من صنع من هي قال من صنع الله ليس للعباد فيها صنع واعلم ان
طرق دلالته وارشاده سبحانه الى معرفة ذاته وان كانت لا تحصى لكثرتها
الا انها تنحصر في اقسام ثلثة تندرج تحت كل منها مراتب غير محصورة
احدها طريق الدلالة بحسب الفطرة وهذه طريقة يشترك في سلوكها العوام
اذ ما من احد الا ويعلم اذ ما من احد الا ويعلم ان له صانعا صنعه ومدبرا
دبره بحسب فطرته الاصلية لما ركب فيه من العقل الذي هو الحجة الاولى
وان انكر وجوده منكر فانما هو لغلبة شقاوته المكتسبة المبطلة لاستعداده
الفطري وهو مع ذلك يعترف بحال الاضطرار كما هو الوارد في الاخبار
الثاني الطريق الحاصل بالانظار والاستدلال بالآثار وهذه الطريقة
يشترك في سلوكها جميع المستدلين من العالمين حتى الانبياء والمرسلين
وان كانوا فيه على تفاوت مراتب عقولهم الا ترى انك تستدل بملكوت السموات
وحركات الكواكب وبزوغها وافولها على صانعها ومدبرها كما استدل
بها خليل الرحمن لكن لا يحصل لك من ذلك الا علم ضعيف لا يكاد يمازجه
ايقان بل ولا ايمان حتى لو وهت ذا ادنى بلية تلوذ بكل من توهم انه ينجيك
والذي حصل له عليه السلام كان علما نافعا ثابتا ويقينا جازما حتى قال له

الروح الأمين وقد دعي بالمجنيق فكان في الهواء مائلاً الى النار اتاك خليله قال اما اليك فلا فاعرض عنه في مثل هذه الحالة والنجاة الى ربه ليس لا لانه راى ما سواه مفتقرا اليه خاشعا لديه خاضعا بين يديه بل لم ير موجودا سواه ولا ملجأ الا اياه الثالث الطريق الحاصل بالرياضة والمجاهدة الموصل الى حق اليقين بل عين اليقين وهذه الطريقة لخواص الخواص الذين يعرفون الحق بالحق وهذه الفقرة الشريفة ممكنة الانطباق على جميع هذه الطرائق واما على الثالث منها فظاهر لما عرفت ان خواص الخواص انما يعرفون الله بالله ثم به يعرفون الاشياء واما على الاول والثاني فبعد اعتبار حذف المضاف كما سبق بان يقال انه تعالى دل على معرفة ذاته وصفاته بآثار ذاته التي منها افاضة المشاعر الظاهرة والباطنة واعطاء العقول النظرية ونصب الامارات الانفسية والافاقية المرشدة الى ذاته وصفاته التي هي عين ذاته كما قال عز من قائل سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد هذا وللثاني ان يجعل الباء في بذاته هي الداخلة على المفعول له كما في كريمة فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم الطيبات والمراد انه تعالى والمراد انه تعالى دل باثاره وافعاله على ذاته لاجل ذاته فيكون اشارة الى انه سبحانه باعتبار ذاته علة غائية لافعاله لانه الفاعل بذاته فهو الغاية بذاتها اذ الفاعل بذاته هو ما لا يكون فاعلاً بامر ولا لامر غير ذاته فذاته هي الغاية وهو الغاية بذاته ولذلك قيل انه تعالى ما احب شيئا بالذات غير ذاته المقدسة وان احب غيره فانما احب بتبعية محبة ذاته لانه من توابعها فكل ما هو اقرب اليه كان

احب عنده فيرجع محبته لما سواه الى محبته لذاته كما يدل عليه ما ورد في الحديث ان الله جميل يحب الجمال فلا نظر له الى غيره من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته والى افعاله نظر وليس في الوجود الا ذاته وافعاله نعمه وصفاته وآثاره وكلها راجع اليه وهو غاية كل شيء فلا ابتهاج ومحبة الا ذاته وتابع ذاته من حيث هو متعلق بذاته فهو اذن لا يحب الا ذاته فذاته هي الغاية وهو الغاية بذاته

وتنزه عن مجانسة مخلوقاته

تبعد يقال تنزه تنزهاً اذا ابعد وتنزيه الله تبعيده عما لا يجوز عليه من النقائص وكلمة عن للمجاوزة والمجانسة المشاركة في الجنس والاتحاد فيه بان يكون جنس واحد مشتركا بين الواجب وبين مخلوقاته كاشتراك الحيوان بين الفرس والانسان وذلك واضح البطلان اما اولاً فلاستلزامه التركيب المنافي للوجوب الذاتي لان كل جنس ماهية مبهمة في ذاتها محصلة بفصلها فالفصل علة لتحصيلها وتعينها وانطباقها على حقيقة واحدة من الحقائق المندرجة تحتها وهذه الاجزاء لا تكون واجبة لذواتها فتكون ممكنة فالمحتاج اليها اولى بان يكون ممكنا وهذا في نفي التركيب الخارجي تمام وفي نفي التركيب الذهني فبان يقال وجود الجنس والفصل واحد لصحة الحمل وهما متحدان في الوجود فهما لا يكون عينهما وقد ثبت ان وجود الواجب عينه فلا يجوز كونه مركبا واما ثانياً فلاستلزامه ان يكون الواجب علة لمخلوقاته المشاركة له في ذلك الجنس وذلك لما تقرر ان الطبيعة الواحدة لا يمكن ان يكون بعض افرادها علة لبعض آخر لذاته لانه لو فرض كون نار علة لنار فعلية هذه ومعلولية تلك ليس لنفس كونهما نارا فلا رجحان لاحدهما في العلية وللاخرى في المعلولية بل يلزم ان يكون كل نار علة للاخرى بل علة لذاتها وهو محال وان كانت العلية

لانضمام امر اخر فلم يكن ما فرضناه علة علة بل العلة حينئذ ذلك الامر مع
لعدم الرجحان في احديهما للشرطية والجزئية ايضا لاتحادهما من جهة
المعنى المشترك وكذلك لو فرض المعلولية لاجل عمومه فتبين ان جاعل
الشيء يستحيل ان يكون مشاركا له وبه يعرف ان كل كمال وكل امر وجودي
يتحقق في الموجودات الامكانية فنوعه وجنسه مسلوب عنه تعالى
ولكن يوجد له ما هو اعلى واشرف منه اما الاول فلتعاليه عن النقص
وكل مجعول ناقص والا لم يكن مفتقرا الى جاعل وكذا ما يساويه في المرتبة
كالحاد نوعه وافراد جنسه واما الثاني فلانه معطي كل كمال الجنس بما فقد له
بل مبدعه ومعدنه وما في المجعول رشحه وظله واما ثالثا فلان كل ممكن
زوج تركيبي حادث زائدة صفاته على ذاته وهو اما جوهر او عرض و
الواجب بخلاف ذلك فانه بسيط حقيقي واحد من جميع الجهات ثم
صفاته عين الذات ومنه يعلم انه ليس بجوهر فان ماهيته اذا وجدت في
الخارج كانت لا في موضوع فوجوده زائد على ذاته ويحتمل ان يكون المراد
بالمجانسة هنا المماثلة اذ الجنس قد يطلق على ما يعبر عنه في المنطق بالنوع
واهل اللغة يسمونه ايضا جنسا وقد يطلق على ما يطلق على القليل والكثير
كالماء الذي يقال على القطرة والبحر وقد يقال على نفس الحقيقة ومفهوم
المسمى من غير اعتبار ما صدق عليه من الافراد كما يقال جنس الرجل افضل
من جنس المرأة فيكون الغرض نفي وجدانه تعالى بالتمثيل وذلك لان
كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته لان المثلية اما ان يتحقق من
كل وجه فلا تعدد اذن لان التعدد يقتضي المغايرة بوجه ما وذلك ينافي
المثلية والاتحاد من كل وجه واما ان يتحقق من بعض الوجوه وحينئذ

ما به

ما به التماثل اما الحقيقة او جزؤها او امر خارج عنها فان كان الاول كان ما به
الامتياز عرضا للحقيقة لازما او زائلا لكن ذلك باطل لان المقتضي لذلك
العرضي اما الماهية فيلزم ان يكون مشتركا بين المثلين لان مقتضى الماهية
الواحدة لا يختلف فما به الامتياز لاحد المثلين عن الاخر حاصل للاخر او
غيرها فيكون ذات واجب الوجود مفتقرا في تحصيل ما يميزها عن غيرها الى
امر خارجي واما ان كان ما به التماثل والاتحاد جزءا من المثلين لزم كون كل منهما
مركبا فيقتضي ان يكون التماثل بامر خارج عن حقيقتهما مع اختلاف الحقيقتين
لكن ذلك باطل اما اولا فلامتناع وصف واجب الوجود بامر خارج عن
حقيقته لاستلزام اثبات الصفة الخارجية عنه له تثنيته وتركيبه
واما ثانيا فلان ذلك الامر الخارجي المشترك ان كان كمالا لذات واجب الوجود
فواجب الوجود مستفيد للكمال من غيره وان لم يكن كمالا كان نقصانا
لان الزيادة على الكمال نقصان فثبت ان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود
لذاته وهذه الاحتمالات على تقدير ابقاء المجانسة على معناها الاول
وهو الاتحاد في الجنس لا الاتحاد في النوع لان المثل في اللغة يقال لاي مشارك
كان كما صرح به الراغب ولما لم يكن الله تعالى داخلا تحت جنس لبراءته
من التركيب المستلزم للامكان ولا تحت نوع لافتقاره الى التخصيص بما
بالعوارض المميزة لاجرم لم يكن له مثل كيف ولو كان للواجب مثل لكان
ممكنا معلولا لامتناع تعدد الواجب ولا يمكن ذلك لامتناع احد المثلين
للاخر اذ العلة لا بد ان يكون اقوى من المعلول فانه ظل للعلة والقول بجواز
كون ذلك المثل معلولا لا لعلة له لا معلولة بلا واسطة مقدوح اذ الحادث
حينئذ الخلف كما لا يخفى وبالجملة وجوب الوجود يدل على سرمديته

الواجب ونفي الزائد والشريك والمثل والتركيب بمعانيه والضد والتحيز
والحلول فيه والحاجة والألم مطلقا واللذة المزاجية والاحوال الغير
الزائدة وامكان الوجود على خلاف ذلك فكيف يتصور المشاركة الحقيقية
والحال هذه بين الوجوب والامكان الذاتيين هذا والخلق في الاصل
مصدر بمعنى التقدير يقال خلقنا الاديم للسقاء اذا قدرناه له قبل
القطع ثم استعمل في ايجاد الشيء وانشائه على غير مثال سبق فقيل خلق
الله الاشياء خلقا باعتبار الايجاد على وفق التقدير الذي اوجبته الحكمة
ثم اطلق على المخلوق من باب اطلاق المصدر على اسم المفعول مجازا وفي هذه
الفقرة الشريفة ايماء لطيف الى فساد عقيدة قوم قالوا انه تعالى جسم
يجلس على العرش ويزيد عليه من كل جانب ستة اشبار بشبره وانه
ينزل في كل ليلة جمعة على حمار وينادي الى الصباح هل من تائب هل
من مستغفر وحملوا آيات التشبيه كقوله تعالى الرحمن على العرش
استوى والسموات مطويات بيمينه خلقت بيدي يد الله فوق ايديهم
بل يداه مبسوطتان يوم يكشف عن ساق يا حسرتى على ما فرطت في
جنب الله والارض جميعا قبضته يوم القيامة وجاء ربك والملك
صفا صفا كل شيء هالك الا وجهه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
الى غير ذلك من الآيات على ظواهرها والسبب في ذلك جهلهم وقلة تمرنهم
اذ الضرورة قاضية بان كل جسم لا ينفك عن الحركة والسكون وقد
ثبت انهما حادثان وان ما لا ينفك عن الحادث حادث فيلزم حدوثه
تعالى عن ذلك وكل حادث محتاج الى المؤثر فيكون الواجب محتاجا اليه
فلا يكون واجبا وقديما واكثرهم في الغي الى ان قالوا انه تعالى اجوف

المصافحة وان المخلصين في الدنيا يعانقونه وقال بعضهم اعفوني عن الفرج
واللحية واسألوني عما وراء ذلك وقال ان معبوده ذو لحم ودم وجوارح
واعضاء وانه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة لما
اشتكت ومن المشبهة من قال انه تعالى نور مثلا لا كالسبيكة البيضاء وطوله
سبعة اشبار بشبره ومنهم من قال انه على صورة انسان فمنهم من قال انه
شاب امرد جعد قطط ومنهم من قال انه شيخ اشمط الراس واللحية تعالى عما
يقول الظالمون علوا كبيرا ومثل هؤلاء قوم اثبتوا له تعالى صفات زائدة
على ذاته قديمة هي العلم والقدرة والارادة والحياة والكلام والسمع والبصر
والتكوين والبقاء والوجود الموصوف به وقوم اثبتوا له احوالا اربعة هي
العالمية والقادرية والحيية والموجودية وزعموا انها ثابتة مع الذات
في الازل وزاد بعضهم خامسة هي علة للاربعة مميزة للذات هي الالهية واخرون
جوزوا ان يكون الله تعالى محلا للحوادث وهذا كله منهم كذب بحت وتشبيه
تعالى بخلقه فانه كما يدل عليه العقل والنقل ومنه ما رواه في الكافي بسند
كاد ان يكون صحيحا فان محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني وان ضعفه قوم
الا انه وثقه النجاشي وهو يروي عن حماد عن حريز عن محمد بن مسلم عن ابي
جعفر انه قال في صفة القديم انه واحد صمد احدي المعنى ليس بمعان كثيرة
مختلفة قال قلت يزعم قوم من اهل العراق انه يسمع بغير الذي يبصر و
يبصر بغير الذي يسمع قال فقال كذبوا والحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا انه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع فان قلت يزعمون
انه بصير على ما يعقلونه قال فقال تعالى الله انما يعقل ما كان بصفة المخلوق
ليس الله كذلك وجل عن ملائمة كيفياته ومنه قوله

جل بجل جلاله الا وهو جليل عظيم والجليل والحقير ضد والملايمة الجامع
والموافقة فقال لا امر ولا امر بين الشيئين اذا جمع بينهما ووافق وملايمة
والكثافة ما بمعنى في حيث ابن مكتوم لي فايد لا يلايمني اي يوافقني ويساعدني
والكيف عرض لا يقتضي لذاته قسمة ولا نسبة واقسامه اربعة مشهورة
المحسوسة والاستعدادية والنفسانية والمختصة بالكم واضافة الكيفيات
الى الضمير العايد اليه تعالى لادنى ملابسة وهو علاقة العلية والمعلولية
اي الكيفيات التي صنعها وخلقها وفيه دليل على المدعى لان تلك الكيفيات
لما كانت من مصنوعاته تعالى فكيف تلايمه وتناسبه والمصنوع لا يلايم
الصانع بل بينهما مباينة كلية والكيفية منسوبة الى الكيف اي الحال
المنسوبة الى كيف وهو الاستفهام عن الحال والتانيث باعتبار الحال التي
هي مونث سماعية والمراد انه تعالى اجل واعظم من ان يجامع كيفية من كيفياته
بان يكون موضوعا ومعروضا للكيفية من الكيفيات الامكانية الخلقية
الحادثة لامتناع كونه محلا للحوادث ولما سبق في الفقرة السابقة ولو كانت
تلك الكيفيات ازلية والازلي عندهم لا يكون اثر المختار لزم استنادها الى
الذات على وجه الايجاب ولذا قال سيدنا الصادق عليه السلم ان الله لا
لا يوصف بالكيف وكيف اصفه بالكيف وهو الذي كيف الكيف حتى صار كيفا
فعرفنا الكيف بما كيف لنا من الكيف ولكن في حديث الزنديق الذي اتاه عليه السلم
وسئله عن مسائل التوحيد انه قال فله كيفية قال عليه السلم لا لان الكيفية
جهة الصفة والاحاطة ولكن لا بد من الخروج عن جهة التعطيل والتشبيه
لان من نفاه فقد انكره ودفع ربوبيته وابطله ومن شبهه بغيره فقد اثبته
بصفة المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقون الربوبية ولكن لا بد من اثبات

ان

ان له كيفية لا يستحقها غيره ولا يشارك فيها ولا يحاط بها ولا يعلمها
غيره الحديث وهو على ان له تعالى كيفية ذاتية هي عين ذاته المجردة البسيطة
لا يدركها غيره ولا يكون كالكيفيات الامكانية الحادثة ولعلهم الى ذلك اشاروا
بقولهم ان اللذة ادراك الملايم من حيث هو ملايم فمن ادرك كمالا في ذاته التذ
به كما يشهد به الوجدان وكماله تعالى اجل الكمالات وادراكه اقوى الادراكات
فوجب ان يكون لذته اقوى اللذات هذا ما ذهب اليه الفلاسفة واما
المتكلمون فقد اطلقوا القول بنفي اللذة عنه تعالى اما لاعتقادهم
نفي اللذات العقلية او لعدم ورود ذلك في الشرع ورد على الفلاسفة
انهم ان ارادوا ان الحالة التي يتوهمها اللذة هي نفس ادراك الملايم فغير معلوم
وان ارادوا انها حاصلة عند ادراك الملايم فربما يختص ذلك بادراكنا
دون ادراكه تعالى فانهما مختلفان قطعا والجواب ان اللذة ليست ادراك الملايم
نفسه بل هي حالة مترتبة عليه بظهور ان السرور ليس نفس تخيل المحبوب
بل مترتب عليه وايضا قد يبقى ادراك الملايم على حده ولا يبقى اللذة على حدها
بل يضعف او يفنى كما في ابصار الوجه اذا تكرر واستمر فاللذة ليست نفس
الادراك فتعريفها به مسامحة هذا وقيل قوله عليه السلم لا يستحقها غيره
الى اخره احتراز عن توهم ان المراد بالكيفية المعنى المعروف لغة وعرفا
وهو الهيئة الحاصلة للشيء باعتبار اتصافه بالصفات التابعة للحدوث
الموجبة لتغير موصوفاتها وتاثر موضوعاتها فان هذا المعنى محال في
شان الواجب بالذات جل جلاله وقد وقع التصريح بنفيها عنه تعالى في غير
موضع من كلامهم عليهم السلم فمنه قول امير المومنين صلوات الله وسلامه
عليه في خطبة لا تقع الاوهام له على صفة ولا يعقد القلوب منه على كيفية

وقوله عليه السلام ما وحده من كيّفه اي وصفه بكيفية وقول الباقر عليه السلام ليس لكونه كيفية ولا له أين كان اولا بلا كيف ويكون آخرا بلا أين وعن ابي عبد الله عليه السلام كيف اصف ربي بالكيف والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه وهو في اخبارهم عليهم السلام كثير جدا قال بعض علمائنا قول امير المؤمنين عليه السلام ما وحده من كيفه دل بالمطابقة على سلب التوحيد له عمن وصفه بالكيفية وبالالتزام على انه لا يجوز تكيفه لمنافاة ذلك للتوحيد وبيانه انهم رسموا الكيفية بانها هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها نسبة الى امر خارج عنه ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في اجزائه فتبين ان وصفه بها يستلزم تثنيته اذ هي صفة زائدة على الذات وهو تعالى ليست له صفة تزيد على ذاته فينافي اثباتها له توحيده جل شانه

يا من قرب من خواطر الظنون

اي القلوب والعقول والاضافة لامية والمراد بقربه منها انها قابلات قادرات لادراكه ومعرفته باضالة ذاته واثار صنعه فان كل عاقل يرى على نفسه نعمة متواليه مترادفه ظاهرة وباطنة تارة كبيرة واخرى صغيرة وتارة صحة واخرى سقما وتارة عسرا واخرى يسرا فاذا راجع نفسه علم ان له مقلبا يقلب احواله ومغيرا يغير اطواره فيخطر بباله انه لا بد من ان يكون له صانع صنعه ومدبر دبره ان اطاعه اثابه وان عصاه عاقبه فيحصل له الخوف وهو ضرر يجب دفعه ولا يمكن الا بالنظر فاذا نظر نظرا صحيحا اداه الى معرفته ومن ثم يعلم ان النظر واجب ويمكن ان يكون اشارة الى ان اصل معرفته تعالى فطري بديهي ويحتمل ان اضافة الخواطر الى الظنون اضافة الجرد الى القطيفة يعني انه

تعالى قريب من الظنون الخاطرة بالقلوب والمراد انه تعالى عالم بها اذ الصدور لا تحجب بينه وبينها فهو قريب علما وبعيد ذاتا والخاطر الهاجس والجمع خواطر خطر بباله وعليه خطورا اذكره بعد نسيان واخطره الله كذا في القاموس وقيل الخاطر ما يرد على القلب ويمر بالبال مما يلقى للعبد فيه تعمل وهو اقسام رحماني وهو ما كان باعثا على ما فيه صلاح او قربة ويسمى الهاما ونفساني وهو ما فيه حظ النفس وهو يسمى هاجسا وشيطاني وهو ما يدعو الى مخالفة الحق ويسمى وسواسا وقال بعض العلماء الخاطر اربعة اقسام رباني وهو اول الخواطر وهو لا يخطي ابدا وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع بالدفع وملكي وهو الباعث على مندوب او مفروض وبالجملة كل ما فيه صلاح ويسمى الهاما ونفساني وهو ما فيه حظ للنفس ويسمى هاجسا وشيطاني وهو ما يدعو الى مخالفة الحق قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء وقال النبي صلى الله عليه وآله لمة الشيطان تكذيب بالحق وايعاد بالشر ويسمى وسواسا ويعتبر بميزان الشرع فما فيه قربة فهو من الاولين وما فيه كراهة او مخالفة شرع فهو من الاخيرين ويشتبه في المباحات فما هو اقرب الى الهوى وموافقة النفس فهو من الاخيرين والصادق من صفا القلب للخواطر مع الحق سهل عليها الفرق بينها بتيسير الله تعالى وتوفيقه وقال بعضهم الخاطر التي لا يشعر بتفصيلها اذا خالفها وامر الله وقد يستتبع حكم بعض الجوارح الى فعل خارج عن حدود الشرع ايضا وذلك وان كان لا يوجب اثما في النفس ولا يؤاخذ لانه ربما يقوى بقوة اسبابه وكثرتها فينقطع العبد عن سلوك سبيل الله كما في حق المنهمكين في لذات الدنيا المتعودين لها فان احدهم

ربما رام التشبه بمن يصلي الفرض فيصلي الصلوة الواحدة مرتين او مرارا او لا
يثبت عدد ركعاتها وسجداتها والتوبة والاستغفار عن مثل ذلك
بجذب العبد عن الاسباب الموجبة له انتهى والمراد به هنا اما الخطور بالجنان
اما من قبل الرحمن بان يأتيه ملك الى ناحية صدره يقول في سمع عقله
كلاما خفيا بان لك صانعا صنعك ومدبرا دبرك فيجب عليك النظر
لتعرفه واما من جانب الشيطان بان يأتيه بعض ابالسته فيمنعه عن ذلك
ويشد عليه طريقه بوسوسته والظنون كالفنون جمع ظن فقد يراد
به اعتقاد راجح غير جازم وقد يطلق على ما يقابل اليقين كما قاله الشيخ في
منطق الاشارات وعلى اليقين نفسه كما روي عن الرضا عليه السلام
في حديث المأمون انه قال معنى فظن ان لن نقدر عليه استيقن ان لن نقدر
عليه وقد قيل انه من الاضداد يطلق على الراجح والمرجوح معا وعلى الشك
حمل ان نظن الا ظنا وان الظن لا يغني من الحق شيئا وان بعض الظن اثم
وهو بهذا المعنى يرادف الوهم وهذا هو المناسب للمقام لان العقول وان
كانت في ادراك ما سوى الله كاملة بالغة كنه الاشياء وحقائق الامور
على ما هي في نفس الامر الا انها فيما يتعلق بذات الله وصفاته تعالى كالظنون
والاوهام حيث انها لا تبلغ كنه الامور وحقيقتها بل تحكم احكاما غير
مطابقة للواقع فرع بين يدي العالم عليه السلام لا تدركه الابصار و
هو يدرك الابصار قال عليه السلام انما عنى ابصار القلوب وهي
الاوهام لا تدركه الاوهام الكيفية وهو مدرك كل وهم واما عيون البشر
فلا تلحقه لانه لا يحد فلا يوصف هذا ما نحن عليه كليا ولذا قال عليه السلام

وبعد عن ملاحظة العيون

البعد

البعد بين الشيئين انما يطلق على اقصر المسافات بينهما او على مسافة
لا اقصر منها لا على الاول فقط الا ترى ان بعد المركز من المحيط هو نصف القطر
مع انه ليس اقصر الخطوط الواصلة بينهما وقد عرفت ان القرب والبعد
بالاضافة اليه تعالى ليس مكانيا مسافيا لانه من صفات الاجسام وهو
يتعالى ومنه يعلم انه لا يمكن رؤيته تعالى لان المرئيات بين ان يكون جسما
او عرضا حالا فيه وقد ثبت انه تعالى ليس كذلك وكلمة عن للمجاوزة وهي
متعلقة بمحذوف اي بعد بعدا متجاوزا عن ملاحظة العيون والملاحظة
مفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذي هو الصدغ واما الذي يلي الانف
فالموق والماق وفيه من المبالغة ما لا يخفى لان المرئي اذا كان دقيقا لطيفا
مشكلا ادراكه يجمع الرائي نور عينيه للرؤية ذلك الشيء رجاء ان يدركه فاذا كان
الله تعالى لتجرده وعدم تحيزه بعيدا عن تلك الملاحظة ايضا فلا محالة يمتنع
ان تدركه العيون لان الافراط في البعد يمنع عن الرؤية والعيون للابصار
والبصر قوة مرتبة في العصبة المجوفة مدركة لما يقابل العين بتوسط جرم
شفاف لا بخروج شعاع يلاقي المبصرات ولا بانعكاسه ولا بانطباع الصور
المرئية في الرطوبة الجليدية ولا في ملتقى العصبتين المجوفتين ولا بانه
لبطلان ذلك كله كما بين في محله بل بمقابلة المستنير للعين السليمة وهي
ما فيها رطوبة صافية شفافية مرآتية فحينئذ يقع للنفس علم اشراقي حضوري
على ذلك المبصر المقابل لها فيدركه النفس مشاهدة والمراد انه تعالى لكونه
مجردا غير ذي وضع ولا متحيز لا بالذات ولا بالعرض يمتنع رؤيته ولا تدركه
العيون والابصار ولا يحيط به الاوهام قال صاحب العدة جعلت له الفداء
حين ما سئله رجل فقال له ذعلب هل رأيت ربك ويلك يا ذعلب ما

كنا عنده بالمدائن فقال كيف رأيته قال ويلك لم تره العيون بمشاهدة
الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان و بالجملة فالرؤية تستلزم
كون المرئي اما جسما او جسمانيا ذا جهة وحيز يكون بينه وبين الرائي
ينفذه البصر اذ لم يكن بينهما هواء وعدم الضياء الذي هو شرط الرؤية
لم يصح الرؤية بالبصر لادراك المخصوص المعلوم بالوجه الممتاز عن غيره
لا يمكن ان يتعلق بما ليس في جهة والا لم يكن للبصر فيه مدخل بل المدخل فيه
للعقل فلا وجه حينئذ لتسميته ابصارا فالقول بجواز رؤيته تعالى
عن ذلك منزها عن المقابلة والجهة والمكان ليس مما يحتمله العقل بل هو
محض الهذيان واستدل في المشهور على نفي امكان رؤيته تعالى بان المرئي
بالبصر يجب ان يكون في جهة وهو تعالى منزه عنها والا يجب كونه عرضا او جوهرا
جسمانيا وهو محال واعترضه الغزالي بان احد الاصلين من هذا القياس
مسلم ان كونه في جهة يوجب المحال ولكن الاصل الآخر وهو ادعاء هذا اللازم
على اعتقاد الرؤية ممنوع فنقول لهم فلم انه ان كان مرئيا كان في جهة من
الرائي اعلمتم ذلك ضرورة ام بنظر لا سبيل الى دعوى الضرورة واما
النظر فلا بد من بيانه ومنتهاه انهم لم يروا الى الآن شيئا الا وكان في جهة
من الرائي مخصوصة ولو جاز هذا الاستدلال لجاز للمجسم ان يقول ان
الباري تعالى جسم لانه فاعل فانا لم نر الى الآن فاعلا الا جسما وحاصله
يرجع الى الحكم بان ما شوهد وعلم ينبغي ان يوافقه ما لم يشاهد ولم يعلم
واجيب بان دعوى كون المرئي في هذا العالم مطلقا يجب ان يكون في جهة
ليس مبناها على ان المرئيات في هذا العالم لا يكون الا في جهة حتى يكون من باب
قياس الغائب على الشاهد بل النظر والبرهان يؤديان اليه وهو ان القوة

الباصرة التي في عيوننا قوة جسمانية وجودها وقوامها بالمادة الوضعية
وكل ما وجوده وقوامه بشيء فقوام فعله وانفعاله بذلك الشيء اذ
الفعل والانفعال بعد الوجود وفرعه اذ الشيء يوجد اولا ثم بذاته او
بغيره ثم يؤثر في شيء او يتأثر عنه فكل ما كان وجود القوة بنفسها
فيه بمادة جسمانية بما لها من الوضع كان تأثيرها وتأثرها ايضا بمشاركة
المادة ووضعها بالقياس الى ما يؤثر فيه او يتأثر عنه فلاجل ذلك يحكم
بان البصر لا يرى الا ما له نسبة وضعية الى محل فالباصرة والسامعة لا
تبصر ولا تسمع الا ما وقع منهما في جهة ما واكثر فهذا هو البرهان قال السيد نظام
الدين احمد قدس سره في رسالته لاثبات الواجب تعالى قد ثبت في محله انه
يجوز ان تعلم بعض النفوس المجردة الالهية الكاملة ذات الواجب تعالى
بالعلم الحضوري الذي هو عبارة عن مشاهدة ذاته من غير تكيف لا مسامتة
ولا محاذاة واذا جاز ذلك فما المانع من قول من يجوز رؤيته تعالى في الآخرة
الرؤية في الحقيقة عبارة عن مشاهدة حضورية ولا يشترط فيها وقوعها
بالجارحة المخصوصة بل بعض القائلين بجوازها صرح بان رؤيته تعالى
لا يجب ان يكون بتوسط تلك الجارحة المخصوصة قال في شرح التجريد الامن
من نفي الرؤية بالبصر نفي الرؤية مطلقا انه يمكن ان يرى لا بتلك الجارحة
المخصوصة كما هو المدعى من المثبتين لرؤيته تعالى يدعون الحالة المخصوصة
التي تحصل لنا بالبصر في الدنيا وتسمى رؤية تحصل لنا في تلك النشأة بعينها
بالنسبة اليه تعالى من غير توسط تلك الجارحة انتهى ويؤيد ما ذكرنا ما
قال المعلم الثاني في فصوصه من ان كل ادراك يحصل بلا واسطة استدلال
وهو المخصوص باسم المشاهدة وكل ما لا يحتاج في ادراكه الى الاستدلال فهو

ليس بغائب بل هو شاهد لحضور الشاهد هو المشاهدة والمشاهدة الحاضرة
ومشاهدة واما من غير مباشرة وملاقاة وهذا هو الرؤية والحق الاول تعالى
لا يحجب عليه ذاته وليس ذلك بايسر للاول فحاز على ذاته مشاهدة كماله من
ذاته فاذا تجلى لغيره مضيئا عن الاستدلال وكان بلا مباشرة ولا ملامسة كان
مرئيا لذلك الغير فانه صريح فيما ذكرناه فان قلت اذا كانت المشاهدة الحضورية
هي الرؤية فلا مانع منها في هذه النشأة ايضا فلم اختص جواز الرؤية بالنشأة
الاخرى كما هو مذهب اكثر القائلين بجوازها قلت لعل هؤلاء لا يمنعون
الجواز بل الوقوع ولعل السر في ذلك ما صرح به بعض الاعاظم من ان
النفس سيما الكاملة المشرفة اذا شاهدت المبدأ الاول والتذت بلا
مشاهدته قل اقبالها على الجسم وعالم الجسم وكلما زاد اقبالها عليه نقص
توجهها الى هذا العالم فينقص توجهها الى ما يلزم من الجسم بل تعرض
عنه بالكلية فتتفرق اجزاء بدنها وتفسد وتنحل تركيبه ويبطل نظام
اعضائه واتصالها فلم يبق حيوة بدنية لاعراضها عن البدن بالكلية
فان نظام البدن واتصاله من آثار المجرد المدبر على ما هو المشهور وبهذا
يظهر تفسير الآية الكريمة الحاكية عن سؤال موسى عليه السلم فانه حين
سأل الرؤية وهي المشاهدة الحضورية اجيب بلن تراني اي لن تشاهدني
وانت في هذه النشأة التعلقية ويؤيده هذا ما في التورية لا يراني ابن
آدم وهو حي اي في حال الحيوة البدنية فان قيل فلا يمكن الرؤية مع بقاء
الحيوة في النشأة الاخرى ايضا قلت لعل البدن الذي في النشأة الاخرى
غير قابل للتفرق والتفتت ولعل النفس لكمال قوتها التي اكتسبها في
تلك النشأة اذا شاهدت المبدأ الاول فيها فاقبلت عليه ابدا لا كليا لا

تعرض عن البدن بالكلية ولا تشغلها شأن عن شأن فلا يخفى على الخبير
ان ما ذكرنا ليس توجيها لكلام القائلين بجواز رؤيته تعالى وهم الاشاعرة
فان جمهورهم صرح بان الله تعالى يرى في الاخرة بهذه الجارحة المخصوصة
بل هو تفسير لما ورد في الآيات والاخبار على جواز رؤيته تعالى ووقوعها
في النشأة الاخرى فيكون جوابا لاستدلالهم بتلك الآيات والروايات سيما
ما ذكروه من ان طلب موسى عليه السلم الرؤية دال على جوازها والا لزم
ان يكون جاهلا بصفاته تعالى لانه انما طلب المشاهدة الحضورية
الصرفة الخالية عن شوب الحجاب الانوار والاوهام لا الرؤية بالبصر و
لا حاجة الى تكلفات ارتكبها القائلون بامتناعها فافهم انتهى كلامه

وعلم بما كان قبل ان يكون

ما وان مصدريتان وكان ويكون تامتان والمراد انه تعالى كان عالما
بالكائنات اي الموجود على ما هو عليه قبل الكون قبلية ذاتية او دهرية
او زمانية على الخلاف والاوسط الاوسط كما فصلنا القول فيه في رسالتنا
المعمولة لبيان الحدوث الدهري وذلك لان ذاته تعالى بذاته مبدأ
فيضان جملة الموجودات عنه فعلمه بذاته علمه بجميع الموجودات
وانكشافها له ولا حاجة له في ذلك الى امر مغاير لذاته بل انكشافها لذاته
انكشافها له انكشافا تفصيليا اذ العلم التام بالعلة علم تام بالمعلول
ومنهم من قال بان علمه تعالى بما سواه مما كان حضوريا وظاهر ان حضور
الاشياء انما يمكن حين وجودها لا قبلها فلا بد من اثبات علم له تعالى
اجمالي هو عين ذاته ومتقدم على كافة الايجادات ومنهم من ذهب منهم
الى ان علمه تعالى بالاشياء علم حضوري وقال بان صورها في الازل كانت

فاتمه بذاته تعالى عن ذلك واما الكليات فعلى وجهها واما الجزئيات
فعلى وجه كلي فلا حاجة الى اثبات ذلك العلم الاجمالي والظاهر من
الاخبار ان علمه تعالى عين ذاته وانه كان عالما بالاشياء قبل
احداثها فلما احدثها وقع العلم منه على ما كان عليه معلوما له في الازل
وانطبق عليه وتحقق مصداقه قال سيدنا ابو عبد الله الصادق عليه
السلام على ما رواه عنه ابو بصير لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم و
السمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور
فلما احدث الاشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع
على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور ويحتمل ان يكون
المراد بوقوعه عليه العلم به على انه حاضر وكان قد تعلق به على وجه
الغيبة وانه سيوجد والتغير يرجع الى المعلوم لا الى العلم وتفصيل
المسألة موضع آخر يا من آمن قلبي في مهاد امنه وامانه
الرقاد النوم كالرقود والرقود بضمهما او الرقاد خاص بالليل وارقده
انامه ولما كان اسباب النوم واليقظة وايجاد الليل والنهار منه سبحانه
اسند الفعل في الموضعين اليه سبحانه او كانه تعالى كالوالد البر الرحيم
الذي ارقد ولده الصبي في المهد امن وامان بحراسته له وكلائته اياه
عما يضره ويوذيه يحكى ذو النون المصري انه كنت في البيت ففي جنب
زلزلة في قلبي وصرت بحيث ما ملكت نفسي وخرجت من البيت وانتهيت
الى شط النيل فرايت عقربا قوية تعدو فتبعتها فوصلت الى طرف النيل
فرايت ضفدعا واقفا على طرف الوادي فركب العقرب على ظهر الضفدع
واخذ الضفدع يسبح ويذهب فركبت سفينة وتبعته فوصل الى الطرف

الاخر

الاخر من النيل ونزلت العقرب من ظهره واخذت تعدو فتبعتها فرايت
شابا نائما تحت شجرة ورايت افعى يقصده فلما قربت الافعى من الشاب
ووصلت العقرب الى الافعى لدغته والافعى لدغت العقرب فماتا
معا وسلم ذلك الانسان ساهيا فانظر الى حسن صنعته بعباده وكيف
تعلقت عنايته بالاحسان اليهم والرحمة لهم هذا ويحتمل ان يكون
محمولا على الحقيقة كما يدل عليه مرسلة ابي منصور المذكورة في اصول
الكافي المروية عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال ستة اشياء ليس
للعباد فيها صنع المعرفة والجهل والرضا والغضب والنوم واليقظة و
المهد معروف وهو الموضع الذي يهيأ للصبي ويوطأ والارض كالمهاد
والارض فرشناها فنعم الماهدون والم نجعل الارض مهادا اي بساطا
ممكنا للسلوك وقيل المهاد بالكسر الفراش ويجمعه مهد ككتاب وكتب ويكون
المهاد جمع مهد ككهم وسهام ويجمع على مهود ايضا كفلس وفلوس والاضافة
من قبيل لجين الماء حيث شبه الامن والامان بالمهاد بجامع الراحة ثم قدم
المشبه به على المشبه واضيف اليه او بيانية او شبه الامن والامان
بفضاء متسع ثم اثبت له المهاد ولعلها الانسب بالنظر الى لفظ الجمع و
اما على الاولين فلعله محمول على المبالغة او اريد به المفرد والامن
ضد الخوف وهو اطمينان القلب وسكون البدن من عدم القلق والانزعاج
الحاصل من مصادمة المكروه والمومن العائذات الطير يمسحها
ركبان مكة بين الغيل والسند وهو الذي امن عباده من الظلم والجور و
قيل الامن عدم توقع مكروه في المستقبل وفي المصباح امن زيد الاسد
امنا وامن منه مثل سلم وزنا ومعنى والاصل ان يستعمل في سكون القلب

انتهى وأما أنه تعالى حفظه وحراسته وكلائته عباده عن الآفات
والعاهات والبليات التي لا تقتضي حكمته جلت عظمته إصابتها لهم
وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من
أحد من بعده ولإرفاده تعالى عباده من نهاداته وإماناته أسباب و
بواعث من التطهر والدعوات والتعوذ بالكلمات التامات مذكورة
في مظانها فلتطلب وأيقظني إلى ما ينجيني من منية الجهالة من هنا
اليقظة محركة نقيض النوم وأيقظه نبهه ومحله كمنعه أعطاه والنحلة
العطية والظرف متعلق بمحذوف أي نحني هاديا ومرشدا إلى ما أعطى
من توفيقه لعبادته وتأهيله لطاعته وما يحصل به المعاش وينتظم
به المعاد ولفظة من بيانية والمنن جمع منة بالكسر بمعنى النعمة و
هو الذي أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة والمن العطاء وكثيرا ما
يرد المن في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه
وفي القاموس من عليه منا أنعم واصطنع عنده صنيعة ومنه المنان
وقيل المنة النعمة الثقيلة وتطلق على معنيين أحدهما أن يكون
بالفعل نحو من عليه أثقله بالنعمة ومنه ولقد من الله على المؤمنين
الثاني أن يكون بالقول وهو عد الإحسان وهو مستقبح وهذا أصل المنة
هدم الصنيعة إلا عند الكفران وقال بعض العلماء المنة تذكير المنعم
للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالى يا بني إسرائيل
اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم في غير موضع من كتابه وهي صفة
مدح للحق سبحانه تعالى وإن كانت صفة ذم للخلق والسبب في
كون كل منعم سواه يحتمل أن يتوقع لنعمته جزاء ويستفيد كالأبعد

إليه مما أفاده ويمنع من يعمل بنعمته ويتوقع جزاء أن يمن بها أو يماثل
المن من التطاول بما يتأذى به المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد نفسه
لقبول رحمة الله وجزائه ولذلك ورد النهي عن المنة في قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فجعلهما سببا لبطلان
الصدقة أي عدم استحقاق ثوابها وفيه نظر فقد ورد في الدعاء عنهم عليهم
السلام تنزيهه تعالى عن الامتنان بالمعنى المذكور كقول علي بن الحسين
عليهما السلام في دعائه لطلب الحوائج ويا من لا يكدر عطاياه بالامتنان
وفي دعاء وداع شهر رمضان إن أعطيت لم تشب عطاءك بمن وذلك
لأن الامتنان بالمعنى المذكور لما كان رذيلة ناشئة عن دناءة النفس
وصغر الهمة واستعظام النعمة والإحسان كان تعالى منزها عنه
لأن كل نعمة من نعمه تعالى وإن عظمت وكل عطية من عطاياه وإن
جلت بالنسبة إلى العبد والمنعم عليه فهي حقيرة بالنسبة إلى عظمته
تعالى وشأنه جلت قدرته أجل أن يكون لها عنده موقع فيمن بها
ويعتد على من أعطاه وأنعم عليه فقوله إن المن بالمعنى المذكور
صفة مدح للحق سبحانه وإن كان صفة ذم للمخلوق ليس بشيء و
عبارة الدعاء تشهد ببطلانه واعلم أن النوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء
أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس عن
أفعالها لعدم انصباب الروح الحيواني إليها واليقظة زوال تلك الحالة وقيل
إن الروح الحيواني وهو الجوهر البخاري اللطيف الحاصل من لطيف الأغذية
المنتشر في الأعضاء والعروق وبسببه يحصل للأعضاء قوة الحس و
الحركة وهو مركب الروح الإنساني إذا انتشر في جميع أجزاء البدن ظاهره

وباطن تحصل الحس والحركة وهذا هو اليقظة وان بقى فى الباطن ولم يصل
الى الظاهر تعطلت الحواس الظاهرة وهذا هو النوم وبقاؤه فى الباطن
يكون لاسباب منها طلب الاستراحة عن كثرة الحركة ومنها انحلاله بسبب
الافعال الكثيرة الصادرة من الحواس فتشتغل الطبيعة بنضج الغذاء ليتحلل
الروح من لطيفه ومنها انسداد المجارى فان الانسان اذا شرب الشراب صعد
تصاعدت الابخرة من المعدة الى الدماغ ونزلت الى الاعضاء فملأت المجارى
وانسدت فلا تنفذ الروح على النفوذ كما ينبغى وربما كان اكل الطعام سببا
للنوم لهذا **وكف الكفار السوء عنه وعن سلطانه** السبب
حيثما غابت حين ما انا منى من شر ما نذرا ومن شر ما برا ومن شر كل دابة هو
اخذ بناصيتها من العقارب والحيات والهوام وغيرها من الموذيات
الانسية والجنية والكف المنع يقال كففت الرجل عن الشيء فكف يتعدى
ولا يتعدى وهو الذى كف ايديهم عنكم والاكف جمع كف وهى الراحة مع الاصابع
سميت بذلك لانها تكف الاذى عن البدن وفى القاموس الكف اليد او الى
الكوع والجمع اكف وكفوف انتهى وقال المرفق الاكبر يصف النساء البشر
مثل الوجوه دنانير واطراف الاكف عنم وفيه تجنيس محرف كما فى جبة
البرد جنة البرد وبيانه انه اذا اختلف لفظا المتجانسين فى اعداد الحروف
بان يكون حروف احدهما اكثر من الاخر بحيث اذا حذفنا الزائد اتفقا فى النوع
والهيئة والترتيب سمى الجناس ناقصا لكن هنا بعد الحذف يصير منحرفا لا يتطرف
احد اللفظين عن هيئة الاخر والسوء بضم السين وفتحها ما يسوئك ويحزنك
وقرئ قوله تعالى عليهم دائرة السوء بالوجهين وقيل هما لغتان من ساءه يسوءه
اذا احزنه ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى

الشر وكلاهما فى الاصل مصدر وقيل هو بالفتح مصدر وبالضم اسم منه
وقيل المفتوح الرداءة والفساد والمضموم الضرر والشر وقيل السوء
فى الاصل مصدر ساءه يسوءه اذا احزنه يطلق على جميع المعاصى سواء
كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلها فى انها تسوء صاحبها
بعواقبها والظرفان متعلقان بكف ويده تعالى قدرته لانها تستعمل مجازا
تارة فى القدرة واخرى فى النعمة وعن الباقر عليه السلام اليد فى كلام العرب
القوة والنعمة والسماء بنيناها بايد وقوة ولفلان عندى ايادى كثيرة
فواضل واحسان وله عندى يد بيضاء اى نعمة والسلطان مصدر
بمعنى الغلبة والتسلط والقدرة ومنه قوله تعالى فانفذوا لا تنفذون الا
بسلطان اى بقوة وقهر وغلبة وقد يجى بمعنى الحجة والدليل لتسلطه على
القلب واخذه بعنانه فالعطف تفسيرى او قريب منه وفى الكلام استعارة
مكنية وتخييلية ومجاز مرسل وترشيح له وهو قوله كف والترشيح عندهم
بما يقرن بلفظ المشبه به ولا بالاستعارة المبنية على التشبيه لتصريحهم
بانه انواع لكن ترشيح للمجاز المرسل الذى فى اليد ولا تشبيه فيه اصلا كما
اما تفسيرهم له بذكر ما يلائم المشبه به فانما هو فى الترشيح الذى فى الاستعارة
وكذا ما ذكروا من الاقتران بلفظ المشبه به فالمراد انه كل فيما اذا كان فى
الكلام تشبيه صرح بذلك بعض المحققين والاولى ان يكون تلك جارية
على سنن التمثيل الذى يسميه اهل البيان تمثيلا تخييليا اى الايقاع
فى الخيال بتصوير المعانى العقلية بالصور الاعيان الحسية لكونها اظهر
حضورا واكثر خطورا وهذا ما قال الحكماء ان الناس للتخييل اطوع منهم
للتصديق فاكثر ولمن استعمال القضايا المخيلة فى مقام الترغيب والترهيب

والاستماحة والاستعطاف ونحو ذلك وهي وان كانت ترى بحسب
الظاهر كاذبة فليست بكاذبة لان القصد منها تشبيه تلك الحال بحال
من تعرض له تلك الصورة الحسية مثلا مثل حال كلائه وسلطنه
قدرته تعالى على دفع العاهات والآفات والمؤذيات عن العباد بحال
من يكون له يد بكف بها الاذى عن غيره ويحفظه ويحرسه من غير ان
يذهب بها الى جهة حقيقية ما النسبة اليه تعالى كما يذهب اليه المجسمة
او مجاز بان يراد باليد القدرة وانما المراد بالمفردات يحصل ذلك
في نفسها كما في قولك اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى لكن لا ما النسبة الى
الممثل بل ما النسبة الى الممثل به وهو باب جليل في علم البيان عليه يحمل
كثير من متشابهات القران كقوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم
القيمة والسموات مطويات بيمينه والسماء بنيناها بايد قال صاحب
الكشاف ان ذلك تمثيل وتصوير لعظمته تعالى وتوقيف على كنه جلاله
من غير ذهاب بالقبضة واليمين والايدي الى جهة حقيقية او مجاز بل
يذهب الى اخر الرتبة والخلاصة من الكلام من غير ان يتحمل بمفرداته حقيقة
او مجازا كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان
اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط وشدد النكير على من تاول
القبضة بالملك واليمين والبد بالقدرة وقال انه من ضيق العطن و
المسافة من علم البيان مسافة العوام قال وكم اية من ايات الله في التنزيل
وحديث من احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتاويلات الغثة
والوجوه الركيكة واعتذر الشيخ عبد القاهر من تاويلهم القبضة بالملك
واليد بالقدرة ونحو ذلك انا الغرض منه ان لا يقع السامع في التشبيه





والتجسيم وتمايتنبه على كون الكلام للتصوير والتمثيل

صل اللهم على الدليل اليك في الليل الاليل

لما كانت النفوس البشرية في الاغلب منغمسة في العلائق البدنية الحاصلة
بسبب تدبير البدن وتكميله مكدرة بالكدورات الطبيعية الناشية من
القوة الشهوية والغضبية وكان ذات المفيض عز اسمه في غاية التنزه
عنها ولم يكن بينهما بذلك مناسبة موجبة لفيضان كمال وجب عليها
في استفاضة الكمالات واستنجاح المطالب والحاجات من تلك الحضرة
المنزه التوسل الى متوسط يكون ذا جهة التجرد والتعلق ليقبل ذلك المتوسط
الفيض منه بتلك الجهة الروحانية التجردية وتقبل النفس منه بهذه
الجهة الجسمانية التعلقية فلذلك وقع منه عليه السلام في مقام التعليم
التوسل الى المويد بالرياستين مالك ازمة الامور في الجهتين والى ابنائه
الذين قاموا مقامه بافضل الوسايل واكمل الفضائل احرى الصلوة عليه
اصالة وعليهم تبعا قال يا من هذا الفتح ذكرناه شانه صل عليه وعليهم
على ان يكون اللهم بدل يا من دلع واخواته المذكورة او هو استيناف كلام وما
قبله تعداد صفات تقديما للوسيلة على طلب الحاجة والصلوة اصلها
الدعا ولكنها منه سبحانه مجاز في الرحمة والمشهور انها منه تعالى الرحمة و
من الملائكة الاستغفار ومن المومنين الدعاء وقال بعض المحققين والنحو
انها يستعمل في قدر مشترك بينها وهو الامداد لان المدد كما يصل من فوق
بالافاضة يصل من تحت بالاستفاضة وانما عدلنا عن ذلك لاستلزامه
الاشتراك والمجاز خير منه والمناقشة بان العطف في قوله اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة يدل على تغايرهما ولذا جعلها بعضهم بمعنى الرحمة

منتفعة بان التصريح بالجملة بعد ارادة المجاز يفيد تقويته المقصود
على ان العطف لا يدل على المغايرة مطلقا فان من اقسامه عطف الشيء على
مرادفه وقد عد بعضهم منه الاية وقوله تعالى انما اشكو بثي وحزني الى
الله وقوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا وغاية السؤال بالصلوة عائدة
الى المصلي كما يدل عليه صحيحة صفوان بن يحيى المذكورة في الكافي في باب العطاس
قال كنت عند الرضا عليه السلام فعطس فقلت صلى الله عليك ثم
عطس فقلت صلى الله عليك وقلت له جعلت فداك اذا عطس مثلك
يقال له كما يقول بعضنا لبعض يرحمك الله او كما نقول قال عليه السلام
نعم قال اليس تقول صلى الله على محمد وال محمد قلت بلى قال ارحم محمدا وال
محمد قال بلى وقد صلى عليه ورحمه وانما صلوتنا عليه ورحمة
لنا وقربة وكفى ان الله تعالى قد اعطاه اعلاء الكلمة وعلو الدرجة
ورفع المنزلة ما لا تؤثر فيه صلوة مصل ولا دعاء داع وقد اوضحنا
الكلام فيه في تعليقاتنا على الايات الاحكامية المنسوبة الى الفاضل
الاردبيلي رحمه الله وقيل بل غاية الصلوة طلب زيادة كماله صلى الله
عليه واله وقربه من الله اذ لا نهاية لاستحقاق نعم الله عز وجل غير متناهية
وقيل معنى الصلوة عليه تعظيمه في الدنيا باعلاء كلمته وابقاء شريعته
وفي الاخرة بتضعيف مثوبته والزيادة في رفع درجته وهل يجب الصلوة
عليه عند ذكره على الذاكر والمذكور عنده ظاهر كثير من الاخبار كقوله
صلى الله عليه واله من ذكرت عنده ولم يصل علي دخل النار وقوله
من ذكرت عنده فنسي الصلوة علي خطي به طريق الجنة وقوله من
ذكرت عنده ولم يصل علي فدخل النار فابعده الله الوجوب لمكان الوعيد

الدال عليه وهو مختار الصدوق والمقداد من اصحابنا والطحاوي من
العامة وقال الزمخشري وهو الذي يقتضيه الاحتياط ومنهم من اوجبها
في كل مجلس مرة ومنهم من اوجبها في العمر مرة وهذه اقوال لا مستند لها
فالقول بها تحكم والاولى وجوبها عند كل ذكر للاخبار الكثيرة الصريحة
بالامر بها كلما ذكر والاصل في الامر الوجوب واما القول بالاستحباب مطلقا
كما ذهب اليه جماعة مستدلين بالاصل والشهرة المستندين الى عدم
تعليمه صلى الله عليه واله للمؤذنين وتركهم ذلك مع عدم نكير عليهم
كما يفعلونه الان ولو كان لنقل ففيه ان عدم التعليم ممنوع وكذا عدم النكير
كعدم النقل لما في الكافي عن الباقر عليه السلم اذا اذنت فافصح بالالف و
الهاء وصل على النبي صلى الله عليه واله كلما ذكرته او ذكره ذاكر في
اذان وغيره على ان عدم النقل لا يدل على عدمه واصالة البراءة لا يصح
التمسك بها بعد ورود القران والاخبار هذا واسمه تعالى من حيث هو
اسمه يتعلق به اهتمام واعتناء وقد تعرض له بحسب المقامات عناية
اخرى كقصد الاختصاص مثلا فاذا اجتمعت العنايتان كما في التسمية
قدم لا محالة واذا انفردت الاولى عن الثانية فان لم يعارضها ما هو
اولى بالاعتبار قدم ايضا والا فلا كما في اقرء فانه قد عارضها العناية با
لقراءة مع رعاية الاصل الذي هو تقديم العامل وهذا بعينه ما نحن
بصدد بيانه فانه قد عارضها العناية بالصلوة عليه واله مع رعاية
الاصل فلا جرم قدمت عليه وكذا الحال في سائر الفقرات الاتية والمشهور
ان اللهم اصله يا الله حذف منه حرف النداء وعوض عنه الميم المشددة ولذا
لا يجتمعان وهذا من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف

والدليل فعيل من دله على الطريق اذا هداه اليه وارشده له وعلى الدليل
متعلق بيصل وهو من ابنية المبالغة يعني كلما تكررت الضلالة من
السالك تكررت منه الدلالة والهداية وانما علق الصلوة على كونه
دليلا وما سواه وغيرهما فيما سيلحق عنه هذا البدل بذلك ان استحقاقه
لها انما هو لاتصافه بتلك الاوصاف ولذا ترك التصريح بالاسم وهو الاعرف
والاشهر اذا الوجه فيما ادعاه نعيته ولئلا يتوهم لا يذهب والاوصاف
هذه الى غيره ثم الظاهر انه عليه واله السلام دليل وضعي وان كانت دلالته
عقلية لانه انسان كامل بعثه الله الى خلقه ليبلغ احكامه ويبين كلامه
ويعين مراده بايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا ولما تضمنه معنى الهادي او الداعي عداه بالى
والانسب استعماله بعلى والى يتعلق به وفيه حذف وايضا الى الحق فذلك
ورضوانك ومرضاتك وجنانك ودليل الحذف هو العقل الى تعيين المحذوف
فلانه المقصود الاصلي من بعثة الرسل وفيه تمثيل للتحلي على قياس ما ترجح
الفقرة السابقة بعرفه من له ادنى مسكة بالبيان اذا تامله والدليل لا كذلك
على طريقه ظل ظليل وداهيه دهياء وشعر شاعر وصفته انهم ليشفقون
من لفظ النبي الذي يريدون المبالغة في وصفه مما يشتقونه تاكيدا وتنبيها
على تناهيه في ذلك وذلك انه صلى الله عليه واله قد بعث على فترة من
الرسل واختلاف من الملل وانقطاع من السبل ودروس من الحكمة و
طموس من اعلام الهدى والبينات فبلغ رسالاته وصدع بامره وادى
الحق الذي عليه فهو دليل اليه وسلم به برهان اليه صلى الله عليه واله
قال صاحب الدعاء جعلت له الفداء بعث الله محمدا لانجاز عدته وتمام

بنوته

نبوته ماخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده واهل الارض
يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرايق متشتتة بين مشبه لله بخلقه
او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهداهم من الضلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة
انتهى والية يشير قوله جل وعلا هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي
ضلال مبين وسياتي في ذلك كلام ابسط من ذلك ان شاء الله العزيز وفي
الكلام استعارة مصرحة حيث شبه الفترة وما فيها من البدعة والجهالة
والضلالة بالليل لكونه جاعلا الماشي فيه يمشي في الظلمة فلا يهتدي الى الطريق
ولا يامن ان ينال مكروها ثم ذكر المشبه به واراد به المشبه وفيه دلالة على
ان هذا الدليل انما ظهر من قبيلة ما كانوا من اهل العلم ولم يكن من بلده ما كان
فيها من احد من العلماء بل كانت الجهالة غالبة عليهم فاذ نخرج من هذه البلدة
ومن مثل هذه القبيلة انسان من غير ممارسة شيء من العلوم ولا التلمذ لاحد
من العلماء ثم بلغ في معرفة ذات الله وصفاته وافعاله واسمائه الى هذا المبلغ الذي
يعجز جميع الاذكياء من العقلاء عن القرب منه بل اقوى ولو اكابانه لا يمكن ان يزداد في
في تقرير الدليل على ما ورد في القران ثم ذكر قصص الاولين وتواريخ المتقدمين
بحيث لم يتمكن احد من الاعداء ان يقول انه اخطا في شيء منها او طالع كتابا او تلمذ
استاذا او كانت هذه الاحوال الظاهرة معلومة للاصدقاء والاعداء فكل من له
قلب سليم وطبع مستقيم اذا تامل ادنى تامل يعلم ان هذه الاحوال لا يتيسر
الا بالتاييدات الالهية والعطايا الربانية والى ذلك يشير قوله

والماسك من اسبابه بحبل الشرف الاطول

عطف على الدليل وكذا ما يلي من الجملتين معطوفتان عليه من باب عطف

الصفات بعضها على بعض لاتحادها في الموصوف وتغايرها في المفهوم و
يوجد في بعض النسخ المتمسك يقال مسكه وامسك ومسك وتمسك احتبس
واعتصم به والمسكة بالضم ما يتمسك به والمسك كالبخل وزنا ومعنى من
يمسك ما في يده ولا يعطيه احدا وكلمه بتعيضيه والسبب في الاصل
حبل يتوصل به الى الماء ثم استعير لكل ما يتوسل به الى المطلوب من
القدرة والعلم والالة وغيرها وهذا معنى ما ورد في بعض الادعية
يا مسبب الاسباب من غير سبب واتيناه من كل شيء سببا وتقطعت
بهم الاسباب اي الوصل والمودات والعرب تشبه النور الممتد با
لحبل ومنه ما ورد في صفة القران كتاب الله حبل ممدود من السماء الى
الارض اي نور ممدود يعني نور هداه وفي خبر اخر وهو حبل الله المتين اي
عهده وامانه الذي يؤمن من العذاب والحبل العهد والميثاق واضافة
الحبل الى الشرف اضافة الذهب الى الاصيل والشرف بفتحتين القدر و
القيمة والرفعة والعلو ومنه الاستشراف وهو ان تضع يدك على حاجبك
وتنظر كالذي يستظل من الشمس ليتبين الشيء كانه ينظر اليه من موضع
مرتفع فيكون اكثر لادراكه شرف ككرم فهو شريف وشرفه تشريفا اعلاه
واصله من الشرف وهو المكان المشرف العالي ثم استعمل في القدر والمنزلة
مجازا قال في الاساس ومن المجاز لفلان شرف وهو علو المنزلة وشرفه الله و
المراد بالحولية انما شرف من سائر الكتب السماوية واجمع منها علما وبيانا
وهو معجز دونها وهو حبل وثيق عروته ومعقل منيع ذروته وفي الكلام
استعارة مصرحة حيث انه استعار له الحبل من حيث ان التمسك سبب
للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي واستعار

للوثوق

للوثوق به والاعتماد عليه التمسك والاعتصام ترشيحا للمجاز فاعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا هذا اذا كان المراد بحبل الله كتابه واما اذا
كان المراد به دينه فشرافته والحولية ظاهرة لانه صلى الله عليه واله
لما كان خاتم النبيين كانت شريعته الغراء وملته البيضاء باقية الى يوم
الدين او يقال ان الحبل الاطول كناية عما هو اقوى واحكم في الايصال الى المطلوب
والاول هو المتبادر والمنساق الى الذهن وهو الاكمل

والناصع الحسب في ذروة الكاهل الاعبل

الناصع الخالص من كل شيء ومن الالوان احسنها ونصع الامر نصوعا وضح
ولونه اشتد بياضه ويقال للذي فيه حمرة من صفرة احمر ناصع والحسب
في الاصل الشرف بالاباء وما يعده الانسان من مفاخرهم وقيل الحسب و
الكرم يكونان في الرجل وان لم يكن لهما اباء لهم شرف والشرف والمجد لا يكونان
الا في الاباء ومنه الحديث حسب الرجل نقاء ثوبه اي انه يوقر لذلك
حيث هو دليل الثروة والجدة وبالجملة الحسب عبارة عن شرف الانسان
مكارمه ومناقبه كالشجاعة والسخاوة وحسن الخلق قال رسول الله صلى الله عليه واله
الحسب الافتخار اي انا لا افتخار بهذه الحسب ولذا قال سيد البشر على ما روى
عنه في الخبر انا سيد ولد ادم ولا فخر والذروة بالضم والكسر اعلى سنام البعير
وذروة كل شيء اعلاه ومنه الحديث على ذروة كل بعير والكاهل من البعير مقدم
ظهره وهو الذي يكون عليه المحمل والمذكور في كتب الادب انه ما بين
الكتفين ويجمع على كواهل ويقال فلان كاهل بني فلان اي عمدتهم
في الملمات وسندهم في المهمات وفي القاموس الكاهل كصاحب
الحارك او مقدم اعلى الظهر مما يلي العنق وهو الثلث الاعلى وفيه ست فقر

او موصل العنق في الصلب والحبل الضخم من كل شيء والعبلاء مجان بمعن قال
الشاعر كانما لامنها الاعبل فكانما استعير الباطن لخلوص الحسب والنسب
والخلق والخلق ولما كان الناصع ناصعا معنى لو يحمل او يقال انه مضاف الى
الحسب بناء على تقدير اعتبار الاضافة على دخول اللام كما هو مذهب الفراء
واضافة الذروة لاميه والاعبل صفة الكاهل والمعنى صل اللهم
على من وضحت وخلصت مفاخره الجسمانية والروحانية من شائبة
نقص وقدح حال كونها ثابتة في اعلى محل واشرف موضع واحفظ مكان
لا يمكن ان يناله يد طاغية فتشبيه الحسب وهو من المعاني المعقولة
بالاجسام المحسوسة تشبيه معقول بمحسوس مبالغة في وضوحه و
ظهوره وعدم خفائه كانه امر محسوس مشاهد وكذا في اسناد الخلوص
والوضوح اليه وكونه في ذروة الكاهل في وصفه بالعبل علاوة
تاكيد ومبالغة في وضوحه وعدم انكاره والقدح فيه كيف وله
بل للنبي صلى الله عليه وآله مفاخر عزيزة ومآثر كثيرة لا يحيط بها
حد ولا يحصيها عد فان البحر لا ينزف وسر الغيب لا يعرف منها تسبيح
الحصاة وحنين الجذع واشباع الخلق الكثير من الطعام اليسير وانشقاق
القمر ونبوع الماء من بين اصابعه وشكاية الناقة وشهادة الشاة
المسمومة وتكلم الضب وظل الغمام ورؤيته من خلفه وسماع الصوت
نائما والتكلم بكل لسان والعلم بالسنة الطيور والوحوش وكل ما يدب
على الارض وما كان من حال ابي جهل وصخرته حين اراد ان يضرب على راسه
وما كان من شاة ام معبد حين مسح على ضرعها وانه ما كان للذباب وقوع عليه
ومع اصلا وكان مع اهلها في غاية الرفع ومع الفقراء واهل المسكنة لديه

في غاية

في غاية التواضع وكان في اعلى مراتب الفصاحة والبلاغة حتى قال اوتيت
جوامع الكلم ولم يسمع منه لا في مخاشنة الدين ولا في مهمات الدنيا كذب
قط ولم يقدم على قبيح قط ولم يعرض من عدو قط وكان عظيم الرافة على امته
حتى كاد ان يذهب نفسه عليهم حسرات وكان في اعلى درجات السخاوة
حتى عوتب بلا تبسطها كل البسط وقصة قلة عباس لما اسر يوم احد
ودعاء الشجرتين في قتال بني قريظة لما اراد قضاء الحاجة وضمان الطينة
من ضيائها وشفاء رمد ابن عمه صلوات الله عليهما والقتال يوم خيبر
بريقه الى غير ذلك من معاجز ومآثر الغير المحصورة مشهورة وفي
كتب السير والاخبار مسطورة ويحتمل ان يكون قوله صلوات الله عليه
في ذروة الكاهل الاعبل اشارة الى انه صلوات الله عليه وآله مع انه كان
خالص الحسب وواضح النسب كان في ظل حماية عمه ابي طالب وكنف رعايته
وهو الذي يسود القريش بعد ابيه عبد المطلب وربى النبي حق تربيته
وحماه جدا وكف عنه اذى المشركين وشر المنافقين فكان كاهل قومه و
عمدتهم في الملمات وسندهم في المهمات ففي الكافي في رواية صحيحة
عندي وحسنة على المشهور بابرهيم بن هاشم القمي عن ابيه عن ابن ابي عمير
عن هشام بن الحكم عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال بينا النبي صلى الله
عليه وآله في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد فالقى المشركون عليه سلى
ناقة فملؤا ثيابه بها فدخله من ذلك ما شاء الله فذهب الى ابي طالب فقال له يا
عم كيف ترى حسبي فيكم فقال وما ذاك يا ابن اخي فاخبره الخبر فدعا ابو طالب
حمزة واخذ السيف وقال لحمزة خذ السلا ثم توجه الى القوم والنبي معه
فاتى قريشا وهم حول الكعبة فلما راوه عرفوا الشر في وجهه ثم قال لحمزة امر السلا

ويمكن

على اسبابهم فضل ذلك حتى اتى على آخرهم ثم التفت ابو طالب الى النبي
فقال يا ابن اخي هذا حسبك فسأوقيه عنه عليه السلام قال لما ولد
النبي صلى الله عليه وآله مكث اياما ليس له لبن فالقاه ابو طالب على ثدي
نفسه فانزل الله فيه لبنا فرضع منه اياما حتى وقع ابو طالب على حليمة
السعدية فدفعه اليها وفيه عنه عليه السلام قال لما توفي ابو طالب نزل جبرئيل
على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمد اخرج من مكة فليس لك بها
ناصر وثارت قريش بالنبي صلى الله عليه وآله فخرج هاربا حتى جاء الى جبل
بمكة يقال له الحجون فصار اليه والاخبار والقصائد في ذلك من طرق
العامة والخاصة اكثر من ان تحصى روى الثعلبي في سورة الانعام في
تفسير قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه باسناده قال قال مقاتل
نزلت في ابي طالب واسمه عبد مناف وذلك ان النبي كان عند ابي طالب
يدعوه الى الاسلام فاجتمعت قريش الى ابي طالب يدعون سوء بالنبي
فقال ابو طالب والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت قبل امينا
وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا والى
ذلك اشار عليه السلام بقوله والناصح الحب في ذروة الكاهل الاعبل

والثابت القدم على زحاليفها في الزمن الاول

الثبات القرار وعدم العثر في الغالب والقدم معروفة وهي الرجل كما
في القاموس مؤنث سماعي والالف واللام فيها عوض عن المضاف اليه
او قدمه وحمل كلمة على على معنى مع يعطي من المبالغة ما لا يعطيه حملها

على معناها يعرفه العاقل اذا تأمله والزحاليف كالاكاليب والزحلوفة
موضع تزل فيه الاقدام ولا تكاد تثبت بوجه وفي القاموس الزحلوفة مكان
منحدر املس وفي مجمع البحرين الزحاليف جمع زحلوفة وهي المكان المنحدر
الاملس ومنه في وصفه صلى الله عليه وآله الثابت القدم على زحاليفها
في الزمن الاول اي قبل النبوة والضمير للدنيا وان لم يجر لها ذكر لمعلوميتها
والكلام استعارة ترشيحية والاضافة لامية والزمن لفظ مفرد مقصور
من الزمان كم وثم ولو وفي الزمن الاول يتعلق بالثابت والمعنى صل اللهم
على من كانت قدمه ثابتة غير زالة في الزمن الاول فان حملت القدم
على ما هو المعروف منها وهو الرجل فالمراد بالزمن الاول صدر الاسلام وقلة
شوكته كيوم احد ويوم الاحزاب فانه عليه وآله السلام كان قوي
القلب فارسا كميا شجاعا في الحروب محاميا واثقا بالله وبمواعيده لم
يفر من احد من اعدائه قط لا قبل النبوة ولا بعدها وان عظمت البلية
وشدة المحنة الا فيما كان فيه مأمورا من الله بالهرب والفرار لغرض
من المصالح كهربه من قريش في ليلة الغار وعلى هذا فثبات قدمه كناية
عن شجاعته من باب ذكر الملزوم وارادة اللازم فان ثبات القدم في المجال
والمجال للنازل دليل واضح لما دل على الجرأة والشجاعة وقوة القلب و
الجنان فهو كقولك زيد طويل النجاد او كثير الرماد تريد به طول قامته
وغاية جوده وسخاوته وكثرة طبخه وضيافته وان حملتها على قدم الفكر
وثبات الفكر على سبيل الاستعارة بالكناية والتخييل والترشيح فيحتمل
ان يكون المراد بالزمن الاول ما قبل بعثته فان هذا الزمان كان زمان
فترة وجاهلية والناس فيه كانوا عابدين لاصنامهم عاكفين عليها ساجدين

لها وهو عليه وآله السلام كان عارفاً بالله وبصفاته العليا وأسمائه الحسنى
ولم يسجد لصنم أصلاً كما قال انتهت الدعوة إلي وإلى علي لم يسجد أحد منا
لصنم قط فاتخذني نبياً واتخذ علياً وصياً هكذا رواه ابن المغازلي الشافعي في
تفسير قوله لا ينال عهدي الظالمين وتفصيل هذه الجملة أن الخلق في
مقدمه صلى الله عليه وآله كانوا أصنافاً من عليه اسم الشرائع وغيرهم أما
الأولون فاليهود والنصارى والمجوس وكانت أديانهم اضمحلت من أيديهم
وإنما بقوا متشبهين بأهل الملل وقد كان الغالب عليهم دين التشبيه
ومذهب التجسيم كما حكى القرآن الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى
نحن أبناء الله وأحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله والمجوس أثبتوا أصلين أسندوا إلى أحدهما الخير وإلى الآخر
الشر وسموهما النور والظلمة وبالفارسية يزدان وأهرمن وزعموا
أنه جرت بينهما محاربة ثم إن الملائكة توسطت وأصلحت بينهما على أن
يكون العالم السفلي خالصاً لأهرمن الذي هو الظلمة سبعة آلاف سنة
ثم يخلي العالم ويسلمه إلى يزدان الذي هو النور إلى غير ذلك من هذيانهم
وخبطهم وأما غيرهم من أهل الأهواء المنتشرة والطوائف المتشتتة فمنهم
العرب أهل مكة وغيرهم وقد كان منهم معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل
أما المعطلة فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة وقالوا بالطبع المحيي
والدهر المفني وهم الذين حكى القرآن عنهم وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وقصروا الموت والحياة على تحلل
الطبائع المحسوسة وتركبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما
لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء

الخلق

الخلق عنه وأنكروا البعث والإعادة وهم المحكي عنهم في القرآن الكريم
وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم وصنف منهم
اعترفوا بالخالق ونوع من الإعادة ولكنهم عبدوا الأصنام وزعموا أنهم
شفعاؤهم عند الله ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم أصحاب اللات بالطائف
وقريش وبنو كنانة وغيرهم أصحاب العزى ومنهم من كان يجعل الأصنام
على صور الملائكة ويتوجه بها إلى الملائكة ومنهم من كان يعبد الملائكة
وأما المحصلين فقد كانوا في الجاهلية على ثلاثة أنواع من العلوم أحدها
علم الأنساب والتواريخ والأديان الثاني علم تعبير الرؤيا الثالث علم الأنواء
وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن النبي صلى الله عليه وآله
من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما أنزل على محمد ومن غير العرب البراهمة
من أهل الهند ومدار مقالتهم على التحسين والتقبيح العقليين والرجوع
في كل الأحكام إلى العقل وإنكار الشرائع وانتسابهم إلى رجل منهم يقال له
براهام ومنهم أصحاب البددة والبد عندهم شخص في هذا العالم لا يولد ولا
ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم أصحاب الفكر وهم أهل
العلم منهم بالفلك وأحكام النجوم ومنهم أصحاب الروحانيات الذين أثبتوا
وسائط روحانية تأتيهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب
فأمرهم ونهاهم ومنهم عبدة الكواكب ومنهم عبدة الشمس ومنهم عبدة
القمر وهؤلاء يرجعون بالآخرة إلى عبادة الأصنام إذ لا يستمر لهم طريقة
إلا بشخص حاضر ينظرون إليه ويرجعون في مهماتهم إليه ولهذا كان أصحاب
الروحانيات والكواكب يتخذون أصناماً على صورها فكان الأصل في وضع

الاصنام ذلك انه يجعل من له ادنى فطنة ان يعمل خشبا او حجرا بيده ثم يجعله
الها الا ان الخلق لما عكفوا عليها وربطوا حوائجهم بها من غير اذن شرعي ورد
من الله كان عكوفهم عليها وعبادتهم اياها اثباتا لالاهيتها وقس على ذلك من اصناف
الآراء الباطلة والمذاهب الباطلة المزلة للاقدام اكثر من ان يحصيها لسان
الاقلام او يعلمها الا الله العلام واليه الاشارة بقوله عليه السلام والثابت
القدم على زحاليفها في الزمن الاول ويمكن ان يكون المراد بهذا الزمان بدء
فطرته واول زمان خلقته صلى الله عليه وآله فانه اول من اقر بربوبيته تعالى
ووحدانيته على ما دلت عليه اخبار جمة منها ما روي عن ابي عبد الله عليه
السلام ان بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله باي شيء سبقت
الانبياء وانت بعثت آخرهم وخاتمهم فقال اني كنت اول من آمن بربي واول
من اجاب حيث اخذ الله ميثاق النبيين واشهدهم على انفسهم الست بربكم فكنت
اول نبي قال بلى فسبقتهم بالاقرار بالله عز وجل ويحتمل ان يكون اشارة الى
عصمته وطهارته صلى الله عليه وآله وعدم خطائه في امر الدين والدنيا
من مهده الى لحده والله اعلم بمقاصد اوليائه فان كلامهم صعب مستصعب
ذو وجوه ومخارج لا يعقلها الا العالمون

وعلى آله الاخيار المصطفين الابرار

آل الرجل اهله وعياله وآله صلى الله عليه وآله عندنا الائمة من
عترته الطاهرة من اهل العصمة عليهم السلام ولا وجه لتخصيص الشهيد
الثاني في شرحه على اللمعة باصحاب الكساء وهم علي وفاطمة وابناهما
الحسن والحسين عليهم السلام ثم قال يطلق تغليبا على باقي الائمة عليهم
السلام **اقول** بل على غيرهم ايضا كما ورد عنه صلى الله عليه وآله آل كل

تقي

تقي ونقي الى آخره كل من يؤول اليه اما بالصورة جسمانيا كالاولاد و
من يحذو حذوهم من اقاربه الصوريين الذين يحرم عليهم الصدقة في شرعه
او بالمعنى روحانيا كالاولاد الروحانيين من العلماء الراسخين والاولياء
الكاملين والحكماء المتألهين المقتبسين من مشكاة انواره سبقوه بالزمان
او لحقوه ولا شك ان النسبة الثانية آكد من الاولى واذا اجتمعت النسبتان
كان في الائمة المشهورين من عترته الطاهرة عليهم الصلوة الزاكية التامة كان
نورا على نور وكما حرم على الاولاد الصورية الصدقة الصورية حرم على
الاولاد المعنوية الصدقة المعنوية وهي تقليد الغير في العلوم والمعارف
وفي نهج البلاغة عن سيد الفصحاء سلام الله عليه ان اولى الناس بالانبياء
اعلمهم بما جاؤا به ثم تلا ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
والذين آمنوا والله ولي المؤمنين **ثم** قال صلوات الله عليه ان ولي محمد
من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت
قرابته وللعامة في آله صلوات الله عليه وعليهم اختلاف فقيل آله
امته وقيل عشيرته وقيل من حرم عليه الزكوة من بني هاشم وعبد المطلب
وفي هذا الكلام دلالة ظاهرة على ان الخبر المشهور من فصل بيني وبين آلي بعلي
لم ينل شفاعتي لا اصل له ولم نجده في اصل بل ولا في كتاب معتبر ومنهم من
قرأ المكتوب بصورة علي عليه السلام اسما وحمل الباء على السببية واراد
ان من فصل بيني وبين آلي بسبب عداوته وخصومته لعلي لم ينل شفاعتي
والظاهر انه على تقدير ثبوته لابد من حمله على هذا اذ من المستبعد جدا ان
يكون لمجرد ايراد كلمة على بينه وبين آله يلزم الحرمان من شفاعته كيف و
المحروم هو الكافر ويؤيده في رواية اخرى من فرق بيني وبين آلي بعلي لم

بين رايته وجسده يوم القيمة وفيها ايماء لطيف الى انه عليه السلام
من اكمل افراد اله واشرفهم حيث صار منهم بمنزلة راسهم من جسدهم و
يحتمل ان يكون هذا اشارة الى قوله صلى الله عليه واله علي مني بمنزلة
راسي من جسدي على ان الادعية المنقولة عنهم عليهم السلم وخصوصا
السجادية منها ولا سيما ما نقل عنه السلم من ملحقات الصحيفة الكاملة
من ادعية ايام الاسبوع مشحونة باعادة الخافض والفصل بينه وبين
اله بايراد كلمة على وهو المطابق لقواعد اهل الادب قال فخر المحققين ولد
العلامة طاب الله ثراهما في جواب من سأله عن جماعة من اصحابنا ومنهم
من ينتسب الى اهل العلم اذا ذكر بحضورهم سيدنا رسول الله وقيل
صلى الله عليه واله وعلى ينكرون ذلك غاية الانكار ويقولون لا يفصل
بين النبي واله بعلى مع ان النحاة ذكروا ان العطف على المخفوض بغير اعادة
الخافض ضعيف قليل وورد في هذا امر مخصوص يخالف ما عليه النحاة ام
يقول اصحابنا وجه لا وجه لهذا القول بل القول ما قاله النحاة ولولا
اتباع النقل لما جاز الا باعادة الخافض على انه ورد في كثير من الادعية عنهم
عليهم السلم صلى الله على محمد وعلى اله انتهى وقال الفاضل الاردبيلي رحمه الله
في ايات احكامه ان العامة يذكرون كلمة على بعد قوله صلى الله عليه وعلى
اله عنادا وتعصبا لان تركها صار شعار الرفضة فذكرها خير من تركها
انتهى وفيه انه لا ظن ان الشيعة يحافظون على تركها ويلازمونه بحيث صار
ذلك بمنزلة شعارهم وهذا منهم كذب محض وافتراء عليهم وهم برآء منه
قال صلاح الدين محمد المشهور بسبط على المدني واما ما زعمه بعضهم من ان
الشيعة يلزم عدم اعادة الخافض وهو على في مثل هذه العبارة لحديث اروي

وهو من فصل بيني وبين الي بعلي فقد جفاني فزعم محض لا عين له ولا اثر
لا يعرف الشيعة هذا الخبر ولم ترد به رواية من طرقهم ولم يذكروه لا
مسندا ولا منقطعا في شيء من كتبهم كيف والادعية المأثورة عن اهل
البيت عليهم السلم مشحونة باعادة الخافض في مثل ذلك انتهى وقد فصلنا
القول فيه في تعليقاتنا فليطلب من هناك تنبيه واذ قد ثبت جواز
الفصل بينه وبين اله صلى الله عليه واله باعادة الخافض وهو على في
غير صورة العطف على الضمير المخفوض فجوازه في هذه الصورة اولى مع
جمهور البصريين عن العطف على الضمير المخفوض من دون اعادة الخافض و
ايجابهم اعادته فيه نعم ذهب الكوفيون ويونس والاخفش الى عدم
وجوب الخافض في ذلك واختاره الشلوبين وصححه ابن مالك وابو
حيان وجرى عليه ابن هشام في شرح الشذور والتوضيح لثبوت
ذلك في فصيح الكلام كقراءة حمزة واتقوا الله الذي تساءلون به و
الارحام بخفض الارحام عطفا على الضمير المخفوض بالباء وحكاية قطرب
ما فيها غيره وفرسه بخفض الفرس عطفا على الهاء المخفوضة باضافة
غير اليها وقول الشاعر فاذهب فما بك والايام من عجب بخفض الايام عطفا
على الكاف المخفوضة بالباء والى ذلك اشار ابن مالك بقوله في الخلاصة
وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلا وليس عندي
لازما اذ قد اتى في النثر والنظم الصحيح مثبتا والاخيار جمع خير بالتشديد
كميت واكياس او جمع خير بالتخفيف كبين واعيان وهما بمعنى واحد اي
كثير الخير وقيل المخفف في الجمال والمشدد في الدين والصلاح و
الاول هو الاشهر قال الجوهري رجل خير وخير مشددة ومخففة انتهى والخير مثل

هو شيء من اعمال القلب نوراني زائد على الايمان وغيره من الصفات
المرضية يدل على ذلك ما في حديث انه يخرج من النار من قال لا اله الا
الله وكان في قلبه ما يزن مثقال ذرة من خير وقيل هو الوجود ويطلق
على غيره بالعرض وهو اما خير مطلق كوجود العقل لانه خير محض لا يشوبه شر
ونقص واما خير مقيد كوجود كل من الصفات المرضية وقيل هو ما يطلبه
ويتوقع ويختاره كل عاقل وهو ينقسم الى خير بالذات وخير بالعرض والاول
هو الحقيقي ومرجعه الى الوجود البحت والموجود بما هو موجود كالعلم و
الايمان الحقيقيين والثاني ما هو وسيلة الى الاول كالعبادة والزهد
وقيل هو ما يتشوقه كل احد بلا   وهو المختار من اجل نفسه والمختار
غيره لاجله فان الكل مطلبه بالحقيقة الخير وان كان قد يعتقد في الشر انه
خير فيختاره فضده الخير ويضاده الشر وهو المحتوي من اجل نفسه و
المحتوي غيره من اجله والخيرات الخير كلي يندرج تحته جميع الاعمال الصالحة
كما يدل عليه قول امير المؤمنين صلوات الله عليه اهل الخير ولا تحقروا
منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير ويؤيده ما في بعض الاخبار يخرج
منها اي من جهنم قوم لم يعملوا خيرا قط وهؤلاء الذين ليس معهم الا الايمان
انتهى ويقابله الشر فيكون كليا مندرجا تحته جميع الاعمال السيئة
والمصطفين جمع المصطفى اي المختار اسم مفعول من اصطفى طلبا لياء الفاعل
وحذفت بعد انه تعالى اختارهم للامامة والخلافة واذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا فكانوا خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر والابرار اما جمع بر كارباب جمع بار كاصحاب والبر هو العطوف
المحسن وقد يكون بمعنى الصادق ومنه بر يمين فلان اذا صدق وصدق

فلان

فلان وبر يقال بر الرجل بر امثل علم يعلم علما فهو بر بالفتح وبار وهو خلاف
الفاجر وقيل هو الكثير البر اي الخير والاتساع في الاحسان وقال الطريحي هو
الذي يبر الله بطاعته اياه حتى ارضاه وهم عليهم السلام ابرار بجميع هذه
المعاني فانهم من اصدق الناس لهجة واعطفهم عليهم لطفا واحسانا
والخير منهم معروف وهم بالاحسان موصوفون وقد بروا الله بطاعتهم اياه
حتى ارضوه ولما قدم الوسيلة على طلب الحاجة تقربا للمرام الى مقامه
قال وافتح اللهم لنا مصاريع الصباح بمفاتيح الرحمة والفلاح عطف
على صل اللهم وفي بعض النسخ وهو الانسب بالفقرة الآتية الا ان التعميم
في الدعاء اقرب الى الاجابة من التخصيص اذا دعا احدكم فليعم لانه اوجب
للدعاء ثم لما كان من شرائط الاجابة تسمية الحاجة ان الله تبارك وتعالى
يعلم ما يريد العبد ولكنه يحب ان يبث اليه الحوائج وكان هذا الدعاء
موضوعا للاستفتاح في الصباح صرح بذلك للاشارة الى ذلك والفتح
ازالة الاغلاق والمصراعان من الابواب والشعر ما كانت قافيتان في بيت
وبابان منصوبان ينضمان جميعا مدخلهما في الوسط منهما والمفتاح
آلة الفتح وهي ما يفتح به المغاليق والمفتح مثله وكانه مقصور من
الاول وجمع الاول مفاتيح والثاني مفاتح بغير ياء ثم استعير لما
يتوصل به الى الامر ومنه قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو قال الراغب يعني ما يتوصل به الى غيبه المذكور في قوله تعالى
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا والباء فيها للآلة كما في ضربت بالسوط
وكتبت بالقلم الفلاح البقاء والفوز الظفر وهو من افلح كالنجاح من انجح
وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على

الشق والفتح في الكلام استعارة بالكناية وتخييلية وترشيحية حيث
شبه اجزاء الصباح لكونها ظرفا بالمنزل والدار المقفول بجامع عدم العلم
بما فيه من الحوادث الاستقبالية وطوى ذكر المشبه مصرحا بالمشبه
واثبت له المصاريع والمفاتيح ثم ذكر الفتح ترشيحا للاستعارة وهو
استعارة تبعية والاضافة في الموضعين لامية او في الاول لامية و
في الثاني بتقدير من كما في خاتم فضة او بيانية ولا يخفى لطافة تشبيه الفلق
والفلاح بالمفتاح فيكون من اضافة المشبه به الى المشبه ولعل المراد
بمصاريعه طلوع قوس النهار قطعة قطعة اعني انقضاء اجزاء النهار [illegible]
ويمكن ان يقال لما كانت الآفاق المائلة يختلف تطلعها باختلاف عروض
البلدان ولذا اختلفت الليالي فيها فكان لكل افق منها صباح وله مصراع جمعها
بقوله مصاريع الصباح ويمكن اعتباره بالنسبة الى الافق الاستوائي
لكن بالاضافة الى الاشخاص لا بالنسبة الى الانواع ولما كانت الهداية و
الصلاح مقولتين بالتشكيك طلبا اكمل افرادهما وافضل اصنافهما فقال

والبسني اللهم من افضل خلع الهداية والصلاح

البسه الثوب فلبسه وهذا الفعل وما شاكله من الافعال التي
لا يتعلق معناها الحقيقي بالهداية والصلاح من باب الاستعارة التبعية
او شبه ما يغشى الانسان عند كونه متصفا بهما من الفيوضات الربانية
والكرامات الرحمانية باللباس لاشتماله على اللابس ثم استعير له
اللباس فالاستعارة مصرحة حيث اطلق المشبه به على المشبه ويحتمل
ان يكون تبعية واضافة الخلعة الى الهداية اضافة اللجين الى الماء او
بيانية او يقال تشبيه الهداية والصلاح باللباس مكنيتان واثبات

الالباس

الالباس والاخلاع لهما ترشيحان وهم كثيرا ما يشبهون صلاح الرجل
بشعاره وتقواه بدثاره واما هنا فجعل الهداية بمنزلة الشعار والصلاح
بمثابة الدثار وانما سمى اللباس المخصوص بالخلعة لانه يخلع عن البدن اي
ينزع ليعطى ويحتمل فيه ايماء الى ان الصالح والمهتدى مكرمان عنده
تعالى ومعظمان اذ الملك لا يخلع من عبده الا من اراد اكرامه واعظامه
اما تفضلا او لسابقة استحقاقه لذلك والهداية الدلالة على ما يوصل
الى المطلوب او الدلالة الموصلة ولعل الاول اولى وعلى اى تقدير فالمراد
بها هنا الاهتداء اما من باب تنزيل المتعدي منزلة اللازم كما اشرنا
اليه بقرينة عطف الصلاح اللازم عليه او يكون من هدى بمعنى اهتدى
قال الجوهري هدى واهتدى بمعنى وهو بهذا المعنى لازم والمراد
بالاهتداء الاهتداء الى كل حق وصواب والقبول له والعمل به وعدم
الرجوع معه الى باطل وخطاء قال الراغب الاهتداء يختص بما يتحراه
الانسان من الاهتداء على طريق الاختيار اما في الامور الدنيوية او
الاخروية قال تعالى هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها ويقال ذلك
لطلب الهداية نحو قوله تعالى قد ضللت اذا وما انا من المهتدين ونحو
الهدى نحو واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ويقال المهتدى
لمن يقتدى بعالم نحو ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون تنبيها
على انهم لا يعلمون بانفسهم ولا يقتدون بعالم وقوله تعالى فمن اهتدى
فانما يهتدي لنفسه يتناول وجوه الاهتداء من طلب الهداية ومن
الاقتداء وتحريها وقوله واني لغفار لمن تاب وعمل صالحا ثم اهتدى معناه
ادام طلب الهداية ولم يفتر عن تحريها ولم يرجع الى المعصية وقوله اولئك

عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون اى الذين تحروا الحق
وقبلوها وعملوا بها انتهى والصلاح ضد الفساد وخروج الشئ عن الحال
اللائق به والصلاح حصول الشئ على الحالة المستقيمة النافعة وكلاهما
يعمان كل ضار ونافع ولعل المراد به هنا الاوامر والنواهى الشرعية قال
الزمخشرى فى الاساس امر الله ونهى لاستصلاح العباد والصالح هو
الخالص من كل فساد وقيل هو المقيم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق الناس
وكذا قال الزجاج فى معانى القران الصالح هو الذى يؤدى ما افترض الله عليه
ويؤدى الى الناس حقوقهم ولما كانت للهداية انواع مرتبة من
افاضة القوى ونصب الدلائل الفارقة وارسال الرسل وانزال الكتب و
كشف الاسرار على القلوب واراءة الاشياء كما هى اما بالوحى او الالهام طلب
يكون خلعته التى هى الهداية من افضل الخلع فبهذا النوع لان استعمال افضل
مضافا مشروط بان يكون موصوفه بعضا مما اضيف اليه داخلا فيه
بحسب مفهوم اللفظ وان كان خارجا عنه بحسب الارادة لان المقصود
من استعماله هذا تفضيل موصوفه على مشاركيه فى هذا المفهوم العام
وبالجملة المراد بالهداية اما الاهتداء او هداية الله او هدايته لغيره
فيكون المراد بافضلها على الاول الثبات عليها والرسوخ فيها وعلى
الاخيرين الايصال الى المطلوب اذ كان الصحيح انها عبارة عن الدلالة على
ما من شانه الايصال الى البغية من غير ان يشترط فى مدلولها الوصول
لذلك كانت الدلالة التكوينية المنصوبة فى الافاق والانفس والبينات
الواردات فى الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى البرية كافة برها
وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من الله تعالى ويحتمل ان يراد بافضلها

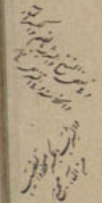
هنا

هنا الهداية الخاصة وهى كشف الاسرار على قلب المهتدى بالوحى او الالهام و
هى مرتبة صاحب الدعاء ومن هو فى رتبته وكذا الكلام فى الصلاح المذكور
فى هذا المقام فلا يرد ان الصلاح اول درجات الصالحين فكيف يليق عن
رتبة الخلافة والامامة ان يطلب الهداية قوله اقول يوسف ع توفنى مسلما
والحقنى بالصالحين فقد قالوا انه اراد بالصالحين من ابائه العظام وان
اراد الالحاق بغاية الصالحين فوجهه ان اجتماع النفوس البشرية بانوار
الالهية له اثر عظيم وفوائد جمة كالمرايا المستنيرة المتقابلة التى يتعاكس
اضواؤها ويتكامل انوارها الى حيث لا يطيقها العيون الضعيفة ولما كان
الاكثر كان الاشراق اظهر ولا يرد عليه نظر ما سبق ذكره فتامل ولا يذهب عليك
انه تعالى قد اجاب دعوته هذه حيث جعله من صالح المؤمنين كما اخبر عنه
بقوله عز اسمه وان تظاهرا عليه فان الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
للاتفاق على ان المراد به فى الاية سيدنا امير المؤمنين صلوات الله عليه و
على ابنائه المعصومين ولما كان الخشوع من احسن صفات الصالحين و
اشرف سمات المهتدين وكان من اسباب اجابة الدعاء ادعوا ربكم تضرعا
وخفية كن يا موسى اذا دعوتنى خائفا مشفقا وجلا وعفر وجهك فى التراب
وابتهل لى بمكارم بدنك واقنت بين يدى فى القيام وناجنى حيث تناجينى
بخشية من قلب وجل التمسه عليه السلام منه تعالى فقال

واغرس اللهم لعظمتك فى شربى ينابيع الخشوع

غرس الشجر يغرسه غرسا وغرسه اثبته فى الارض كاغرسه كذا فى
القاموس والعظمة فى صفات الاجسام كبر الطول والعرض والعمق والله تعالى جل
قدره عن ذلك وهو الذى جاز قدره وجل عن حدود العقول حتى لا يتصور

الاحاطة بكنهه وحقيقته فعظمته جلاله وبعضهم قال وهو
منصرف الى عظم الشان وجلاله قدره القدر وقيل ان عظمته تعالى صفة
اضافية ثابتة له تعالى بالقياس الى اعتقاد العبد وتصوره واثباته
لغيره عز وجل والاطلس لما سواه فوجب وجوده تعالى وجوده حتى يتصف
بالعظمة بالقياس اليه لكن الانسان لا يتصور لنفسه بقوته الوهمية
وجودا مستقلا وبواسطة وجوده الموهوم يثبت للعالم وافراده وجودا
مستقلا ينقص اليها وجود الحق فيصفه بالعظمة ثم بقدر ما يظهر ضعف
وجوده وضعفه وقصور الوجودات الممكنة وضعفها يزيد في نظره عظمة
الحق ولهذا قيل ان ظهور الانسان سبب خفاء الحق في هذا العالم فبعد
ان كان يظهر وجود الحق وعظمته وكبريائه والشرب بالضم الكثير انيما
وبالكسر الماء والحظ منه وفي التنزيل ولها شرب ولكم شرب يوم معلوم
والمراد به هنا العرق الذي به تعيش الفلك وحيوته وشبهه للمعقد
وهو ظرف للغرس والاضافة لامية والجنان بالكسر الجنة وبالفتح القلب
وهو المراد هنا سمي به لاجنانه واستتاره والنبع للماء نبعا ونبوعا خرج
من العين والينبوع العين او الجدول الكثير الماء وينابيع الخشوع مفعول
الغرس والاضافة اما بيانية او لامية او من قبيل اضافة اللجين الى الماء و
الخشوع التذلل والخوف والخضوع وعن النبي صلى الله عليه وآله انه رأى
رجلا يعبث بلحيته في صلوته فقال اما انه لو خشع قلبه خشعت جوارحه
فدل على ان الخشوع كما يكون بالقلب يكون بالجوارح وفي الصحاح خشع ببصره
ولعله عليه السلام شبه جنانه بالجنان اثبت له الشرب وشبه الخشوع
بالاشجار واثبت له الغرس ثم طلب لاسقائه وانمائه الينابيع الا انه جعلها



من متعلقات الغرس توسعا او ضمن الاغراس معنى الابداع او الابداع او اخرج
منبعا او مودعا في شرب جنانه وكان في الاشجار للخشوع بقرينة زفرات
الدموع وفي بعض النسخ لغرس الصدق وهو من الغرامة بمعنى الكره يقال اغرم
القوم اذا اكثر البائن ثوابهم وهو قريب لكن لا يناسبه التعليل بانه تم
وقد بلغنا ان في نسخة كانت بخطه عليه السلام كان فيها الغرس والاشكال
انما هو فيهما اذ الغرس ليس من ملايمات الينبوع وانما الملايم لها الغرس
والنبع وما شاكل ذلك ومن الناس من يقول ان الغرس محمول على التضمين
بمعنى الاخراج بقرينة ينابيع فلها ليست من متعلقات الغرس ولا يصح
ان يكون من معلولاته فاستعماله مع الينابيع يوجب التضمين اي اغرس
مخرجا وبعضه بعضهم بان استعمال الغرس على اصل وضعه الذي هو
غرس الشجر مطلقا وهذا المعنى بعيد جدا غير مانوس على ان التضمين
بهذا المعنى غير مصرح ويمكن ان يقال انه محمول على التجريد فان الغرس
اخراج التراب عن الارض فانه لا الشجر فيها فلو جرد عن الثاني و
استعمل في الاول كان المعنى مستقيما وانما لم يقل اخرج مكان اغرس
لكون الترشيح ابلغ بيانا اي في قوله ينابيع الخشوع استعارة مكنية و
هي انه شبه الينابيع بالبحار رطبة خضرة فاستعير لها الينابيع ولوازم
لها الاغراس الملايم للاشجار المشبهة بها فهي تخييلية وترشيحية
نظيره قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف حيث لم يقل فكساها لان الترشيح
ابلغ وقال صاحب الكشاف في لباس الجوع والخوف استعارة تخييلية وهي
انه شبه ما غشي الانسان عند الجوع والخوف من بعض الحوادث با
باللباس لاشتماله على اللابس ثم استعير له اللباس ومكنية وهي انه شبه

ما يجده من اثر الفرح والالم بما يجده من طعم المر والنبع حتى اوقع عليه
الاذاقة لاذاقة بعض الاطفار للمشبه فتكون تخييلية ولا يخفى ما في هذه
التوجيهات والتأويلات من التكلف والاظهر ان القبحة كانت في الاصل نباتا ينبع
الخشوع بتقديم النون على الباء الموحدة من النبع وهو شجر يتخذ منه القسي
قال ابن الاثير في النهاية قيل كان شجرا يطول ويعلو فدعا عليه النبي صلى الله عليه
وآله فقال لا اطالك الله من عود فلم يطل وفي القاموس النبع شجر للقسي و
السهام ينبت في قلة الجبل وقولهم لو اقتدح بالنبع لاورى شك في جودة
الرأي لانه لا نار فيه وعليه فلا اشكال مع مناسبة التعليل فانه عليه السلام
لما اراد ان يطلب خشوعا كاملا اكثر الافراد بالغا طويلا عاليا على القلب
وعلى جميع الجوارح والاعضاء ليكون التوجه والاقبال على الله تعالى
والخوف منه والاعراض عما سواه دائما مستمرا بحيث لا يشغله شأن عن
هذا الشأن بوسط صفة العظمة ليجعلها وسيلة لطلب ما هو عظيم وهو
الخشوع المشبه بالنبع في طوله وعلوه وعروقه وكثرة جزوعه
ثم لما اراد ان يبالغ في ذلك اشعر بحرصه وجده وجهده فيه جمعه ليكون
اوفى بتأدية المرام وادل على الغرض المسوق له الكلام والمراد اشد ما
حالة تتمكن منها عظمته تعالى في القلب على وجه يغلب الخوف والخشية
على قلبه ويستولي عليه فيستمر بذلك خشوعه واقباله على الله تعالى
بكليته وذهابه اليه بجملته وانما خص الجنان بموضوعية الخشوع لانه
بمنزلة السلطان والجوارح بمنزلة العسكر فاذا توجه السلطان الى جانب
توجه اليه العسكر فمتى توجه القلب الى جناب الله تعالى توجه كل ما
اليه ولذا قال اما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه واعلم ان كلام العرب

وتحزن

والحزن مما يوجب الدمع الا ان الحاصل من الاول بارد ومن الثاني حار لان
الفرح كيفية تتبعها حركة الروح الى خارج البدن قليلا قليلا طلبا للوصول
الى الملذ فاذا تحرك الروح الى الخارج انفصل اجزاء الشؤون والمفاصل
بعضها عن بعض فتخرج الرطوبات الباردة المنصبة في الدماغ والحزن
كيفية تتبعها حركة الروح الى الداخل قليلا قليلا هربا من المؤذي فاذا انحصر
الروح متزاحما نحو الدماغ عصر شيئا من الرطوبات الباقية على سخونتها
السابقة والى هذا القسم اشار بقوله عليه السلام

واجر اللهم لهيبتك في آماقي زفرات الدموع

اذ الهيبة وهي السطوة والخوف يقال هاب الشيء هابه اذا خافه واذا
وقره وعظمه يوجب انقباض الروح كما في صوت الهرب من المؤذي و
قيل الهيبة خوف ناشئ للخضوع عن استشعار تعظيم ولذلك يستعمل في
كل محتشم قال الشاعر اهابك اجلالا وما بك قدرة علي ولكن ملء عين
حبيبها وقال العارفون الهيبة حالة فوق الخوف مقتضاها غيبة القلب
عن علم ما يجري من احوال الخلق بل من احوال نفسه بما يرد عليه من الحق
اذا عظم الوارد واستولى عليه سلطان الحقيقة قالوا وهي لا تكون
الا في كل قلب منيب اواب ولا تلم الا بساحة كل مصلح تواب والموق بضم
وغيره طرف العين الذي يلي الانف وفي نهاية ابن الاثير موق العين
مؤخرها والماق مقدمها وجمع الموق آماق وهي متعلقة باجر ومن
ابتدائية والزفرات بفتح الكسرة الماء والاضافة بتقدير من او من قبيل
اضافة الذهب الى الاصيل حيث شبه الدموع بالزفرات ثم قدمت عليها
واضيفت اليها والدمع ماء العين من حزن او سرور والجمع دموع كالجمع

والدموع والدمعة القطرة منه ولما كان البكاء الى الله سبحانه فرقا او خوفا وضعفا محمودا وفيه مدلا له على رقة القلب التي هي دليل الاخلاص وجمود العين من الشقاوة المؤذنة بالبعد من الله يا موسى لا تطول في الدنيا املك فيقسو قلبك وقاسي القلب مني بعيد وقد ورد ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها الا البكاؤن من خشية الله وما من شيء الا وله كيل ووزن الا الدموع فان القطرة تطفي بحارا من النار فاذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة واذا فاضت حرمها الله تعالى على النار ولو ان باكيا بكى في امة لرحموا اما من قطرة احب الى الله من قطرة دموع في سواد الليل مخافة من الله ولا يراد بها غيره ومن زرقت عينا خشية من الله كان له بكل قطرة من دموعه مثل جبل يكون في ميزانه من الاجر وكان له بكل قطرة عين من الجنة على حافتيها من المدائن والقصور ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر استدعاه من الله عز وجل وطلبه منه ولما كان الخشوع من اسباب الدموع ومن جملة علله فان من غفل قلبه عن الله كيف يدمع عينه مخافة منه قدمها وطلب مقابلها بذلك وليكون الكلام على طبق نظمه الطبيعي ويظهر منه فائدة الخشوع الشرعي **تنبيه** قوله صلوات الله عليه من اماقي صريح في صحة اطلاق صيغة الجمع على الاثنين حقيقة اذ الاصل في الاطلاق هو الحقيقة فما نقل عن صاحب الفتوحات ومدعي الكشف والكرامات انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه واله في بعض الوقائع فسئلته عن اقل مراتب الجمع وقلت ذهب فريق الى انه ثلثة وفريق الى انه اثنان فما الحق فقال اخطا هؤلاء بل ينبغي ان يفصل ويقال الجمع اما جمع الفرد او جمع الزوج فاقل

مراتب الاول ثلثة واقل مراتب الثاني اثنان اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين هذا ولما كان الفقر والفاقة وضيق المعاش يشوش الانسان فيمنعه عن الخشوع والدموع بل قد يحدث فيه طيشا وخفة في عقله لغلبة قواه الحيوانية عليه فيتجاوز بذلك بعض حدود الله ويرتكب محارمه اذا لم يكن قانعا بما يصيبه من الدنيا وكانت القناعة كنزا من خزائن الله عز اسمه استدعاه منه سبحانه ليكون حاجزا له يكف به نفسه عن ذلك فقال

وادبني اللهم بنزق الخرق مني بازمة القنوع

ادبه علمه فتادب والادب محركة حسن التناول ادب كحسن ادبا فهو اديب كذا في القاموس وقيل الادب رياضة النفس ومحاسن الاخلاق وقال ابو زيد الانصاري الادب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل وفي حواشي ملا عبد الغفور اللاري على شرح الجامي الادب ملكة هذا شانه هو حجر ولعله عليه السلام ضمنه معنى الازالة او المنع اي ادبا اللهم مزيلا او مانعا نزق الخرق مني وهو الانسب بالمقام لان القوى الحيوانية لما كانت عاصية عن حكم الشرع خارجة عن حكم العقل فلا بد لها من مانع يمنعها عن ذلك ويقسرها على امره ونهيه وهو تاديب الله ومنعه اياها بازمة القنوع ولذا قال صاحب الدعاء جعلت له الفداء الادب صورة العقل لانه يمنع العاقل عن ارتكاب ما لا ينبغي ارتكابه وانما رجحنا تضمين المنع على الازالة لان الاول مطابق للامر نفسه دون الثاني فان الخلق او الخلق قيل هو غريزي من جبل الخلقة لا يستطاع تغييره خيرا كان او شرا كما قال

وما هذه الأخلاق إلا غرائز فمنهن محمود ومنها مذمم ولن يستطيع
الدهر تغيير خلقه لئيم ولا يستطيعه متكرم وبذلك عليه قوله
صلى الله عليه وآله من آتاه الله وجها حسنا فليشكر الله ومحال أن
يمكن المخلوق تغيير فعل الخالق ولتكليف بتهذيب الأخلاق تكليف بما
لا يطاق وقيل بل هو كسبي لقوله صلى الله عليه وآله حسنوا أخلاقكم
فلو لم يكن كسبيا لما أمر به ولأنا نرى كثيرا من الناس يزاولون ويمارسون
خلقا من الأخلاق حتى يصير ملكة وقيل الحق أن أصله غريزي وتمامه
مكتسب وبيانه أن الله تعالى خلق الأشياء على ضربين أحدهما بالفعل و
لم يجعل للعبد فيه عملا كالسماء والأرض والهيئة والثاني بالقوة
وهو ما خلقه خلقا ما وجعل فيه قوة رشح الإنسان لإكماله وتغيير
حاله وإن لم يرشحه لتغيير ذاته كالنوى الذي جعل فيه قوة النخل و
سهل للإنسان سبيلا أن يجعله بعون الله نخلا وأن يفسده إفسادا لا
والخلق من الإنسان يجري هذا المجرى فإنه لا سبيل إلى تغيير القوة
التي هي السجية والغريزة وجعل له سبيلا إلى إسلاسها ولذا قال تعالى
وقد خاب من دسيها ولو لم يكن كل لبطلت فائدة المواعظ والوصايا
والوعد والوعيد والأمر والنهي ولما جوز العقل أن يقال للعبد
لم فعلت ولم تركت وكيف يكون هذا في الإنسان ممتنعا وقد وجدنا
في بعض البهائم ممكنا فالوحشي قد ينقل بالعادة إلى التأنس والجامح إلى
السلاسة لكن الناس في غرائزهم مختلفون فبعضهم جبل جبلة سريعة
القبول وبعضهم بطيئة القبول وبعضهم في الوسط وكل لا ينفك من
أثر قبول وإن قل ومن هنا ورد في الأدعية من طلب التوفيق لمكارم الأخلاق

ومحاسن الأعمال وفي الأحاديث من الأمر بها والحث عليها أقول وظهر
من بعض الأخبار أن الخلق منه غريزي ومنه كسبي مثل ما في الكافي في باب
حسن الخلق عن إسحق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلم قال إن
الخلق منيحة يمنحها الله عز وجل خلقه فمنه سجية ومنه نية فقلت
فأيهما أفضل فقال إن صاحب السجية هو مجبول لا يستطيع غيره و
صاحب النية يصبر على الطاعة تصبرا فهو أفضلهما النية المكتسبة
بقرينة المقابلة يقال نويته أي قصدته والأشهر النية فعلة
والتخفيف لغة وهذا صريح في أن الخلق منه طبيعي غريزي
خلقه الله تعالى في بدو الخلقة والفطرة ومنه مكتسب بأن يمرن حتى
يصير كالغريزي فبطل قول من قال إنه غريزي لا مدخل للاكتساب فيه
وقال الراغب وادعاء من منع من تغيير الخلق فإنه اعتبر القوة نفسها وهذا
صحيح فإن النوى محال أن ينبت الإنسان منه تفاحا ومن أجاز تغييره
فإنه اعتبر إظهار ما في القوة إلى الوجود وإمكان إفساده بإهماله نحو النوى
فإنه إن تعهد فيجعل نخلا وإن ترك مهملا حتى يفسد وهذا إنصاف صحيح
فإذا اختلافهما بحسب اختلاف نظرهما انتهى وأستجير بأن كلام
صاحب الدعاء جعلت له الفداء صريح الدلالة على إمكان تغيير الخلق و
إسلاسه بالمعنى الذي سبق ولكن بفضل الله وحسن توفيقه كما
قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم هذا والنزق الوثوب والرعونة
والتسابق والطيش والخفة عند الغضب ومنه ما ورد في رواية عن عبد
الله بن سنان قال قلت لأبي عبد الله عليه السلم جعلت فداك إني لأرى
بعض أصحابنا يعتريه النزق والحدة والطيش فأغتم لذلك غما شديدا

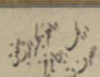
أفضلها

وأرى من خالفنا فأرى حسن السمت قال لا تقل حسن السمت فإن السمت
سمت الطريق ولكن قل حسن السيماء فإن الله عز وجل يقول سيماهم في
وجوههم قال قلت فأراه حسن السيماء وله وقار فأغتم لذلك قال لا تغتم
لما رأيت من نزق أصحابك ولما رأيت من حسن سيماء من خالفك إن الله
تبارك وتعالى لما أراد أن يخلق آدم خلق تلك الطينتين ثم فرقهما فرقتين
فقال لأصحاب اليمين كونوا خلقاً بإذني فكانوا خلقاً بمنزلة الذر يسعى و
قال لأهل الشمال كونوا خلقاً بإذني فكانوا خلقاً بمنزلة الذر يدرج ثم رفع
لهم ناراً فقال ادخلوها بإذني فكان أول من دخلها محمد صلى الله عليه وآله ثم
اتبعه أولو العزم من الرسل وأوصياؤهم وأتباعهم ثم قال لأصحاب
الشمال ادخلوها بإذني فقالوا ربنا خلقتنا لتحرقنا فعصوا فقال لأصحاب
اليمين اخرجوا بإذني من النار فخرجوا لم تكلم منهم النار كلماً ولم تؤثر
فيهم أثراً فلما رآهم أصحاب الشمال قالوا ربنا نرى أصحابنا قد سلموا
فأقلنا ومرنا بالدخول قال قد أقلتكم فادخلوها فلما دنوا وأصابهم الوهج
رجعوا فقالوا يا ربنا لا صبر لنا على الاحتراق فعصوا فأمرهم بالدخول ثلاثاً
كل ذلك يعصون ويرجعون وأمر أولئك ثلاثاً كل ذلك يطيعون ويخرجون
فقال لهم كونوا طيناً بإذني فخلق منه آدم قال فمن كان من هؤلاء لا يكون من
هؤلاء ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء وما رأيت من نزق أصحابك
وخلقهم فمما أصابهم من لطخ أصحاب الشمال وما رأيت من حسن سيماء
من خالفكم ووقارهم فمما أصابهم من لطخ أصحاب اليمين انتهى وفيه أشياء
يظهر على من تأمله وأما الخبر الذي تبرأ فيه من أحاديث الطينة فهو
ضعيف وظني أنه مصحف فلذا ذكرنا وجه ضعفه وسخافته في أواخر رسالة



لابطال الجبر والتفويض فليطلب من هناك ولعله الرفق إلى الخرق إما لامية
أو بيانية إذ كان في الأصل أدب اللهم الرفق والخرق مني فحذف العاطف و
أضيف الرفق إلى الخرق لشدة امتزاج بينهما أو للمناسبة اللفظية أو المعنوية
كما قال الشيخ الرضي في طائرين وسمي هذا التركيب شبيهاً بالمزج والخرق
ضد الرفق **وفيه** ما ورد أن الرفق يمن والخرق شوم وفي خبر من قسم له الخرق
حجب عنه الإيمان وعن صفات الدعاء جعلت له الفداء من الخرق والمعاجلة قبل
الإمكان والأناة بعد الفرصة والخرق فيه بمعنى الجهل والحمق وأن
لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور وهذا من جملة معانيه كما صرح
به علماء اللغة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كان الخرق
خلقاً يرى ما كان شيئاً مما خلق الله أقبح منه **وفي** القاموس الخرق الغضب
واعلم أن الحدة غير الخرق المذموم فإن من الناس من شأنه كل ظاهره ظاهر
الشر في الحدة والاستطالة ويرجع باطنه إلى قلب سليم منطو على الخير و
ذلك من غلبة الصفراء على مزاجه وفي الحديث الثناء على مثله قال عليه السلام
خيار أمتي أحداؤها **وقال** عليه السلم الحدة تعتري خيار أمتي هذا
وكلمة من ابتدائية والأقمة كالأئمة جمع قمام وهو ما يعمل ويجعل في
أنف البعير ليقاد به والباء للآلية أو السببية والظرف متعلق بأدب
والقنوع بالضم السؤال أو التذلل والرضا بالقسم ضد ومن دعائهم
نسأل الله القناعة ونعوذ به من القنوع وفي المثل خير الغنى القنوع وشر
الفقر الخضوع والقناعة الرضا باليسير من العطاء وقد قنع يقنع قنوعاً و
قناعة بالكسر إذا رضي وقنع يقنع بالفتح قنوعاً إذا سأل وإلى المعنيين
المذكورين أشار من قال العبد حر إن قنع والحر عبد إن قنع فاقنع ولا تطمع فما

شيء يشين سوء الطمع قنع الأول بالكسر بمعنى رضي والثاني بالفتح بمعنى
سأل وقيل القناعة الرضا بما دون الكفاية وفسرها المحقق الطوسي رحمه الله
بعد ما عدّه من الانواع المندرجة تحت العفة الحاصلة من الاعتدال في
القوة الشهوية بانها رضاء النفس في المآكل والملابس وغيرها بما يسدّ
الخلل من ايسر اتفق وقد ورد في شأن القناعة والحث عليها من الكتاب
والسنة ما لا خفاء فيه ولا يعجبك اموالهم ولا اولادهم ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا وبالقناعة فسر الرزق
الحسن في قوله تعالى ليرزقنهم رزقا حسنا وبها فسرت الحيوة الطيبة في
قوله عز وجل ولنحيينه حيوة طيبة وعن الباقرين عليهما السلام
من قنع بما رزقه الله فهو اغنى الناس بيان ذلك ان حاجات الناس كثيرة
فاغناهم اقلهم حاجة لان الغنى هو عدم الحاجة فلذلك كان الله سبحانه
اغنى الاغنياء اذ لا حاجة له الى شيء نقل ان رجلا من حاشية سلطان
رأى حكيما يأكل ما تساقط على رأس ماء من البقل فقال له لو خدمت السلطان
لم تحتج الى اكل هذا فقال الحكيم وانت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة
السلطان وقال صفوان بن سليم استمتع بالملوك واطلب علوي على حواشي الغنى
مكبنا البحر الاخضر بالذهب الاحمر وجعلت ما بين كوفان الى
عمان لآخره اللابس وسار حتى النعم فاذا الذي يكفيني من ذلك
رغيفان وقرّان وقال وهب خرج العز والغنى يجولان فلقيا
القناعة فاستقرا وقد ورد في الاخبار بان تقنع بما تصيب من الدنيا
تقنع بالقليل وتشكر بالكثير وفي الحديث القناعة كنز لا ينفد وعز
من قنع وذل من طمع وعن صاحب الدعاء جعلت له الفداء لا اكرام



من القناعة ولا مال اذهب للفاقة من الرضا بالقوت ومن اقتصر على
بلغة الكفاف فقد انتظم وتبوأ خفض الدعة والرغبة مفتاح النصب
ومطية التعب والحرص والكبر والحسد دواع الى التقحم في الذنوب و
الشر جامع مساوي العيوب شبه عليه السلام هوى النفس الامارة
بالسوء التي ينشأ منها الشر وتصدر عنها الشرور وهي المقتضية الى ال
ترقبها بالسوق بجامع عدم الانقياد والسكون وترك الشهوة فاثبت لها
الازمة اما لتعددها او للاشارة الى انها لا تنقاد ولا تطيع بزمام واحد
او لاختلاف متعلقات الشهوة واحتياج النفس في الكف عن كل واحد
منها بزمام وقناعة اخرى وعبر لحبس نفسه ابتغاء بالكناية وتخييل
او ترشيح واضافة الازمة الى القنوع اضافة اللجين الى الماء او الاضافة
فيه بيانية او بتقدير من و بتقدير شبه نزق الحرق وهو من
الكيفيات النفسانية بالناقة المحتاجة الى التأديب بالازمة وسكت
عن ذكر المشبه به وذكر المشبه على الاستعارة مكنية واثبات التأديب
بالازمة له تخييلية ثم شبه القنوع بالازمة فانه كما يمنع الزمام نزق
الناقة يمنع القنوع نزق النفس ثم قدم المشبه به واضيف الى المشبه
كما في ذهب الاصيل ولجين الماء وحاصل المعنى وامنع اللهم واكسر نزق
نفسي واضطرابها لاجل الفقر وعدم الصبر بازمة القنوع ولما كان
الحرق اي الفقر منشأ نزق النفس وعلتها اضافه اليه والاضافة
بكفيه ادنى ملابسة كما في كوكب الخرقاء او المراد واذهب شدة
الحرق مني بازمة القنوع واعطني لين العريكة باستعمال الرفق و
الخضوع تذنيب فاجبت دعوته عليه السلام هذه اذ لا اختلاف بين

الأمم فإنه كان أزهد أهل زمانه طلق الدنيا ثلاثا كان يصوم النهار ويقوم الليل وكان يفطر على خبز الشعير من غير أدم ويختم لئلا يأدمه الحسنان بجبن أو زيت وكان أخشن الناس مأكلا وملبسا ولم يشبع من طعام قط وكان يقول والله لدنياكم هذه أهون من عراق خنزير في يد مجذوم وكان يقول يا دنيا يا دنيا إليك عني أبي تعرضت أم إلي تشوقت لا حان حينك هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيك فعيشك قصير وخطرك يسير وأملك حقير وهذا شيء اختص به عليه السلام لم يشاركه فيه غيره ولم ينل أحد بعض درجته وكان نعلاه من ليف وكان يرقع قميصه من جلد تارة وبليف أخرى وقل أن يأتدم فإن فعل فبالملح أو الخل فإن ترقى فبنبات الأرض فإن ترقى فبلبن ومن كلامه عليه السلام وايم الله يمينا أستثني فيها بمشية الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح مأدوما ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل علي من زاده فيهجع قرت إذا عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية إلى آخر كلامه وهو مذكور في نهج البلاغة صلى الله عليه وآله وعلى من انتسب بالزهد والقناعة إليه

إلهي إن لم تبتدئني الرحمة منك بحسن التوفيق فمن السالك بي إليك في واضح الطريق

إلهي يا مالو هي ومعبودي او مفزعي وملجائي او من يكن إليه ولجي او من إليه أتضرع في شدائدي والإلهي الأصل يقع على كل معبود ثم غلب

على المعبود بحق بحيث لا يطلق على غيره تعالى وإن الشرط في الاستعمال وعند أرباب البيان أن الأصل فيها أن لا يجزم بشيء من طرفي الشرط لكنها قد تستعمل في مقام الجزم لنكتة قال صاحب التبيان قد تستعمل إن في الجزم إما للاحتياط كما إذا سئل العبد عن سيده هل هو في الدار وهو يعلم أنه فيها فيقول إن كان أخبرك فيحتاط بالتجاهل خوفا من السيد وإما لتقرير وقوع الجزاء وتحققه نحو قول السلطان لمن هو تحت قهره إن كنت سلطانا انتقمت منك وعبارة الدعاء من هذا الباب والنكتة فيها إما الاحتياط وإما لتقرير وقوع الجزاء وتحققه حتى علو إنكار من يسلك به إليه تعالى في واضح الطريق بعدم ابتداء الرحمة منه بحسن التوفيق فإنه جازم بذلك وهو أمر محقق عنده كيف لا والهداية أمر من لدنه وجميع أسبابه تعود إليه وهذا منه فزع إلى ألطاف الله تعالى جريا على سنن الأنبياء والأوصياء والصالحين في تصريل الجزاء والنجاة من الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن أنفسهم ومبالغة في إسناد لطفه تعالى فكأنه قال لا تحل بيننا وبين أنفسنا بمنعك التوفيق واللطف عنا فنعجز عن سلوك طريق معرفتك وسبيل طاعتك وفي هذا الكلام دلالة على بطلان قول من قال بعدم مدخلية توفيق الله وخذلانه في أفعال العباد وهم المشهورون بالمفوضة إذ الإنسان بمجرد جده وجهده لا يصل إليه ما لم يرد وصوله إليه بالاجتهاد فإن الجهد وحده ليس بسبب موجب بل يحتاج وصوله إليه إلى شرائط أخر وحسن التوفيق عبارة عن استجماع تلك الشرائط وسوء التوفيق عبارة عن فقدها كلا أو بعضا والرحمة النعمة ومن ابتدائية أي الرحمة المبتدأة من جنابك من غير استحقاق

منى والاضافة اما بيانية او من اضافة الصفة الى الموصوف اى بتوفيق
حسن والتوفيق لغة جعل الشىء موافقا للاخر وعرفا جعل الله تعالى فعل
العبد موافقا لما يحبه ويرضاه وهو ان كان فى الاصل موضوعا على وجه
يصح استعماله فى الشقاوة والسعادة ولذلك قيده عليه السلم بان يكون
حسنا لا قبيحا الا انه قد صار مستعارا فى السعادة فقط ولعله المراد
بقولهم التوفيق توجيه الاسباب نحو المطلوب الخير وقيل هو الدعوة
الى الطاعة والمآل واحد والتوفيق مما لا يستغنى الانسان عنه فى كل
حال كما قيل لحكيم ما الشىء الذى لا يستغنى عنه فقال التوفيق والمراد بتوفيقه
تعالى له عليه السلم تسديده وتذكيره ولطفه به والهامه القيام بما اتاه
من اداب الاوصياء واخلاق الاصفياء من صدق الانقطاع اليه والتوكل
عليه ووفور اليقين به واطمئنان القلب بفضله فلم يلتفت الى غيره ولا الى
نفسه وهكذا من كان دائم المراقبة لربه ملازما للحساب على نفسه
قد قام معها على ساق مقام الخصم الالد عند الشقاق كان مستوجبا لل[illegible]
من ربه مطرحا لاشعة انوار لطفه ومحبته هذا ويقال سلكت الطريق
سلوكا من باب قعد اى ذهبت فيه وفى القاموس سلك المكان سلكا
وسلوكا وسلكه غيره وفيه واسلكه اياه وفيه وعليه ويده فى الجيب
واسلكها ادخلها فيه ولعله عليه السلم ضمنه معنى الهداية ولذا
عداه بالى والسلوك الى الله تعالى هو التقرب اليه بالاعراض عن الدنيا
الدنية وحطامها وما فيها ثم باتيان الفرائض على وجهها ثم النوافل فانها
قربان كل تقى ثم مراعاة الاداب والسنن ثم الصبر على البلاء والمحن و
ملازمة الذكر ومداومة الفكر والتخلى عن الشهوات النفسانية والهوى

الشيطانية

الشيطانية وجعل الهموم هما واحدا مع اخلاص النية وصفاء الطوية و
العمل بما يعلمه شيئا فشيئا ومراقبة النفس آنا فآنا الى ان يصير العلم
عيانا بعد يقين ويترقى من علم اليقين الى عين اليقين ومنه الى حق اليقين
وغدا شاوا اليه صاحب الدعاء وجعلت له الفداء عند ذكر السالك على ما هو
المذكور فى نهج البلاغة حيث قال قد احيى عقله وامات نفسه حتى دق
جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به
السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه
بطمأنينة بدنه فى قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه
انتهى كلامه صلوات الله وسلامه عليه ويحتمل ان يكون المراد بابتداء
الرحمة منه تعالى بحسن التوفيق اى التوفيق على السلوك اليه احلال
الشوق فى السالك وانه يلج قلبه وتجذبه الى ارادته ومحبته والمواظبة
عليه فان الشوق هو ادراك اللذة المحبة اللازمة لفرط الارادة الممتزجة
بالم المفارقة يكون فى حال السلوك بعد اشتداد الارادة ضروريا وربما
كان حاصلا قبل السلوك وذلك اذا حصل الشعور بكمال المطلوب ولم
ينضم اليه القدرة على السير وقل الصبر على المفارقة وكلما ترقى السالك فى
سلوكه كثر الشوق وقل الصبر حتى يصل الى المطلوب فتخلص حينئذ لذة
نيل الكمال من الالم وينتفى الشوق كذا افاد المحقق الطوسى فى بعض رسائله
والاضافة فى واضح الطريق من اضافة الصفة الى الموصوف وفى الكلام
استعارة تحقيقية تصريحية حيث شبه العبادات والرياضات و
المجاهدات الشرعية بسلوك الطريق ثم ذكر المشبه به واريد المشبه والمراد
بوضوحه انه تعالى خلق الانسان بشرا سويا مكلفا ونصب لهم الادلة ط

ربوبيته ووحدانيته واستحقاقه الطاعة والعبادة لما ركب فيهم وفي غيرهم
من غرائب خلقه وعجائب صنعته وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم
وجعلها مميزة بين الضلالة والهداية لكن هذا الطريق على وضوحه محفوف
وفيه مهالك ومواقع والسالك فيه محتاج الى العنايات الربانية والهدايات
السبحانية فانه ما دام في سيره الى الحق يكون مضطرباً غير مستقر الخاطر لخوف
العاقبة وما يعرض في اثناء السير والسلوك من العوارض العائقة كا
كالانحراف عن القصد في عبادة الله واستيلاء القوى الشهوانية
بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات المألوفة فان هذه وامثالها
لسالك الكبير عن السلوك الى الله وهو على خوف منها ومن خواطر الشيطان
كما قيل السالك الى الله تعالى خائف من قطع الطريق من الشيطان وهو لا
يامن ان يأتيه من اي جهة امكن منها الاتيان فليس المتخلص منه مناص
الا الاتيان بالالتجاء الى الله سبحانه وتسله الحفظ من جميع الجهات فاذا
هبت نسيم العناية الازلية وارتفعت الحجب الحائلة الظلمانية تنور
القلب بنور العيان وحصلت الراحة والاطمئنان وزال الخوف وظهرت
تباشير الامن والامان كما سبق انفاً في كلام صاحب الدعاء وجعلت
له الفداء وهذا المقام من مقامات اصحاب النهايات لا من احوال
ارباب البدايات الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

ولئن اسلمتني اناتك لقائد الامل والمنى فلم اجتنب عن ركوب الهوى

يقال اسلم فلان فلاناً اذا القاه في الهلكة ولم يحمه من عدوه وهو
عام في كل من اسلمته الى شيء لكن غلب عليه لا الالقاء في الهلكة ومنه
الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ...

مناص للتخلص



اي لا اعطاني لمن يعمله احدى هذه الصنائع والاناة على وزن حصاة
اسم من تأنى في الامر اذا تمكث ولم يعجل والمراد بها هنا الحلم وتأخير العقوبة
والاستدراج ولما كان الغرض من العناية الالهية سوق كل ناقص الى كماله
اقتضت عنايته سبحانه عدم معالجة العباد بالعقاب والانتقام
والاخذ بالذنوب والمعاصي في هذه الحياة الدنيا ليراجعوا التوبة
ويرجعوا الى الانابة ولذلك انظرهم ببقاء الدنيا وامهلهم مدة حياتهم
فيها والقائد ليجر مخلفه يقال قاد الدابة قوداً من باب قال وقياداً
اذا تقدمها اخذاً بقيادها وهو خلاف السوق ومنه قائد الجيش لامير
كانه يقودهم وجمعه قادة وقواد وقد يقال للدليل ايضاً قائد لطلب
الاعتبار ومنه قائد الغر المحجلين والاضافة بتقدير من ولقائد الامل متعلق
باسلمتني ولعل اللام فيه بمعنى الى واحتمال كونها لام التقوية للعمل
بعيد فانها انما يزيد للتقوية عامل ضعيف كالمصدر وشبهه فانه
لكونه فرعاً في العمل عن الفعل ضعيف فاحتاج الى التقوية والعامل
هنا فعل متعد فاية حاجة له اليها والامل والامل محرك الرجاء وحقيقته
ابتهاج النفس لانتظار ما هو محبوب عنده وهو حالة لها تصدر عن علم
ويقتضي عملاً وقال بعضهم اكثر ما يستعمل الامل فيما يستبعد حصوله
فان من عزم على سفر الى بلد بعيد يقول املت الوصول اليه ولا يقول
طمعت الا اذا قرب منه فان الطمع لا يكون الا فيما قرب حصوله وقد يكون
الامل بمعنى الطمع والرجاء بين الامل والطمع فان الراجي قد يخاف ان لا
يحصل مأموله ولهذا يستعمل بمعنى الخوف فان قوي الخوف استعمل
استعمال الامل وعليه قول زهير ارجو وامل ان تدنو مودتها وما اخشى

الأمل الحرص على الأسباب الدنيوية وجمع القنيات الفانية وثمرته
الأعراض عن الأمور الأخروية الموجبة لأسنى الشفاء ولذلك قال
صاحب الدعاء جعلت له الفداء ان أخوف ما أخاف عليكم اثنان اتباع
الهوى وطول الأمل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الأمل
فينسي الآخرة بيان ذلك ان طول توقع الأمور المحبوبة الدنيوية يوجب
دوام ملاحظتها وتستلزم دوام اعراض النفس عن ملاحظة احوال
الآخرة وهو مستعقب لانمحاء ما تصور في الذهن منها وذلك
معنى النسيان لها وبذلك يكون الهلاك الأبدي والشقاء السرمدي
وقد ورد من الآثار والأخبار في التحذير من طول الأمل والتنفير عنه
ما يضيق عنه ذرع الإحصاء ويقصر عن قطع مسافته قدم الاستقصاء
ويكفي في ذلك قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم
يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون فنبه على ان ايثار
التلذذ والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل من أخلاق الكافرين لا من
صفات المؤمنين وعنه صلى الله عليه وآله يا أبا ذر إياك والتسويف
بأملك فانك بيومك ولست بما بعده فان يكن لك غد فكن في الغد كما
كنت في اليوم وان لم يكن غدا لم تندم على ما فرطت في اليوم يا أبا ذر كم
من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا لا يبلغه يا أبا ذر لو نظرت
الى الأجل ومسيره لأبغضت الأمل وغروره يا أبا ذر كن كأنك في الدنيا
غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور يا أبا ذر إذا
أصبحت لا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح
وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وآله خط خطا وقال هذا الإنسان وخط

جنبه

جنبه خطا وقال هذا أجله وخط آخر بعيدا منه فقال هذا الأمل
فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب وفي خطبة لصاحب الدعاء جعلت له
الفداء واعلموا ان الأمل يسهي العقل وينسي الذكر فاكذبوا الأمل
فانه غرور وصاحبه مغرور فنهى عن الأمل وبين شروره وضروره وفي
حديث قدسي يا موسى لا تطول في الدنيا أملك فيقسو لذلك قلبك و
قاسي القلب مني بعيد هذا ومنى الشيء مده لان المتمني يمد حصول
ما يتمناه والتمني تشهي حصول الأمر المرغوب كحصول ما يحتاج إليه
من أهل ومال وأدوات وأسباب وحديث النفس بما يكون وبما لا يكون
ومنه ما قال صاحب الدعاء جعلت له الفداء لا تتكل على المنى فانها بضائع
النوكى والأصل فيمن أن يطلب به الأمر الذي يعرض لذي العلم فهم
تحصيله الا انه هنا استعمل لمجرد الاستبعاد والاستنكار كما في قو
من ذا أهل كذا أي ليس لعثراتي مقيل غيرك والإقالة التجاوز عن الذنب
وأصلها من أقال عثرته إذا رفعه من سقوطه ومنه الإقالة في البيع
لأنها رفع العقد ومنه أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم وفي الحديث أقيلوا
ذوي الهيئات عثراتهم وفي رواية أخرى ذوي المروءات والإقالة العثرة
استعارة للتجاوز عن الذنوب والعثرة السيئة والخطيئة من عثر
يعثر من باب قتل عثارا بالكسر إذا كبا وسقط لأنه سقوط في الإثم و
قيل هي المرة من العثار في المشي وهو الزلة ومنه العاثور المكان
الوعث الخشن لأنه يعثر فيه ومنه قول أبي يوسف يعقوب المعروف بابن
السكيت وكان من أكابر العلماء العربية وعظماء الشيعة وهو
من أصحاب الجواد والهادي عليهما السلام في التحذير من عثرة اللسان

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ۞ وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول يذهب راسه ۞ وعثرته في الرجل تبرء عن مهل
قيل فاتفق ان المتوكل العباسي الزمه تاديب المعتز والمؤيد فقال له يوما
ايما احب اليك ابناي هذان ام الحسن والحسين فقال والله ان قنبر خادم علي
خير منك ومن ابنيك فقال المتوكل سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات وهذا
من غريب ما وقع منه رحمه الله هذا والكبوة العثرة ومنه الجواد قد يكبو
ومن ابتدائية والاضافة من اضافة الصفة الى الموصوف والهوى مقصور
وهو الذي يميل اليه القلب من المحبوبات والمشتهيات هواي مع الركب
اليمانين مصعد والتحقيق ان الهوى ما يحكم به الطبع بملائمته ولا يراعى
فيه المآل بل يخالف العقل والشرع بمعونة الوهم والخيال فيختار العاجل
فلو كان فانيا دون الاجل ولو كان باقيا فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل
وفي الحديث ابغض اله عبد في الارض الهوى والشيطان واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فما من هوى النفس
الى ما اظاهر لحوصلته الا هوى من عقابه والمعنى ان الغني انا لك و
تاخير عقوبتك وحملك الى فامدن جنس الامل والمنى بعودك ويجري الى
حيث ما يجري فتكثر عثراتي من الخيل عثراتي المبتدأة من الهوى الكائنة
العاثرة فتشبيه النفس الامارة بالسوء المائلة الى الشر بالشخص الاعمى لاجل
عدم البصيرة والاهتداء الى طريق الصواب استعارة بالكناية واثبات
العايد له تخييل واسناد الاستلام الى الاماة مجاز عقلي وتشبيه الاغلاط
الناشية من زلة قدم النفس بفعل المنهيات وترك المأمورات الموجبة
لكونها رهينة بذلك مفضية الى الامالة بالعثرات في المشي استعارة مصرحة

او هو





او هو تشبيه للمعقول بالمحسوس وكذلك تشبيه الهوى بالناقة الخابطة
العاثرة مكنية اخرى واثبات الكبوة له تخييل اخر وهذه الفقرة الجليلة
من ادق الكلام وافصحه وفيها دلالة على ان تعجيل بعض العقوبات الدنيوية
نعوذ بالله منه ومن موجباته لطف من الله على عباده توجب تنبههم على
سيئات اعمالهم واعراضهم عن الدنيا واقبالهم على الاخرة وان تاخيرها
ينشا منه الامال والامل والاهمال ويعودان لصاحبهما الى اهماله
ثم بلقيانه فيها او ادنى ما يترتب عليهما نسيانه الاخرة وتاخيره التوبة
واقباله على الدنيا وامورها مستغرقا فيها الى ان يختطفه الموت وهو
غافل عنه غير مستعد له فطول في الاخرة حسرته وندامته **تذنيب**
قوم الفكر بين العقل والهوى والعقل فوقها والهوى تحتها فمتى ارتفعت
الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة فولدت المحاسن واذا اتضعت
ومالت نحو الهوى صارت وضيعة فولدت المقابح ومن شان العقل ان
يرى ويختار ابدا الافضل والاصلح في العواقب وان كان على النفس منه في
المبدء مؤنة ومشقة والهوى على الضد من ذلك فانه يؤثر ما يدفع المؤذي
في الوقت وان كان يعقب مضرة من غير نظر منه في العواقب كالصبي الرمد
الذي يؤثر اكل الحلاوات واللعب في الشمس على اكل الهليلج والحجامة ولذا
قال عليه السلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وايضا
فالعقل يرى صاحبه ما له وما عليه والهوى يرى ما له دون ما عليه و
يعمى عليه ما يعقبه من المكروه ولذا قال عليه السلام حبك الشيء
يعمي ويصم فعلى العاقل ان يتهم رايه في الاشياء التي يهوى له لا عليه ويظن
انه هوى لا عقل ويلزمه ان يستقصى النظر فيه قبل امضاء العزيمة حتى

قبل اذا عرض لك امران فلم تدر ايهما اصوب فعليك بما تكرهه لا بما تهواه
فاكثر الخير فى الكراهة قال تعالى عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وقال
تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ولهذا قال الاحنف
بن قيس كفى بالرجل رايا اذا اجتمع عليه امران فلم يدر ايهما الصواب ان
ينظر اعجبهما اليه واغلبهما عليه فيحذره هذا وللانسان مع هواه
ثلث احوال الاولى ان يغلبه فيستعبده كما قال تعالى ارايت من اتخذ
الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا الثانية ان يغالبه فيقهره مرة
واياه مرة وقصد بمدح المجاهدين وعناه صلى الله عليه واله بقوله وقد
سئل اى الجهاد افضل قال جهاد هواك وقال عليه السلام جاهدوا اهواءكم
كما تجاهدون اعداءكم الثالثة ان يغلب هواه كالانبياء والاوصياء وكثير
من صفوة الاولياء وهذا المعنى قصده النبى صلى الله عليه واله بقوله ما
من احد الا وله شيطان فقيل يا رسول الله ولا انت فقال ولا انا الا ان الله
قد اعاننى على شيطانى حتى ملكته فان الشيطان يتسلط على الانسان بحسب
وجود الهوى

وان خذلنى نصرك عند محاربة النفس والشيطان فقد وكلنى خذلانك الى حيث النصب والحرمان

خذله من باب قتل خذلا ترك نصره واعانته فهو خاذل والاسم الخذلان
بالكسر والاسناد فيه وفى وكلنى مجازيان عقليان وفى الاول تجوز فان
الخذلان هو ترك النصر كما سبق وخذلانه تعالى نعوذ به منه ان يترك المرء
ونفسه لسوء استعداده وشناعة صنيعه فيمنع منه الطافه الخاصة
وفيه دلالة على مدخليته سبحانه فى افعال عباده بالتوفيق والخذلان بحيث
لا يصل الى حد الالجاء والجبر فى شىء منهما خلافا للمعتزلة لاشنع الاخلال

فى فعل العبد بالكل والمحاربة مصدر من باب المفاعلة واصله بين اثنين فصاعدا
يفعل كل مع صاحبه ما يفعله هو به وهى من الحرب مستعارة من المجاهدة
وهى الجهاد الاكبر المشار اليه بقوله عليه واله السلام رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر وهى مجاهدة النفس الامارة بالسوء بشهوة البطن والفرج
والغضب وسائر الافات والعيوب وهى اعلى على المرء ليستحل قطاع عقول
كثير من الناس ما امرهم بما امرهم والمحاربة فيهما بالمجاهدة والرياضة وتصفية
الباطن واركانها الجوع ثم السهر ثم العزلة ثم الصمت ثم ذكر الله تعالى وهو عند
اهل السلوك كلمة التوحيد والمحاربة مضافة اما الى الفاعل او المفعول
اى محاربتهما اياى او محاربتى اياهما او محاربة كل مع الاخر على ان يكون
المراد بالنفس النفس اللوامة او الملهمة وعلى الاولين الامارة بالسوء
المائلة الى الشر فانها فى حال الشهوة بهيمة وفى الغضب سبع وفى المصيبة
طفل وفى النعمة فرعون وفى الشبع تراها مختالة وفى الجوع مجنونة
ان اشبعتها بطرت وان جوعتها صاحت وصرعت ومن دنائتها وجهلها
انها اذا همت بمعصية وانبعثت لها شهوة لو تشفعت اليها بالله تعالى
ثم برسوله وبجميع انبيائه وكتبه ورسله والملائكة المقربين و
عرضت عليها الموت والقبر والقيمة والجنة والنار لا تعطى القياد
فلا تنكف ولا تترك الشهوة ثم انك تشغلها بمنع رغيف واعطاء
الرغيف فتسكن وتترك شهوتها فتعلم خستها ودنائتها وجهلها
وغفلتها عما لك والغفلة عنها طوقه عين ابدا واعلم ان المحققين على
ان النفس الانسانية اى النفس الناطقة شىء واحد فاذا مالت الى العالم
العلوى كانت مطمئنة واذا مالت الى الشهوة والغضب سميت امارة

وجزعت نه

وهذا في اغلب احوالها لالفها بالعالم الحسي وقرارها فيه فلا جرم اذا خليت
وطباعها انجذبت الى هذه الحالة فلهذا قيل لها امارة من حيث هي امارة بالسوء
وان كانت منجذبة تارة الى العالم العلوي وتارة الى العالم السفلي سميت
اللوامة ومنهم من ذهب الى ان المطمئنة هي الناطقة بالعلوم والنفس
الامارة منطبعة في البدن تحمله على الشهوة والغضب وسائر الاخلاق
الرذيلة وفيها ايماء الى قدرة العبد وكونها موثرة فيما يصدر عنه من الافعال
والتروك والا لم يتصور منه المحاربة والمدافعة مع اعدائه وخاصة
في حال تمكينه وعدم دخول الجبرية لا موثر في الوجود الا الله باطل وقد
اشار عليه السلام بهذا الكلام الى ان لا جبر ولا تفويض بل امر بين الامرين
وقد فصلنا القول فيه في بعض رسائلنا المعمولة لشرح قوله عليه السلام
وقد سئل عن معنى قولهم لا حول ولا قوة الا بالله انا لا نملك مع الله شيئا
ولا نملك الا ما ملكنا فمتى ملكنا ما هو املك به منا كلفنا ومتى اخذه منا
وضع تكليفه عنا فليعتبر من هناك من اراد الوقوف عليه والشيطان
وهو عدوك ومن جعله صرف قلبك عن الله تعالى وعن مناجاته فيعالا
من الشطن وهو البعد لبعده من الله تعالى وعن الخير بل بعد ابعاد المتقربين
الى الله لكونه ابعد من لطفه او فعلان من شاط وهو البطلان والهلاك
والاحتراق لانه باطل في نفسه مبطل لمصالحه ومصالح من ابطل من الجاهلين
هالك باللعنة يريد اهلاك من لعن لاجله محترق غضبا عليه اذ رأى
تقربه بالمرتبة والالف واللام فيه للجنس فيدخل فيه جنوده ولو جعل
للعهد جاز ويدخل فيه جنده تبعا والمتكلمون لوجود الشياطين اختلفوا
في حقيقتهم فالمتكلمون منهم قالوا هي اجسام شفافة تتشكل باي شكل

شاءت وتقدر على الولوج في بواطن الحيوان وينفذ في منافذها الضيقة
نفوذ الهواء المستنشق وظاهر بعض الاخبار يعضده وقال قوم هي النفوس
الارضية المدبرة للعناصر وقيل هي النفوس الناطقة الشريرة المفارقة
ابدانها فتعلق بالنفوس الشريرة وتعاونها على الشر والفساد وقيل هي النفوس
المجردة تنحرف بالتعلق وتدرك بالآلة فهي كرة الاثير واولية خلقهم من النار
وقال جمهور الفلاسفة ان الشيطان عبارة عن الوهم المعارض للعقل
وجنوده سائر القوى التابعة لموضعها وضرر العقل في استخلاص الكمال
والفاسقين عن اوامر الله سبحانه والوهم وبعض القوى البدنية فهي ان كان
عند معارضتها ومتابعتها جنود ابليس وقبله قالوا والمراد بكونهم
خلقوا قبله من نار ان الارواح الحاملة لهذه القوى اجسام لطيفة تكون
عن لطافة الاخلاط وهي حارة جدا مائلة الى الافراط النارية والهوائية
اغلب فتولدها عنها اسهل وهي احر اجزاء البدن وكذا القلب الذي هو
منبعها فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك نسبوا الى
النار تذنيب فان قلت كيف يتصور المحاربة بين الانسان والشيطان
ولا نراه على العيان ولا نشاهده في المكان قلت قد ظهر جوابه على مسلك
الفلاسفة واما على طريقة المتكلمين فمحاربة الشيطان للانسان عبارة
عن تسويله ووسوسته وتزيينه له ما حرمه الله عليه ودعوته الى
ذلك ورجاء ان يغلبه بذلك فيهلكه كما قال وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وحقيقة محاربة ان الانسان بينما هو ذاهل
عن الشيء اذ ذكره ذلك فيحدث له ميل جازم يرتب الفعل على حصول
ذلك الميل فمحاربته ذلك التذكير واجابته حصول ذلك الميل الخ

هو من شأن النفس ولذلك قال المحققون الشيطان الاصلي هو النفس
وذلك ان الانسان اذا احس بشيء او ادركه يترتب عليه شعوره
بكونه ملائما له او منافرا ويتبع هذا الشعور الميل الجازم الى الفعل
او الترك وكل هذه الاشياء من شأن النفس ولا مدخل للشيطان في شيء
من هذه المقامات الا بان يذكر شيئا مثل ان الانسان كان غافلا
عن صورة امرأة فيلقي الشيطان حديثها في خاطره قال امين الاسلام
الطبرسي في الآية المذكورة دلالة على ان الشيطان لا يقدر على اكثر
من الدعاء والاغواء وانه ليس عليه عقاب معاصيهم وانما عليه
عقاب الدعوة فحسب فمحاربة الانسان للشيطان عبارة عن كفه نفسه
عن اطاعته واجابته الى ما يدعوه اليه ويسوله له وذلك انما يكون
بتوفيق الله ونصرته على فعل الطاعة وترك المعصية وعدم الالتفات الى
ما يلقيه اليه الشيطان من خطراته فانه بذلك يقهره ويغلبه ويطرد
اللعين عن الانسان ذكر الله تعالى كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله ان
الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وان نسي التقم
قلبه والخطم من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم انفه وعنه
صلى الله عليه وآله ان الشيطان ليجثم على قلب بني آدم له خرطوم كخرطوم الكلب
اذا ذكر العبد الله عز وجل خنس اي رجع على عقبه واذا غفل عن ذكر الله
تبارك وتعالى وسوس وعن ابن عباس ان الله تعالى جعل الشيطان يجري
من بني آدم مجرى الدم قيل وجريانه اما حقيقي فانه لطيف من نار لا يمتنع
سريانه كالدم او مجازي لكثرة وسوسته وعلاجه سد المجاري
بالجوع وقيل انه يلقي الوسوسة في مسام لطيفة فيصل الى القلب

خطبه

قيل معنى جريانه مجرى الدم انه لا يفارق ابن آدم ما دام حيا كما لا يفارقه
دمه وهذا على ضرب المثل والجمهور يحملون على ظاهره قالوا ان الشيطان
جعل له هذا القدر من التطرق الى باطن الآدمي بلطافة هيئته فيجري في
العروق التي يجري فيها الدم الى ان يصل الى قلبه فيوسوسه على حسب ضعف
ايمانه وقلة ذكره وكثرة غفلته ويبعد عنه ويقل تسلطه وسلوكه
الى باطنه بقدر قوته ويقظته ودوام ذكره واخلاص توحيده وقيل ان
ابليس قال يا رب انك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني
عليه قال جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدني فقال لا يولد
لآدم ولد الا ولد لك عشرة فقال رب زدني فقال تجري منهم مجرى الدم
قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال
والاولاد فشكى آدم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني
وبينه عداوة وبغضا وسلطته علي وانا لا اطيقه الا بك فقال الله
تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال
رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها قال رب زدني قال لا احجب عن احد
من ولدك التوبة ما لم يغرغر اي الغرض عن تردد الروح في الحلقوم وفي
الكافي بسند صحيح عن احدهما عليهما السلام قال ان آدم عليه السلام قال
يا رب سلطت علي الشيطان واجريته مني مجرى الدم فاجعل لي شيئا
فقال يا آدم جعلت لك ان من هم من ولدك بسيئة لم يكتب عليه فان عملها
كتبت له سيئة ومن هم منهم بحسنة فان لم يعملها كتبت له حسنة
وان عملها كتبت له عشرا قال رب زدني قال جعلت لك ان من عمل منهم
سيئة ثم استغفر غفرت له قال يا رب زدني قال جعلت لهم التوبة وبسطت

لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه قال يا رب حسبي هذا قوله فقد وكلني
اي الجأني ومنه وكلت امري الى فلان اي الجأته اليه واعتمدت فيه عليه
كذا في نهاية ابن الاثير وفي القاموس وكل الامر اليه وكلا ووكولا سلمه
وتركه وحيث ظرف المكان بمنزلة حين وهو ظرف الزمان ويجوز ان
يكون مستعارا للزمان وهو على المشهور بين اكثرهم مبني على الضم اضيف
الى الجملة كما في قولك قعدت حيث قعد عمرو او الى المفرد كما في حيث
النصب والحرمان اما على الاول فلمشابهته بالظروف والغايات في حذف
المضاف اليه لان الجملة المضاف هو اليها لما كانت ما قبله الى المفرد
كانت كانها محذوفة واما على الثاني فلان اضافته الى المفرد لما كانت نادرة
والنادر كالمعدوم حكما حكموا عليه بالبناء واجروا عليه حكم الاغلب و
الاكثر خلافا لبعضهم حيث ذهب الى انه في هذه الصورة معرب لانتفاء
ما يوجب بناءه فعلى الاول حيث هنا مضموم وعلى الثاني مجرور والنصب
التعب ومنه فاطمة بضعة مني ينصبني ما انصبها اي يتعبني ما اتعبها
والحرمان مصدر حرمه الشيء حرمانا بالكسر منعه والمحروم الممنوع
من الخير ووجهه ظاهر فان عداوة الشيطان للانسان بالجبلة والذات فاذا
وجد معاونا وهو النفس الامارة بالسوء غلب عليه وظفر به وخاصة
عند خذلانه تعالى وترك نصره فيأسره ويستعبده ويستخدمه في مراداته
المشاكلة لافعاله القبيحة واعماله السيئة ويصير ذلك الاشتغال
عادة للانسان وجبلة فيه وطبيعة ثابتة فتصير النفس الناطقة التي هي
جوهرة شريفة ودرة نفيسة شيطانية فتكون من اهل الكبر محشورة
مع الشياطين محرقة بنار الجحيم مشاركة لهم في عذاب الحميم نعوذ

بالله من الشيطان **الهي اتراني ما اتيتك الا من حيث الآمال** الرجيم
ام علقت باطراف حبالك الا حين باعدتني ذنوبي عن دار الوصال
حرف النداء محذوف كما في يوسف اعرض عن هذا يعني اخبرني يا الهي
عن حالي هل اتيتك ومن الامال وكلمة ام متصلة وتكون لطلب
تعيين احد الامرين وعلامتها ان تكون معادلة للهمزة الاستفهام
كما في قولك ازيد في الدار ام عمرو ويجوز ان تليها الجملة والمفرد بخلاف
المنقطعة اي اخبرني اي الفعلين كان واقعا والهمزة لانكار الفعل اي
لم يقع شيء منهما ولكن ما كان ينبغي صدوره ووقوعهما وهذا معنى التوبيخ
والتنبيه على الخطاء لترتدع وتنزجر عما كانت تفعله فيما مضى ومعنى هذا
الاستفهام تقرير بمعنى التحقيق والتثبيت فان عدم وقوعهما امر ثابت
محقق وانكار بمعنى انه ما كان ينبغي ان يكون ما كان ويحتمل بعض النسخ
لفظة الا بعد قوله اتيتك وقوله باطراف حبالك والاظهر حذفهما لانه
عليه السلام في مقام الاعتراف بعدم رجوع النفس عن المعاصي والذنوب و
والاقرار بعدم انقلاعها عن المساوي والعيوب وفي صدد توبيخها
وتهديدها بانها مع كونها ذات امال وذنوب لا تأتي الله لاجل الامال بل
لاجل غيره ولا تعلق باطراف حباله حين باعدها ذنوبها عن دار الوصال
بل لا ترجع ولا تتوب عما صدرت عنها من الذنوب ولا تنتبه على قبائح
اعمالها وشنائع اقوالها وهذا من خصائص النفس الامارة واما على
النسخة الاخرى فلعله اشارة الى مقام النفس اللوامة ولهذا لا تأتي الله
الا من جهة الامال ولا ترجع اليه الا وقت البعد عن دار الوصال واما في
غيرها من الحالتين فلا وهذا ايضا فيه مذموم والجبر كثير بل يجب

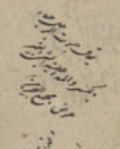
عبادته والنظر مقطوع عن جلب النفع ودفع الضرر كما اشار اليه [illegible]
ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك بل وجدتك اهلا للعبادة
فعبدتك والاولى ان يكون اصل الكلام صادرا عن اللوامة مع اللوم فيه
متوجها الى الامام وكلمة من تعليلية مثلها في قوله تعالى مما خطيئاتهم
اغرقوا فادخلوا نارا وقوله يغضي حياء ويغضى من مهابته وقوله
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب على ان الامال والحبل الرباط
والرسن والعهد والذمة والامان والجمع حبال قوله تعالى فاذا [illegible]
وعصيهم يخيل اليه انها تسعى وانما اسند التعلق باطراف الحبال دون
نفسها اظهارا للعجز والقصور والمراد بها هنا التوبة والانابة
والندامة على ما مضى وتنبه لترك المنهيات وفعل المامورات فيما
بقي من زمان التكليف فانها اسبابا اذا تعلق المذنب باطرافها توصل الى
دار الوصال وتقربه الى من هو منتهى الامال في الدار محل يجمع الناس
والعرصة وفي الكلام استعارة تصريحية او تشبيه للمعقول
بالمحسوس فان ذا روضة الله تعالى عباد عن محل الرافعة لديه حتى الله
غواشي رحمته وفضله وكرامته الدائمة الذي لا يعتريها حاجبه
بعلة القهر ولا يزول عنه بالستر والحجاب فهو كناية عن القرب
من هو الرفعة عنده بواسطة نيل الثواب تشبيها بالقرب المكاني
وليس المراد به الملاصقة في المساكن ولا بالوصال الاتصال الحقيقي
كما يتوهمه المجسمة ومن يحذو حذوهم تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا بل المراد التبتل والانقطاع اليه والتجافي عن دار الغرور والترقي
الى عالم النور والانس بالله والوحشة عما سواه وتصير الهموم هما

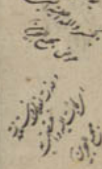
واحدا

والعارف يجعل الفكر مستغرقا في اسرار الملكوت وغوص الخواطر على اجلاء
انوار الجبروت فان العارف اذا اجلس متجليا بربه يلجى ذلك الى التضرع
وتوقعا لبره ودعة لعقله وطمانينة لقلبه ونورا لسره ثم تجلله [illegible]
هباء لكلله صار جليسا لربه دثار الخالقه ومعرجا طاعاته ومنادما
لمالك دار الفناء ودار البقاء ومشرفا بحضرت سلطان السماء وهو شوق
نفسه في اوقات البكاء والدعاء اليه تعالى كما تتوق نفس المريض الى [illegible]
والشفاء والعطشان الى الماء البارد للشارب والماء قيل لراهب ما اصبرك على
الوحدة قال انا جليس ربي اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه واذا شئت ان
اناجيه صليت وفي كتاب التوحيد عن الصادق عليه السلام ان روح
المؤمن لاشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها وفي مصباح
الشريعة عنه عليه السلام العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو
سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقا اليه والعارف امين ودايع
الله وكنز اسراره ومعدن نوره ودليل رحمته على خلقه ومطية علومه
وميزان فضله وعدله قد غني عن الخلق والمراد والدنيا ولا مونس له
سوى الله ولا نطق ولا اشارة ولا نفس الا بالله من الله مع الله فهو في
رياض قدسه متردد ومن لطايف فضله متزود والمعرفة اصل فرعه الايمان
وعن العسكري عليه السلام من انس بالله استوحش من الناس وعلامة الانس
الوحشة من الناس وسئل الصادق عليه السلام ما بال المتهجدين
احسن الناس وجها قال لانهم خلوا بالله سبحانه فكساهم من نوره وعنه
عليه السلام عن ابيه قال كان فيما اوحى الله الى موسى بن عمران كذب
من زعم انه يحبني فاذا جنه الليل نام يا ابن عمران لو رايت الذين يصلون لي

مفرحا

في الدجى وقد شملت نعمتي بزيارتهم يخاطبوني وقد جلست عن المشاهد
ويكلموني وقد عزرت عن الحضور يا بن عمران هب من عينك الدموع ومن
قلبك الخضوع ومن بدنك الخشوع ثم ادعني في ظلم الليل تجدني قريبا مجيبا
وعن سيد الساجدين في مناجاته للمحبين الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك
فرام منك بدلا ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى عنك حولا الهي فا
فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك واخلصته لودك ومحبتك وشوقته
الى لقائك ورضيته بقضائك ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته
برضاك واعذته من هجرك وقلاك وبواته مقعد الصدق في
جوارك وهذا الكلام منه عليه السلام اشارة الى الجنة العقلية
التي للمقربين وهي جوار الله وحضرته المشار اليها بقوله سبحانه ان
المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلا يبعد
ان يراد بدار الوصال هذه الجنة والحاوون قال صاحب عرائس البيان وصف
الله سبحانه بقوله هذا منازل المتقين الذين اقبلوا على الله بنعت الحرقة
والمحبة وحجبوا عما دونه من المرتبة وتلك المنازل عالم الشهادة ومقامات
الغيبية جنانها رفارف الانس وانوارها انوار القدس اجلسهم الله على
بساط الزلفة والمداناة التي لا يتغير صفاتها بعلة القهر ولا يزول
عنها بالحجاب والستر لذلك سماه مقعد الصدق واي محل كرامة دائمة
وقربة قائمة ومواصلة سرمدية ولذة ابدية انتهى وسئل ابو جعفر
الثاني في القرب فقال الذي يطلبه رضوان في الجنة فلا يجده ويطلبه
ابليس في الارض فلا يجده فقال له اهل المجلس وقد تعطرت قلوبهم يا ابا جعفر
فاين يكون هذا القرب فقال في مقعد صدق عند مليك مقتدر قال





بعض العارفين من اصحابنا ان هؤلاء الاصفياء وان كانوا من جهات هوياتهم
العقلية مقربين منه تعالى جالسين في مقعد الصدق تحت قبة الجبروت
لكنهم من جهة نفوسهم المطيعة لامر الله المسلمة لحكمه يرجعون الى مراتع
اللذات ويتنعمون بنعيم الجنان ظاهرا والجحيم التي هي صور الافعال جنات
حسنوية من المعارف والعلوم لانفسهم جنات صورية من اللذات والحور
نالوها من طريق قواها الحسية العملية من اكل وشرب ونكاح وغيرها
جزاء بما صبرت في الدنيا عن لذاتها وحبست عنه قواها من شهواتها و
الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
هذا ولما كانت الذنوب المبعدة عن دار الوصال انما هي دواعي النفس الامارة
بالسوء ومشتهياتها البهيمية والسبعية من الكبر والحسد والغل والعجز
والحرص وحب الجاه والمال وما شاكلها ذمها وفرع على التفريع الماضية

فبئس المطية التي امتطت نفسي من هواها

فان الهوى ما دام متمكنا في ارض النفس لا يمكن حسم مادة هذه الآفات عنها
راسا بل كلما دفعتها عادت الى ما كانت والا لازم تخلف المعلول عن علته
التامة والمطية فاعل فعل الذم والموصول بصلته صفة للمخصوص
بالذم وهو المطية المحذوفة المعينة بصفة للمطية المذكورة لان اللام
فيها للعهد الذهني وهي لو اخذت غير معين يصير معينا بذكر المخصوص ففي
الكلام تفصيل بعد الاجمال فيكون اوقع في النفس ومن هواها بيان
للمطية المخصوصة بالذم وهو المخصوص بالحقيقة لانه لما قال فبئس
المطية واجمل فكانه سئل عنها وقيل ما هي فقال هي هوى نفسي الذي
امتطيته اي جعلته مطية لها تمطي بها في السير اي تمد وتسرع ولا تقف

الى خلد وهذا بعينه حال الهوى فانه سريع السير مذبذب الذهاب جدا
لا يقف موقفا اصلا ولذلك شبهه بالمطية وتشبيهها بالمطية الناهضة
التي تركب مطاها اى ظهرها فال متى اذ اجلت في السير واسرع وهذا مقام
النفس اللوامة والذم فيه يتوجه الى الامان فدل الكلام على انه طلب
السلم كان نادما على ما فاتها نادما عما ورث عنها من الذنوب نادما عما ارتكبه
من المساوى والعيوب وهذا من اجل المقامات واشرف الصفات واكمل
السمات روى ان عابدا عبد الله سبعين عاما صائما قائما فاما البلاء
فطلب الى الله حاجة فلم تقض فاقبل على نفسه فقال من قبلك اتيت لو كان
عندك خير لقضيت حاجتك فانزل الله اليه ملكا فقال يا ابن آدم ساعتك
التي ازريت فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت تذنيب توبيخ النفس
ومعاتبتها ابن عطيتم في ابواب المرابطة وسبيل الله فان للعارفين في الله
الله مرابطتهم مع انفسهم مقامات حسن المشارطة ثم المراقبة ثم المحاسبة
ثم المعاتبة ثم المعاقبة وضربوا لذلك مثالا فقالوا ينبغي ان تكون حال
الانسان مع نفسه حاله مع شريكه اذا اسلم اليه مالا ليتجر به فيستعمل هو
التاجر في طريق الاخرة ومطلبه وربحه تزكية النفس فقد افلح
افلح من زكيها فالعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة او ليستخدمها فيما
يزكيها كما يستعين الانسان بشريكه وكما ان الشريك يصير خصما منازعا
يجاذبه في الربح فيحتاج ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا
ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى هذه المقامات
الخمس الاول المشارطة وهي ان يشارط النفس اولا فيوظف عليها الوظائف
ويامرها بسلوك طريق ويرشدها اليه ويحرم عليها غيره كما يشرط

التاجر

التاجر على شريكه الثاني المراقبة وهي ان لا يغفل عنها لحظة فلحظة
خوضها في الاعمال ويلاحظها بالعين الكالئة فان الانسان ان
غفل عن نفسه واهملها لم ير منه الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد
الخائن اذا انفرد بمال سيده الثالث المحاسبة وهي ان يحاسبها بعد الفراغ
من العمل ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها لو لا ان هذه التجارة ربحها
الفردوس الاعلى فتدقيق الحساب في هذا اهم من تدقيقه في ارباح الدنيا
لحقارتها بالنسبة الى نعيم الاخرة فلا ينبغي ان يترك مناقشتها في نفس
من حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر
جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى به كنز من كنوز الاخرة لا
تتناهى نعمته ولا ينقطع نعيمه قالوا وينبغي للانسان ان يخلو عقيب فرض
كل صبح بنفسه ويقول لها اى نفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فنى
فقد فني راس مالي ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا يوم جديد
قد امهلني الله فيه ولو توفاني لقلت رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما
تركت فاحسبي انك توفيت ثم رددت فاياك وتضييع هذا اليوم والعمل
فيه الرابع المعاتبة والتوبيخ وقد عرفت ان النفس لامارة بالسوء
ميالة الى الشر وقد امرت بتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة
ربها وخالقها فسبيل المعاتبة والتوبيخ ان يعدد على النفس
عيوبها ويذكر لها ما هي عليه من الجهل في ارتكاب المعاصي وانحرافها
عن سلوك سبيل الله لشدة تكبرها وضعف سورة شهوتها ولشدة
بدلها الى الاسترسال رحمه الله تعالى او دافعه قال بعض العارفين النفس
شرود جموح فان اهملتها لم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ

قلت

والمعاتبة واللائمة كانت نفسك هي النفس اللوامة المراد من العاقلة
والمجاهدة وذلك اذا رأى نفسه وقد خان في معصية او همت بها
فينبغي ان يعاقبها بالتضييق عليها في الامور المباحة ويأخذ بالصبر عنها
واذا رآها توانت وكسلت عن شيء من الفضائل ووقعه من الاوراد فينبغي
ان يؤدبها بثقل الاوراد عليها ويلي ما فوتها من الطاعات جبرا
لما فات

فواها لها ما سولت لها الطوها ومناها

اي تلهفا او توجعا او تعجبا فان واها في الاصل من الاصوات الجارية على
لفظ الانسان ثم نقل الى باب المصادر ولو نصبه المصدرية من غير ان يصير
اسم فعل فحكمه حكم المصادر وهو للتعجب وفي الحديث من ابتلي
فصبر فواها واها قيل معنى هذه الكلمة التلهف وقد يوضع موضع
الاعجاب بالشيء يقال واها له وقد ترد موضع التوجع وقيل التوجع
يقال فيه آها ومنه حديث ابي الدرداء ما انكرتم من زمانكم فبما
غيرتم من اعمالكم ان يكن خيرا فواها واها وان يكن شرا فآها آها وفي
الكتب الادبية في افعال التعجب واها كلمة تستعمل في التعجب منصوبة
على المصدر تعالى يجي فعلها عندنا الاكثر وقال الجوهري يعجب من طيب
الشيء فقلت واها له اي ما اطيبه والتسويل تحسين الشيء وتزيينه
وتحبيبه الى الانسان ليفعله او يقوله يقال سولت له نفسه كذا
وسول له الشيطان اغواه وفي التنزيل بل سولت لهم انفسهم ما كانوا
يعملون انما اسند التسويل الى الطوها ومناها ليدل بذلك
على خستها وغرورها بانها تظن امرا وتتمناه فيصير بذلك عندها
محبوبا مستحسنا مقبولا فتبادر فعله وهي على غير بصيرة ويقين

منه

منه فما شلا تعني الجملة في الدنيا ولا ابقاء فيها فيما اخلد في تحصيل ما
يحتاج اليه من اهل ومال واولاد واسباب وتؤخر التوبة والاقبال
على الامور الاخروية الى الكهولة ومنها الى الشيخوخة وهكذا من وقت
الى وقت ومن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر ومن سنة الى سنة وهذا
منها بمجرد تسويل شيطاني وتغرير نفساني تسند الى طوها ومناها فانها
ليست على يقين من بقائها الى الكهولة وتمنيها بقاءها من ساعتها بعد
فيخطفها وهي غافلة عنه غير مستعدة له مستغرقة في الدنيا وامورها
فطول حرصها وبذل ابنها في الاحق وهذا منها غريب عجيب توقع هجوم الموت
في كل ساعة فانك لا تدري الموت متى ما ارك فما تعد من اللهو وقد شاب راسه وهو
تعدت ايامه وهو غافل

وتبا لها لجرأتها على سيدها ومولاها

التب النقص والخسار والقطع والهلاك تبت يدا ابي لهب يقال تب تبيب
تبا فهو منصوب بفعل مضمر من ترك الاظهار ايجب يعني تبا الجرأة هنا
بالاقدام على معصية سيدها والاحجام عن طاعته فالمضاف محذوف
واضافة الجراءة الى الضمير لقصد تعظيم شان المضاف فان تعظيم الذنب حاصل
الاطراف والاضدار ادعى لقبول التوبة واما اضافة السيد الى الضمير
فاما للتهويل او تعظيم شان المضاف واظهار التاسف والتحسر على عدم اطاعته
وانقياد امره والتعبير عنه بانه سيدها ومولاها ادخل في المقصود والاضيق
اخصر طرق الموصلة اليه او للتسليم بانه ما كان ينبغي العبد ان تجترا
على سيده وسيما سيد السادات ومالك الملوك الذي اوجده وانعم
نعمه ظاهرة وباطنة بل غير متناهية ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
والجراءة بالضم الشجاعة وهي جراءة القلب على الاهوال وربط الجاش في

المخوف وهي فضيلة بين التهور والجبن فالتهور هو الثبات المذموم
في الامور المعطبة والجبن هو الفزع من الامور المعطبة فان قلت كيف يجوز
على امام معصوم عن ان يقول له ضعه وتغلب عليه هواه الى ان تجرّا على
سيده ومولاه قلت هذا من باب تعبيرهم الفعل عن مشارفة اي
شارفت ان تقول كما لا ان التقوى بل خلعتها فهو من قبيل وليخش الذين
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم اي شارفوا ان تركوا
ليصح وقوع خافوا جزاء لانتفاء الخوف بعد الموت ومنه قول الشاعر
الى ملك كاد الجبال لفقده ☆ تزول وزال الراسيات من الصخر ☆ فان المراد
شارفت الزوال لا ان الزوال وقع وعلى هذا فلا يبعد ان يقال ان المعصوم
المعصوم لما كان في قالب بشري وجلباب ناسوتي وكانت له قوى جسمانية
متجاذبة متداعية الى الشر والضر شارفت ان تقول له المعصية والجرأة
عليها وليس في ذلك ما ينافي العصمة او يكون هذا من باب ان الاشتغال عندهم
بالمباحات ذنبا واعتقادهم كونه خطيئة مع ما فيه من كمال الخضوع
والخشوع له تعالى والاعتراف بالتقصير اذ كانوا لا يخرجون انفسهم عن
حد التقصير ابدا في جميع الطاعات والعبادات وسيأتي فيه كلام ابسط
او يكون هذا من باب تعليمهم الامة والرعية كيفية الطاعة والعبادة
والخضوع والخشوع هذا والمولى اسم يقع على جماعة كثيرة والمراد به اما
الرب او المالك او المنعم او المعتق بالكسر او السيد فالعطف تفسيري
فلما انتبه لسوء حاله وشناعة ماله وقبائح افعاله وفضائح اقواله و
استشعر منه خوفا وندم عما كان منه رجع الى الله باب الرجاء والطلب
من كثرة **الهي قرعت باب رحمتك بيد رجائي وهربت اليك لاجيا من فرط**
الاهواء فقال

بجرمي ود

قال

مالي سوى قرعي لبابك حيلة ☆ فلئن رددت فاي باب اقرع ☆ القرع الدق
والضرب قرع ناقته ضربها بسوطه ومنه لاعتبنهم بقوارع سوقهم
بين فلول من قراع الكتائب ☆ ومنه من قرع الباب ولج ولج ومنه ما ورد
في الخبر من يكثر قرع الباب يفتح له والرجاء بالفتح والمد خلاف اليأس وهو
موجبة لفرحها بسبب توقع امر مطلوب مظنون حصوله ويقال لجأت
الى فلان اذا استندت اليه واعتضدت به والفرط من افرط في الامر
اذا جاوز فيه الحد اي من كثرة اهوائي وتجاوزها الحد وبيد رجائي متعلق
بقرعت وفيه استعارة بالكناية وتخييل وكذا في تشبيه الرحمة بالبقعة
المصونة في دار مغلق بابها استعارة واثبات الباب تخييل والقرع ترشيح
والبواب الدائر الفاتح لباب الرحمة هو الخالق جلت عظمته وعمت
رحمته ومن فرط اهوائي متعلق بهربت والاضافة لامية واليك
متعلق بلاجيا وهو منصوب على الحالية من ضمير المتكلم اي وليت عنهم
مستندا اليك ظهري ومعتضدا بك وفي تشبيه الاهواء المفرطة
بالاعداء المهلكة والهرب منهم والالتجاء الى الله تعالى استعارة
بالكناية وترشيح وفيه دلالة على غالبية تلك الاهواء الطاغية و
مغلوبية النفس الضعيفة وافتقارها في الغلبة عليها وجعلها منقادة
تحت قلم العقل الى عناية الله تعالى ونصرته والاعتصام بحوله

وعلقت باطراف حبالك انامل ولائي

محبتي اياك والاضافة لامية والاستعارة مكنية او تخييلية وفي
ترشيحية حيث شبه الولاء بالشخص الانساني اثبت له الانامل و
العلاقة او عبوديتي او محبتي لك لانك منعمي تبرعا ولم يسبق مني ضمان

بحضرته ود

جزيرتي وليس لي طرف سواك والانملة رؤوس الاصابع وفيه وفي ابنا
العلاقة الى الاطراف نوع اشعار بالعجز والقصور كما سبق في نظره و
الولاء بالفتح اصله القرب والدنو ويطلق على ولاء العتق وهو تعرف
احد الشخصين بالآخر على وجه يورث الارث بغير نسب ولا زوجية وفي
اطراف حالك استعارة مصرحة وترشيح او تخييل عما اعترف بما لو
واقر بذنوبه ومعاصيه ثم الالتجاء الى الله فازعا بابه رحمة عالقا
باطراف حاله وهو تعالى حث على التوبة والندم وكتب على نفسه الرحيم
والكرم فقال توبوا الى الله جميعا ان الله هو التواب الرحيم ان الله يغفر
الذنوب جميعا فرع على ذلك قوله

فاصفح اللهم عما اجترمته من زللي وخطاياي

ايماء الى ان الاعتراف بالذنوب والاقرار بالمعاصي والعيوب موجب لغفرانها
سبب لمحوها عما عن سترها ففي الكافي عن الباقر عليه السلام لا والله
ما اراد الله من الناس الا خصلتين ان يقروا بالنعم فيزيدهم وبالذنوب
فيغفرها لهم وعنه عليه السلام والله ما ينجو من الذنب الا من اقر به وعن
الصادق عليه السلام والله ما خرج عبد من ذنب الا بالاقرار وفي الاقرار
به خمس فوائد الانقطاع الى الله وانكسار القلب وفيه من الفضيلة ما لا
يخفى ان الله عند المنكسرة قلوبهم وربما يحصل عنده رقة القلب وهي
دليل الاخلاص وعنده يكون الاجابة وربما كان سببا للبكاء وهو سيد
الآداب الخامس مواضعه امر الباقرين عليهما السلام والصفح العفو والتجاوز
واصله من الاعراض بصفحة الوجه كانه يعرض بوجهه عن ذنبه ومنه
الصفوح في صفة الله تعالى وهو العفو عن ذنوب العباد والمعرض عن

عقوبتهم تكرما وقيل الصفح ان تعرض عن الشيء بصفحة وجهك وتنحي له
اثرا ما والعفو ان تعفو فلا يبقى له اثر وقيل العفو ان لا تواخذ والصفح
الاعراض وعدم التثريب والاعراض فهو من حيث تقول له لعدم التذكر
للجناية كان ابلغ ولعله لذا للناس عليه السلام والعفو ابلغ من وجه آخر
وهو المحو بالكلية من عفى الرسم اذا ذهب اثره ومنه ويتم عفى من بعد ما امحى
وكليه ما عبارتهم عن الذنوب والمعاصي وكان تامه وكليه من تعليله
اي عن الذنوب التي مضت وصدرت مني لاجل زللي وخطاياي ويحتمل
ان تكون تميمه مفيدة للعموم مصرحة بمدخول من لفظه من بيانيه والزلل
الخطا والذنب فالعطف للتفسير واصله من زلت القدم وازلقت ولم يثبت
عقبه استعارة مصرحة او تشبيه للمعقول بالمحسوس وقال الزمخشري
هو نوع من انتقال الجسم من مكان الى مكان يقال زل عن مكانه زللا من باب
ضرب ويجيء الاسم الزلة بالكسر والزلة بالفتح المرة ثم استعير للزوال
عن الحق والصواب والخطا محمولا بمعنيين ضد العمد وهو ان يعمل
شيئا من غير ان تقصد فعله ومنه رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما
استكرهوا عليه وقيل انه العدول عن الصواب بان يريد فعل المحسن
ارادته فيفعله وهو المأخوذ به او يريد ما يحسن فعله ولكن يقع له
خلاف ما يريد او يريد ما لا يحسن فعله فيقع منه خلافه وهو مخطئ
ارادته مصيب فعله وهو مذموم بقصده غير محمود بفعله وقد يطلق
على المعصية وان كان فاعلها متعمدا من حيث انها ضد الصواب والخطا
الذنب والاثم يقال خطي في دينه خطأ اذا اثم فيه

واقلني اللهم من صرعة ردائي

الصرعة بضم الصاد وفتح الراء الذي يصرع الناس ولا يصرع هو
وبفتح الصاد وسكون الراء مصدر صرعه اذا ادناه والقاه على الارض
وضيعا المصروع وهو المختل الفاسد العقل لمرض يعرض له في العقل
والفكر فيورثه اضطرابا كالجنون فيلقيه على الارض والعامة يزعمون
ان الشيطان يخبطه فيصرع وبعضهم يظنون ان الجني يمسه فيخالطه
والرداء بالمد معروف وهو الثوب او البرد الذي يضعه الانسان
على عاتقه وبين كتفيه وفوق ثيابه شبه به الخطيئة والذنوب
والاثام والعيوب مبالغة في كثرتها واحاطتها واشتمالها وغلبتها من قال
قوله تعالى بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته او اشعارا بلزومها
وعدم انفكاكها من باب جيب صاحب الخطاء جعلت له الفداء من اراد
البقاء والاباء فليخفف الرداء والاستعارة تخييلية تصريحية او
يكون من الردى بالقصر الهلاك كما يوجد في بعض النسخ واراد بها
هنا الوقوع في الاثم فانه يوجب الهلاك الابدي والشقاء السرمدي
والاضافة من اضافة الصفة الى الموصوف او لامية اي الذي من ذنبي
واثامي الصادرة والاول اوفق بالصرع الماضية والثاني بالتالية
وهي

قوله **اليك سيدي ومولاي**

تعليل الدعاء ومزيد استدعاء للاجابة فان العبد اذا التجى خاضعا به
على سيده ومولاه فكيف اذا كانت الجنابة بالاضافة الى المولى وتاكيد
الجملة لغرض الكمال خضوع بطلبته فان تحذف حرف الجر وهو هنا من
مطرح او يقال لما كان مضمون الجزء مظنة التردد والانكار حسن فيه
التاكيد والقول بان المخاطب به وهو الله تعالى وهو في سيادته ومولويته لا يتردد

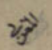
كيف وهو سيد السادات ومولى الموالي يجاب بان امثال هذه الخطابات
من قبيل ايمني بالجارة واكثر ما يخاطب الله به عباده مما فيه التاكيد من
هذا القبيل **وقد** ذكر الشيخ عبد القاهر ان له فوائد اخرى غير دفع
الشك ورد الانكار **منها** الاهتمام بمضمون الكلام وتقريره واظهار كمال
العناية به كما في انا فتحنا وانا اعطيناك وكم مثلها والمولى اسم يقع على جمع
كثيرة الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب
والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم
عليه والاولى بالتصرف ومنه من كنت مولاه فعلي مولاه اي من كنت اولى
منه بنفسه فيضاف كل واحد الى ما يقتضيه المقام وسيأتي معنى السيد

ومعتمدي

لاني لا اعتمد الا بقولك ولا اثق الا بنصحك واما لك ولا التفت الى
شيء من الوسائط بيني وبينك فاودت رجائي عليك مستمدا فضلك
متلبسا بالاعتقاد على وفائك بما وعدت الراجين للعفو انجاح مطالبهم وبه
اسعاف مآربهم **قالوا** من عرف الله بجوده وكرمه وعفاه قصده ورجاه ومن
علامة رجائه رغبته في عبادته وحبه الطاعة والاعتماد على فضله
وجوده وعدم الالتفات الى غيره واليه اشار بقوله صلوات الله و
سلامه عليه وعلى **ورجائي** اولاده الطاهرين
لاني لا ارجو الا فضلك والرجاء قيل تعلق يقتضي حصول ما فيه مسرة
وقيل تعلق النفس بحصول محبوب في المستقبل وهو اقسام رجاء المغفرة على
تعالى مع عدم التوبة عن السيئات ورجاء لحصول الحسنات ورجاء
للتفضل والمصدر بمعنى المفعول اي مرجوي ففيه مبالغة كما في قوله

انما هي اقبال وادبار وقوله هواي مع الركب اليمانين مصعد فالمجاز لغوي
ويمكن ابقاء المصدر بحاله على ما هو حقيقته بجعل التجوز في الاسناد
وهو اوفق بما عليه ائمة المعاني حيث رجحوا التجوز العقلي في انما هي اقبال
وادبار على المجاز اللغوي قالوا لو اريد بالاقبال والادبار غير معناها الحقيقي
حتى يكون مجازا في الكلمة وانما المجاز في ان جعلها لكثرة ما تفعل وتدبر كانها
تجسمت من الاقبال والادبار فهو مجاز لما كان حقيقيا بان يكون رجاء
كل راج فيكل ما يرجو محسنا كان مسببا فكانما صار رجاء مجازا في التجوز
في الاسناد وينبغي ان يكون الرجاء معادلا للخوف كما ورد ان ليس من عبد
مومن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على
هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا **قال** بعض الاصحاب وذلك لان المومن لا
يخلو من تصور اسباب الخوف والرجاء وتجويز وقوع مقتضى كل واحد
منهما بدلا من الاخر بحيث لا يرجح احدهما على الاخر اذ لو رجح الرجاء لزم الامن
في غير موضعه افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولو
رجح الخوف لزم الياس الموجب للهلاك انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون ومنه ظهر ان الخوف غير القنوط وانه والرجاء ينبغي ان يكونا
متساويين مطلقا واما الرجاء الصرف البحت فمذموم قيل لسيدنا الصادق
عليه السلام ان قوما من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجوا فقال
كذبوا اولئك ليسوا لنا بموال اولئك قوم ترجحت بهم الاماني ومن رجى
شيئا عمل له ومن خاف شيئا هرب منه **قال** بعض العارفين الرجاء والخوف
كجناحي الطائر اذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه واذا نقص احدهما
كان نقصا باله فسقط على راسه واذا ذهب هلك الطائر وقال ابو عثمان

الحيرة



المغرور من حمل نفسه على الرجاء تعطل ومن حمل نفسه على الخوف
فقط ولكن ينبغي ان يخاف العبد راجيا ويرجو خائفا **وغاية مبتغاي**
وذلك ان لكل احد مطلوبا في حوائجهم حتى ينتهي اليك فليس فوقك
مطلوب ويطلبون منك الحوائج بعد يأسهم عن المطلوبين وطلبهم منهم
والحاصل ان الغاية يطلق على المدى والنهاية وعلى امتداد المسافة
وعلى الغرض والمقصود من الشيء وعلى الراية والعلامة وهذه العبارة
يحتمل وجوها **الاول** ان يكون الغاية بمعنى الغرض والمقصود اي
جل مقصود من جملة مقصودا وذريعة من جملة ذريعة اي كل
له مطلب يرجى من تحصيله لعينه يتوسل اليه به تعالى **الثاني** ان يكون
المراد بها النهاية اي الرب يتجلى غاية اما الخلق يدعونه عند الشدة
باسمائه العظام **الثالث** ان يكون المقصود انه تعالى غاية الافكار اي
فكان من جملة غاية والتفكر فيه لكن فانه غير ما هو غاية افكارهم
مصنوع عقولهم اذ غاية ما يصل اليه افكارهم ويحصل في اذهانهم
بالصفات الزائدة الامكانية وكل موصوف كذلك فهو مصنوع

في منقلبي ومثواي

في وقت رجوعي عن الدنيا الى الاخرة بعد الموت وقوله في قبري او
الجنة بعد الحساب او بعد النجاة عن العذاب والمنقلب الانقلاب
السفر والعود الى الوطن ومنه دعاء السفر اعوذ بك من كابة المنقلب
وهو بفتح اللام مصدر ميمي بمعنى الانقلاب وهو الرجوع مطلقا
اي رجعي بمعنى انه يعود كل روح بعد ما فارق البدن الى وطنه الاصلي
ومقامه الحقيقي وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون والمثوى

المقام والمسكن والمنزل لمن نوى بالمكان يثوى اذا اقام فيه والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم والله يعلم متقلبكم ومثويكم والجار مجرور اما متعلق بكل من الفقرات الثلث او مقصور على الاخيرة منها اى انت غاية مثالى واقبالى من سفرى هذا والمنتهى في جوارك ودارك ولما طلب منه عز اسمه الصفح عن ذنوبه والاغماض عن جرمه عيوبه ودوام الاقامة في جواره وداره وكان ذلك يوهم بزاحم العقل في ذلك زعم انه يطرده ويبعده ويحجبه عما قصده استعطف منه

الهى كيف تطرد مسكينا التجأ اليك من الذنوب هاربا ذلك الاصل في كيف ان يسأل به عن حال الشيء عن كيفيته الشيء وصفته التى هو عليها وهى هنا للاستفهام لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الاية بل بمعنى انكار الوقوع والتعجب منه كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الاية وقد يوجب ما لانكار الى كيفية طرده تعالى المسكين الملتجي اليه من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفس طرده بان يقال اتطرد مسكينا التجأ اليك لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهانى وهى اعنى كيف في محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف اى على اى حال او في اى حال وصفته تطرد مسكينا والطرد الدفع والابعاد طرد الرجل طردا اذا ابعدته فهو مطرود وطريد وطردته اى نفيته والمسكين من المسكنة وهى الذلة والافتقار وهو مفعيل من السكون ويطلق على من لا كسب ولا مال يفى بمؤنته وهل هو اسوء حالا من الفقير

خلاف والحق انه اسوء حالا لما روى في الصحيح عن ابى عبد الله الصادق عليه السلام انه قال الفقير الذى لا يسأل الناس والمسكين اجهد منه والبائس اجهدهم والمراد به هنا من لا حسنة له ولا قدرة له على كسب حسنة بل هو مغمور في بحار الذنوب مستور بحجب العيوب فهو اسوء حالا من الفقير ولذا اثره عليه وفي الكلام استعارة تحقيقية تجرحيه او استعارة تمثيلية وجملة التجأ اليك منصوبة محلا صفة له والالتجاء الاستناد والاعتضاد تقول لجأت الى فلان والتجأت ولجأت اذا استندت اليه واعتضدت به اى التجأ الى رحمتك ومغفرتك وعفوك وصفحك بحذف المضاف وهاربا حال من ضمير الفاعل ومن الذنوب متعلق به والهرب الفرار وهما مترادفان وفرار العبد الى الله تعالى على مراتب فاولها الفرار من بعض اثاره الى بعض كالفرار من اثر غضبه الى اثر رحمته كما قال حكاية عن المؤمنين في التضرع اليه ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الاية فكانهم لم يروا الا الله تعالى وافعاله ففروا من بعضها الى بعض الثانية ان يفنى العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى في درجات القرب والمعرفة الى مصادر الافعال وهى الصفات فيفر من بعضها الى بعض كما ورد عن زين العابدين عليه السلام اللهم اجعلنى اسوة من قد انهضته بتجاوزك عن مصارع المجرمين فاصبح طليق عفوك من اسر سخطك والسخط والعفو صفتان فاستعاذ باحديهما من الاخرى الثالثة ان يرقى عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر اليها منها كقوله تعالى لا ملجأ من الله الا اليه وكما ورد في الدعاء في القيام الى الصلوة منك وبك ولك واليك اعوذ بك منك بدو الوحى

كما قال تعالى

وبك قيامه وبك ملكه واليك رجوعه ثم اكد ذلك بقوله لا ملجأ ولا منجى
ولا مفر منك الا اليك وقد جمع الرسول صلى الله عليه واله المراتب
حين امر بالقرب في قوله تعالى فاسجد واقترب فقال في سجوده اعوذ
بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك فانه نظر
اولا ببعض افعاله من بعض ثم ترقى الى مصادرها فاستعاذ ببعض صفاته
من بعض ثم ترقى الى ملاحظة الذات فاستعاذ به منه فهذه ثلث مراتب
للفرار الى الله تعالى والمرتبة الثالثة هي اول مقام الوصول الى ساحل العرفان
ثم للسباحة في لجة الوصول درجات لا تتناهى كذا نقل عن بعض العارفين
ولا يخفى ان ما نحن فيه من القسم الاول اذ المراد انه فر من عقاب الذنوب
وهو اثر الغضب الى كنف جنابك وهو اثر الرحمة فتامل وعلى هذا
التقدير فكلمة من ابتدائية والمضاف محذوف اي هربت من عذابها
ونحوها اليك وهذا التقدير متحتم اذ لا معنى للهرب من ذات الذنوب
فان قلت هلا حملت من على معنى التعليل ليكون المعنى هربت اليك
من اجل الذنوب قلت تعين كونها ابتدائية مقابلتها بالى قال الرضي
وتعرف من الابتدائية بان يحسن في مقابلتها الى نحو تبرأت من فلان الى
فلان على انه قال من التعليلية نحو لم اتك من سوء ادبك كانها ابتدائية
لان ترك الاتيان حصل من سوء الادب انتهى وتسمية الذنوب بالعدو
الغالب لجامع الاهلاك والاضرار استعارة مكنية والهرب منه ترشيح
اظهر ثم انه عليه السلام التفت جدا لما استبعد من التكلم الى الغيبة
حيث لم يقل كيف تطردني نفسنا في الكلام استعطافا وبالمسكنة و
الذلة اشعارا بان المسكين الملتجي لا ينبغي طرده فهو على طريقة قوله

الهي عبدك العاصي اتاكا مقرا بالذنوب وقد دعاكا فان تغفر فانت لذاك اهل
وان تطرد فمن يرحم سواكا فان قلت ذكر المسئلة وكذا الاسترشاد والطلب من سبحانه
الرحمة مترتب على الشفقة ما ليس في تطردني ويجيبني وتردني وهو ظاهر

او كيف تخيب مسترشدا قصد الى جنابك ساعيا

خاب يخيب خيبة حرم وخيبه الله لم ينل ما طلب وفي المثل الهيبة خيبة وتعالى
خيبة لزيد بالرفع والنصب دعاء عليه ومنه الحديث خيبة لك ويا خيبة
الدهر والرشد بالضم والسكون وبفتحتين والرشاد الهدى والاستقامة
وقال الواحدي الرشد اصابة الخير وهو خلاف الغي ومنه ارشاد الضال
هدايته الطريق وتعريفه وقال الراغب الرشد عناية الهية تعين
الانسان عند توجهه في اموره فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه
فساده واكثر ما يكون ذلك في الباطل نحو قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم
رشده من قبل وكنا به عالمين فالمسترشد من يطلب الرشد والهداية
ساعيا وجاهدا فهدايته على الله تعالى واجب لقوله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقصدت الشيء وله واليه من باب ضرب طلبته بعينه
وقصدت قصده نحوت نحوه والجملة في محل النصب على الوصفية والسعي
العدو وقلما يستعمل للذهاب والمشي والكلفة والجد في التصرف في كل عمل
ويعدى بالمعنى الاول بالى وبالمعنى الثاني باللام وفي حكم اللغة السعي الكسب
وكل عمل من خير او شر سعي وقال الفيومي في المصباح اصل السعي التصرف
في كل عمل وعليه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وساعيا منصوب
على الحالية او القيد به فتنبيه الخاطب جل عن ذلك بالملك الكريم المنجح
المنعم استعارة بالكناية واثبات الجناح وهو العضو او الرجل والناحية له تخييل

النعيم

او ترشح والمراد انه نزه سره عما يشغله عنك وتبتل بجراته اليك
التي شدة مراشد الحق واليقين ونظمه في سلك الاولياء والمتقين

ام كيف ترد ظمآنا ورد الى حياضك شاربا

الرد المنع يقال رده عنه ردا وهو كناية عن الحرمان ومنع المعروف وضد
السائل اذا حرمه ولم يعطه شيئا والظماء شدة العطش ومنه قول الفاضل
عبد العزيز الجرجاني يقولون لي فيك انقباض وانما رأوا رجلا عن موقف الذل
احجما اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى ولكن نفس الحر تحمل الظماء
الظمآن كالعطشان وزنا ومعنى ويقابله الريان وفيه استعارة
تصريحية حيث شبه العاصي المحتاج الى الرحمة والمغفرة بالظمآن ثم
ذكر المشبه به واريد المشبه ونقول وردنا الماء اورده وردا اذا حضرته
للشرب ويقال ورد بلد علينا اي حضر واصل الورد بلوغ الابل الماء وحضورها
اياه ثم استعمل في غيره مجازا كما في الاساس ورد عليه امر لم يطقه واورد
على ما عصى وهذا يدل على انه مستعمل بعلى فلعله على ما لم يختمه
التوجه فعداه بالى والحوض معروف وهو ما يجتمع فيه المياه وحياضك
بحذف المضاف اي حياض رحمتك وعفوك ومغفرتك وفيه استعارة
بالكناية وتخييل والورود ترشيح وشاربا منصوب على الغالبية اي
للشرب او الحالية اي قاصدا للشرب كما قالوا في قوله تعالى [illegible]
وهو ايضا من ملائمات المشبه به تذنيب كلمة ام متصلة لطلب التصور
وتعيين احد الامرين مع العلم بثبوت اصل الحكم وعلامتها ان تكون
معادلة لهمزة الاستفهام وقربه لها كما في قولنا ازيد في الدار ام عمرو
ويجوز يليها الجملة والمفرد ومنقطعة لطلب التصديق ولا يليها الجملة

وهي كبل في الاضراب مثل الاول ومثل الهمزة للشك في الثاني والواقع قبلها اخبار
كقولك انها لقطيعة ابل ام شاء فانك لما علمت انها الكثبان ابل اخبرت
عن هذا الاخبار ثم شككت في انها شاء او شيء اخر فاستفهمت عنها بقولك ام
شاء اي بل هي شاء واما الاستفهام كقولك ازيد عندك ام عمرو اي بل عمرو وحين
يقصد الاضراب عن الاستفهام الاول بالاستفهام الثاني وما نحن بصدده
بيانه من هذا الباب لان كلمة ام فيه منقطعة لانتفاء همزة الاستفهام
والجملة الواقعة قبلها استفهامية فيكون للاضراب عن سؤال الى اخر
انه لما عرض عليه السلام انه تعالى لا يطرد الهاربين اليه قصد الاضراب عنه
الى الاستفهام الثاني ثم لما ظهر له انه عز اسمه لا يخيب المسترشدين القاصدين
الى جنابه اضرب عنه ثانيا فاستفهم ثالثا ثم لما علم انه جل جلاله لا يرد
الشاربين الواردين الى حياضه انكر ذلك ايضا بقوله

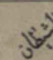
كلا وحياضك مترعة في ضنك المحول

حاشاك وسبحانك وانزهك عن ان اصفك بهذه الصفات وانسبك
الى السمات فانها صفات تنزهك عنها وكلا ردع في الكلام وتنبيه ونحي
معنا انيه لانه تعالى متصف بها ومنصوب البهاء فهو رد على من وهم
اتصافه تعالى بها كما تسبق اليه الايماء الا انه عليه السلام لما اخرى عن
الاولين خص الانكار بالثالث ولذا قال وحياضك مترعة مملوة ومنه قوله
فاقبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا واترعت الحوض
ملأته والضنك الضيق ومصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث
ومنه قوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ضيقا
من باب جرد قطيفة واخلاق ثياب والمحول كالفحول جمع محل وهو الجدب وفي

الاصل انقطاع المطر ارض محل وزمن محل وماحل والماحل انه كيف اصفك
بهذه الصفات وحياض جودك وكرمك مملوة من مياه العفو والاحسان
والرحمة والغفران في سنهات مجدبة مقطوعة المطر ميتة الغيث ففي
الكلام استعارة تمثيلية او استعارة مكنية وتخييلية وترشيحية حيث
شبه الجود والفضل والكرم والرحمة والمغفرة والنعم بحياض المضاف
للمياه ثم اثبت لها الحوض والاتراع **بشارة** هذا الكلام منه اشارة الى ان
خزائن رحمة ربه جل وعز لا ينفد وبحار مغفرته وفضله لا تنزف فاستبشر
ايها المذنب العاصي والمدبر اللاهي برحمة ربك تعالى ولا تقنط من رحمته
ومغفرته ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم انه يغفر الذنوب جميعا
انه هو الغفور الرحيم وورد في الخبر عن سيد البشر عليه واله السلام
عدد قطرات المطر انه قال ليغفرن الله تعالى يوم القيمة مغفرة ما خطرت
فما على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه **بحر** يقول
لها ذنوب وحرصت عليها حتى ابيضت والظهر توجهي ونصبت لذلك
ليذكرني وفي الكافي عنه عليه واله السلام لولا انكم تذنبون وتستغفرون
الله لخلق الله خلقا حتى يذنبوا ثم يستغفروا الله فيغفر لهم ولكن لا بد ان يرجوها
من عمل صالح بعد حصولها بترك الانهماك في المعاصي الى هذا الاشتغال
او لا تنظر الى حال الانبياء والاوصياء والاولياء واجتهادهم في الطاعات
وصرفهم العمر في العبادات ليلهم ونهارهم اما كانوا يرجوا الله عفوه ورحمته
واحسانه ومغفرته بل انهم كانوا اعلم بسعة رحمته وارجى لها ولكنهم علموا
ان رجاء الرحمة من دون سابقة العمل غرور محض وسفه بحت فصرفوا
في العبادات اعمارهم وقصروا على الطاعات ليلهم ونهارهم فاياك ان يغرك

تشرف خ

لمن يرجوها خ



الشيطان

الشيطان ويمنعك عن العمل ويقنعك بمحض الرجاء ومجرد الامل وقد عرفت ما
قيل لسيدنا الصادق عليه السلام وما قال صلى الله عليه واله في جوابه فتذكر
واعلم انه جاء في الخبر عن الرضا عليه السلام ان الله تعالى ينزل ملكا الى السماء
الدنيا كل ليلة في الثلث الاخير وليلة الجمعة في اول الليل فيامره فينادي هل من
سائل فاعطيه سؤله هل من تائب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له
يا طالب الخير اقبل ويا طالب الشر اقصر فلا يزال ينادي بها حتى يطلع الفجر فاذا
طلع عاد الى محله من ملكوت السماء وحدثني بذلك ابي عن جدي عن ابائه عن رسول
الله صلى الله عليه واله والى ذلك اشار عليه السلام بقوله

وبابك مفتوح للطلب والوغول

الباب مدخل الشيء واصله مداخل الابنية كباب المدينة والدار ثم تجوز فيه
واستعمل فيما يتوسل به الى الشيء ومنه انا مدينة العلم وعلي بابها يعني به
يتوصل اليه وابواب المغفرة هي الاسباب التي بها يتوصل اليها اي باب رحمتك
وفضلك واحسانك وجودك وامتنانك بحذف المضاف ففيه مكنية وتخييل
وترشيح او شبه المخاطب جل طوله وعم نواله بالمنعم الجواد المحسن الكريم
فاثبت له بابه مفتوح لطلب الطالبين ودخول الراغبين ليستفيضوا من كرمه
وينتفعوا من نعمه جلت نعماؤه وعظمت الاؤه او يقال بابه تعالى عبارة عما
يتوصل به الى تحصيل نعمه من الاسباب اذ كان الباب في الاصل كما سبق
مدخل الدار الذي يتوصل منه اليها ثم استعير لكل ما يتوصل به الى الشيء
وذكر الفتح تخييل او ترشيح وتشبيه ان يكون هذا جوابا عما يقال من ان
طلبنا انه لا يطول السكين ولا يجب المستزيد ولا يرد الظمآن فقال لا ان بابه
مفتوح للداخلين وجوده مباح للطالبين هر كه آيد گو بيا وهر چه خواهد گو

كبر يبطر ويحاجب ودربان دوابن كركاه بيت قال محمود الوراق * شاد الملوك
قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة او راغب * فارغب الى ملك الملوك
ولا تكن * يا ذا الضراعة طالبا من طالب * حكى ان رجلا قال للرابعة العدوية
انى قد عصيت الله فهل يقبلني ان تبت قالت ويحك انه يدعو المدبرين
عنه فكيف لا يقبل المقبلين عليه والوغول الدخول في الشيء ومنه حديث
المقداد فلما ان وغلت في بطني   اى دخلت وتمكنت وغل يغل وغولا

يا غاية السؤول ونهاية المأمول

ان كان جمع سائل كالقعود والجلوس والقعود جمع قاعد وجالس وقاعد فالسؤول
المراد انه تعالى غاية سؤال السائلين بحذف المضاف ونهاية آمال الآملين
على ان يكون المفعول بمعنى المصدر كالمفتون في قوله تعالى بايكم المفتون
وان كان مصدرا كالغلول والغموض والحدوث فهو بمعنى المفعول كالخلق و
ويوجد في بعض النسخ المسئول على هيئة المفعول وهو الاظهر ليوافق ا
القرينتان والمراد كما سلف ان لكل احد حوائج مطلوبة حتى ينتهي اليه تعالى
فليس فوقه مطلوب فهو الغاية والنهاية وهذا وان كان بحسب اللفظ الا انه
يعني اى ينبغي لكل احد ان يجعل الله تعالى غاية مطالبه ونهاية مآربه بان يسوي
مثلا باكله وشربه ولبسه وجماعه الى غير ذلك تقوية جسمه على عبادة الله
من حيث انه يستحق العبادة ولو قال اول نهاره اللهم ما عملت في يومي هذا من
خير فهو لابتغاء وجهك وما تركت فيه من شر فتركته لنهيك طلبا لرضاك او
ذهلا عن النية في بعض الاعمال والتروك وكذا يقول اول الليل ليعوض
نية اعمال متصلة في اولها ولا يحتاج الى تجديد لافرادها وان كان كل واحد منها
مباينا للصاحبة كالتعقيبات والرواتب بعد النية وبالجملة فلما كان الله سبحانه

من الاعمال والتروك حتى المباحات لو قصد فيها الله تعالى وفعل توصلا الى عبادة
فهو تعالى غايته ولما كان الله عز اسمه مدبرا لكل شيء جواهره واعراضه
التي هي من فعله او من فعل العباد من حيث الخلق والاقدار والتمكين والحكم والامر
والنهي كان كل شيء لا بد ان يكون الله تعالى غايته فالاعتبار انما هو بالقصد و
الملاحظة وبهذا التقرير يظهر ان الالف واللام في المسئول والمأمول للاستغراق
الاولى ويحتمل ان يكون المراد كما سبق انهم يطلبون منه تعالى حوائجهم بعد
يأسهم عن المخلوقين قال روح بن يحيى كان رجل بالمدينة وكانت له جارية
نفيسة فوقعت في قلب رجل واعجب بها فشكى ذلك الى ابي عبد الله عليه السلام قال
تعرض لرؤيتها وكلما رأيتها فقل اسأل الله من فضله ففعل وما لبث الا يسيرا
حتى عرض لوليها سفر فجاء الى الرجل وقال يا فلان انت جاري واوثق الناس عندي
وقد عرض لي سفر وانا اودعك فلانة جاريتي تكون عندك فقال الرجل ليس لي امرأة
ولا معي في منزلي امرأة فكيف تكون جاريتك عندي فقال اقومها عليك بالثمن
وتضمنه لي فتكون عندك فاذا انا قدمت فبعنيها اشتريها وان نلت منها
نلت ما يحل لك ففعل وغلظ عليه في الثمن وخرج الرجل فمكثت معه ما شاء
الله حتى قضى وطره منها هذا ولما شبه عليه السلام النفس في خروجها
بالناقة واثبت لها الازمة وهي جمع زمام بخيوش شاهد حبلها مشدودا اليها
بالاشياء الحسية الهي هذه ازمة نفسي عقلتها بعقال مشيتك قال هذه
مبتدأ وازمة نفسي خبره وعقلتها جملة مستأنفة كان المخاطب قال
باي شيء عقلتها حتى تسكن وتنقاد لك في امر دينك ودنياك قال عقلتها بعقال
مشيتك او هذه مبتدأ وازمة نفسي بدل منه وعقلتها بعقال مشيتك
خبره والعقل الشد والحبس المنع عقل البعير يعقل عقلا شده وثنيه الى ذراعه

ومنه العقال لأنه يعقل العاقل ويمنعه عن ارتكاب الامور التي لا ينبغي ارتكابها
والعقال الحبل الذي يعقل به البعير ومنه قوله رُبّما ركبوا النقوش من الارتكاب
فرخيه كحل العقال واضافه الى المشبه اضافة اللجين الى الماء ويحتمل ان يكون من
تشبيه المشبه للتخصيص العقال بعقل الجموح ثم تشبيه النفس بالبعير الجامح
استعارة بالكناية والارجلة والعقل والعقال كلاهما من لوازمها للمشبه به
قد يستويان في العدول عن الوصاء الى الارجلة اي اطلقها الى انها لا يكفي لها زمام
واحد بل لا بد لها تعدادها والاضافتها من زمة متعددة وهي تسلط القوى العقلية
على القوى النفسانية المتضادة واهوائها المتنازعة المتداعية الى الشرور
والغرور وجعلها منقادة تحت حكم العقل وذلك انما يحصل بدوام الذكر والفكر
ونظر النظر في عواقب الامور والتبتل عن دار الغرور والتوصل الى عالم النور كما
هو من شأن صاحب الذكاء ومن في مرتبته سلام الله عليهم وعقل زمامها
تشبيه الشر كانه عن تفويض امرها اليه والتوكل في اصلاحها عليه والتنقل
عن حيرة والذهاب لشراشره اليه وفيه دلالة على الطاعات من الشر ومنها الالى
الشر لولا ان تداركها رحمة من الله والطاعة الخاصة مفهوم الجزء مدفوع وللشبه
تعلق بعينان احدهما متعلق بالمشبه وهو من صفات ذات قديمة هي نفس ذاته
سبحانه وهي كون ذاته بحيث يختار ماهو الخير والصلاح وهي نفس علمه الحق
بالخيرات وثانيهما متعلق بالمشاء وهو من صفات الفعل حادث بحدوث المخلوق
ولا يتعلق المخلوقات عنه وهو ايجاده سبحانه اياها بحسب اختيار وليست زائدة
على ذاته تعالى وعلى المخلوقات بل هي نسبة بينهما يحدث بحدوث المنتسبين

وَهَذِهِ أَعْبَائِي عَنِّي وَرَاهَا بِرَحْمَتِكَ

اي ما اشير اليها ان تحليه او حسنه فهو امر مبهم يفسره الاعباء فقوله

للحمل واقترانه باعتبار الها الموضوع وتعيين المحمول كقولك هذا زيد فالحمل انه لما
شبه الذنوب بما له ثقل ويحتاج حامله الى الفراغ من شغله اخرج لها الاعباء وهي امر
محسوس مشاهد فجعلها مشارا اليها بالاشارة الحسية على قياس ما سبق والعباء
من الاكسية التي لها عباءة وعباية وقد يقع على الواحد لانه جنس والاعباء امر
وجمعه والمراد بها هنا صحائف الاعمال فيه استعارة تحقيقية ثم تخييلية او
اشارة الى الصحائف وهي المشبه والاعباء يحذف اداة التشبيه هي المشبه به
الاضافة لأنه اي صحائف اعمالي كاعباء او لذنوبي فيكون من تشبيه المعقول
بالمحسوس كتشبيه الحجة بالشمس وتشبيه الذنوب وهي الاعراض الغير المتحيزة
بالذات بالاجسام المتحيزة بالذات المالية للمكان ثم اثباتا الاحبار لها وهي الاعباء
مكنية وتخييل والقول بتجسم الاعمال على تقدير ثبوته انما هو في النشأة الاخرى و
لعله عليه السلام يشير بذلك الى قوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير و
كبير مستطر وقد ورد في الخبر ان لكل انسان معه ملكان بين كتفيه فلهما الناس
ودولهما فيهما ومدادهما ريقهما وصحيفتهما فوادهما فيكتبان عمله الى موته
دولها برحمتك مستانفة كان الحاطب حل قدره قال فما تفعل وهذه الذنوب الكثيرة
وان عذابي لشديد قال دولها برحمتك السابقة غضبك والباء اما سببية
اليه او استعطافية والدرء الدفع ومنه ادرؤوا الحدود بالشبهات والحديث
اللهم ادرأ بك في نحورهم ويمكن ان يكون هذه اشارة الى الصفات الذميمة والاخلاق
الرديئة الحالة او الملكة في النفس فان كلما يدركه الانسان بحواسه يرتفع منه
اثر الى روحه ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدركاته وكذلك كل مثقال ذرة
من خير او شر يعمله يرتفع منه اثر الى روحه وخاصة ما تحت لسببه الصفات والاخلاق
به الصفات وصار خلقا وملكة فان ذلك مما يوجب خلود الثواب والعقاب فكل
انسان نفسه صحيفة اعماله وهو كان مكنوم اليوم عن مشاهدة الابصار وانما

بكشف الموت ويقع ما نور ذا الشواغل الحسية المعبر عنها بقوله واذا الصحف نشرت
فاذا كان حين ذلك وهو يوم تبلى السرائر صار الغيب شهادة والسر علانية والخبر عيانا
فيقال لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فمن كان في غفلة من حساب سره مزودا
وقع نظره على ذلك والتفت الى صحيفته بالحسنة وصحفه فانه يقول ما لهذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الله تعالى كل انسان الزمناه طائره في
عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا وعلى هذا فيكون قوله

وهذه اموالي المضلة وكلتها الى جنابك الطف

كالتفسير لما سبق ولما شبه هواه بالشخص المضل فكانه جعله امرا محسوسا
فاشار اليه بما يشار اليه وكلت فلانا الى فلان من باب وعد الجاه اليه وهو تفويض
امره اليه فجعله متوكلا ومعتمدا عليه ومنه لا تكلني الى نفسي طرفة عين وكلها
جملة مستانفة او خبر على قياس ما سبق من اخيتها والجناب الفناء والرحل والناحية
اي صرف امرها الى ناحية لطفك لتلطف بي وتعينني عليها وتحفظني عن اضلالها وفي
الكلام استعارة تمثيلية او مكنية وتخييلية حيث شبه الهوى بالشخص المضل ثم
اثبت له الاضلال وكذا الحال في تشبيهما للطف بالفضاء الواسع او بالشخص القادر
على اصلاح الفاسد وترويج الكاسد بارشاد الضال وصرفه عن الضلال ثم اثبات
الناحية والجناب له الاستعارات المذكورة ولطف الله تعالى علمه بدقائق المصالح و
غوامضها وما دق منها ولطف ثم ايصالها الى المستصلح بالرفق دون العنف وقيل
هو تصرفه في الذوات نصرة خفيا لفعل الاسباب المعدة لها الاهلية كالالهام و
قيل هو الجاء القضاء على وفق الارادة وايصال النفع فيه ويمكن ان يراد به هنا المعنى
العرفي المشهور وهو ما يقرب العبد الى الطاعة ويبعد عن المعصية واللطف في اللغة

خفيا

البر والتكرمة وفلان لطيف بالناس يلطفهم ببرهم ويلطفهم وفي بعض الاخبار في دعوات
ربنا يا اللطيف مثل علي خلقه لخلاف الصنعة اوما رأيت الرجل يحدث شيئا بلطف في
اعماله فيقال ما الطف فلانا فكيف لا يقال للخالق الجليل لطيف اذ خلق خلقا لطيفا
وجليلا وركب في الحيوان منها ارواحها وخلق كل جنس متبائنا من جنسه في الصورة
لا يشبه بعضه بعضا فكل له لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته
ثم نظر الى الاشجار وحملها الطايبها الماكولة او غير الماكولة فقلنا عند ذلك ان
خالقنا لطيف لا كلطف خلقه في صنعتهم الحديث ولما فوض امره الى الله تعالى وامن
بكثرة الذنوب والمعاصي والهوى اخذ في التضرع والاستكانة والدعاء فقال

فاجعل اللهم صباحي هذا نازلا علي بضياء الهدى

لفظة هذا اشارة الى الصباح الحاضر فهي اما بدل عنه او تاكيد له كما في قولك
اخو هذا امير البلد وابنا مليك الانسه وهي بعد خولها متعلقة بنازلا منصوبة
محلا على الحالية من ضمير نازلا والمراد بضياء الهدى ونوعه في مبان يكون في
الحسنات والطاعات دون المعاصي والسيئات واضافة الضياء الى الهدى
اضافة اللجين الى الماء فشبه الهدى بالنور في الدلالة على المطلوب والتعلق
وهدى كالنور ثم ندر المشبه به واضيف اليه كقوله + والريح تعبث بالغصون
وقد جرى + ذهب الاصيل على لجين الماء + وهذا التشبيه متداول بينهم حتى
انهم شبهوا السنة وكل ما هو علم وهداية بالنور فجعلوا منهم الهيامها له بياض
واشراق والبدعة وكل ما هو جهل وضلالة بالظلمة فتخيلوا منهم اعمالها له سواد
ظلام والنزول هنا مجاز اذ الصعود والنزول مستلزمان الحركة وهي من خواص
الاجسام والصباح كما علم سابقا البرهنا فهي الكلام استعارة مكنية وتخييلية
ولعله صلوات الله عليه عبر عن استعاضة الاجسام المقابلة للضياء والنزال الاكبر

فأول النهار الذي هو عبارة عن الصباح بزوال الضوء منها اليها وهو مبني على كون
الضوء جسما متحركا من المضيء الى المستضيء كما ذهب اليه قوم من الاوائل والاكثرون
والمكانوا على بطلانه الا ان ادلتهم كلها مدخولة سائرا وكون ما هو اشد ضوءا اشد استتارا
لا يقوم عليه حجة فان بعض الاجسام الشفافة غليظة وكثيفة موجبة لازدياد ظهور
ما خلفه والقول بان غلظه حصص من البلور جدا موجبة لما تحتها ستر لا يدل على
ان كل شفاف كذلك فان كرة الهواء والنار والافلاك ما تحت الثوابت بمقدارها على
ما بين فيه الابعاد والاجرام يزيد على خمسة وعشرين الف الف فرسخ ولا يورث ما خلفه
ستر اثم على تقدير جسميته الضوء يجوز ان لا يتصل تحته ما لو عدل بستر ما خلفه لا بد
لنفيه من دليل **والسلامة في الدين** بفعل المأمورات وترك المنهيات
والدنيا بجلب المنافع ودفع المضار ومنه ترك الدنيا بل ترك الاخرة فان الدنيا
حرام على اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله قال
قال صاحب الدعاء وسيد الاوصياء وسند الاصفياء عليهم صلوات الله و
سلامه ما بين الارض والسماء ولقد كان في رسول الله ما يدلك على مساوي الدنيا
وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر
بعقله اكرم الله محمدا بذلك ام اهانه فان قال اهانه كذب والعظيم وان قال اكرمه فليعلم
ان الله تعالى قد اهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن اقرب الناس منه
فتأسى متأس بنبيه واقتص اثره وولج مولجه والا فلا يأمن الهلكة فان الله جعل
محمدا علما للساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة خرج من الدنيا خميصا
وورد الاخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه فما
اعظم منة الله علينا حين انعم علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطأ عقبه والله
لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها

للمثنوي

عنك فقلت اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى ومن طريق العامة و
الخاصة انه صلى الله عليه وآله قال عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا
فقلت لا يا رب لكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك
واذا شبعت شكرتك وحمدتك وعن صاحب الدعاء جعلت له الفداء النفس تبكي
على الدنيا وقد علمت ان السلامة فيها ترك ما فيها وقال بابي وامي صلى الله عليه
والسابقة كلام حكيم من الحكماء كل من تلقاه يشكو دهره ليت شعري
هذه الدنيا لمن قال عليه السلام انما الدنيا لمن طلقها واكتفى فيها بقوت
وكفن فان بذلك يسلم دينه ودنياه فاقتفاه من ما طلبه منها وما روي عنه
سلام الله عليه ان الدنيا والاخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احب
الدنيا وتولاها ابغض الاخرة وعاداها وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما
كلما قرب من واحد بعد عن الاخر وهما بعد ضرتان ان رضيت احدهما اسخطت
الاخرى وبيان ذلك ان الطالب لاحدهما بقدر توجهه في طلبها واشتغاله بتحصيلها
يكون غفلته عن الاخرى وبعده وانقطاعه عنها واعلم ان الناس في امر الدين و
الدنيا على ثلاثة اصناف صنف منهم يكون في الدنيا لا التفات منهم الى امر
الدين وهم عبدة الطاغوت وشر الدواب وصنف يراعون امر الدين من غير
التفات منهم الى مصالح الدنيا وصنف متوسط وهو الجامع بينهما وهم
عند الحكماء هم الافضلون لان بهم قوام امر الدين والدنيا وقال بعض المحققين
من اصحابنا ان ترك الدنيا بالكلية ليس هو مطلوب الشارع من الزهد فيها و
التخلي عنها لان الشارع يراعي نظام العالم باشتراك الخلق في عمارة الدنيا وتعاونهم
على المصالح ليتم بقاء النوع الانساني وترك الدنيا واهمالها بالكلية يخل
بالكلية ذلك النظام وينافيه بل التجارة به الشارع القصد في الدنيا و

مطالعها على القوانين التي وردت به الرسل والوقوف فيها عند الحدود
المحدودة لهم في شرائعهم دون تعديها وقد كان رسول الله صلى الله عليه و
آله وعلى عليه السلام وجماعة من اكابر الصحابة اميل الى الطرق النفس
لكن مع مشاركتهم لاهل الدنيا في تدبير احوال المدن وصلاح العالم غير منقطعين
عن اهلها ولا منعزلين هذا وهذا عطف على الصباح وسلم يسلم من باب تعب
سلامة خلص من الآفات النفسانية والادراكات الفاسدة والعقائد الباطلة
مثل الكفر والكبر والحسد والنفاق في الدنيا ومن العقوبة في الآخرة والسلام
لغة الخلوص من الآفات واصطلاحا هيئة تكون بدن الانسان في مزاجه وتركيبه
بحيث تصدر عنه الافعال كلها صحيحة سليمة فهي بهذا المعنى مرادفة للصحة
فيكون استنادها الى الصباح مجازا والمراد ان يكون صاحبه معه سالما في دينه
ودنياه فالالف واللام فيهما عوضان عن الضمير وتقديم الدين على الدنيا
اما للاهتمام او لرعاية الفاصلة والدين في اللغة الطاعة وفي العرف
الشرعي هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام ولما كان اتباع
الشريعة طاعة مخصوصة كان ذلك تخصيصا من الشارع للعام باحد مسمياته
ولكثرة استعماله صار حقيقة عرفية في سائر المسميات لانه المتبادر الى الفهم
حين اطلاق لفظ الدين وقال الراغب الاصفهاني الملة كالدين وهما اسمان لما
شرع الله لعباده على لسان الانبياء ليتوصلوا بها الى جوار الله والفرق بينهما
ان الملة لا تضاف الا الى النبي الذي تستند اليه نحو فاتبعوا ملة ابرهيم فلا
تكاد توجد مضافة الى الله ولا الى احاد امة النبي ولا تستعمل الا في جملة الشرائع
دون احادها فلا يقال الصلوة ملة الله كما يقال دين الله ثم الشافعي وفي علم بينهما
الى الله تعالى نظر قد بينا وجهه في رسالتنا المسماة بجامع الشتات على الطلب من فضل

من هناك وقيل الملة والدين يتحدان بالذات ويختلفان بالاعتبار فان الشريعة
من حيث يجتمع عليها تسمى ملة ومن حيث انها يطاع بها تسمى دينا والدنيا اسم للحياة
الجسمانية الفانية وهي فعلى من الدنو سميت بها لدنوها وبعد الاخرى عنها ومنه
السماء الدنيا لقربها من ساكني الارض ولما اختص كونها صفة بحال التعريف
اذ لا يقال دار دنيا مع عدم اختصاص الصفة بحالة واحدة بل تكون تارة نكرة
واخرى معرفة كان كونها صفة كلا صفة ولذا حكم عليها بالاسمية قال
ابن جني الدنيا وان كانت صفة الا انها خرجت الى مذهب الاسماء

ومنا في جنة من كيد العدى

عطف على صباحي ومن ذا الاشارة هنا للاشارة الى عدم غايته للاشارة
لعدم حضوره بعد فان اصل اسم الاشارة ان يشار به الى محسوس مشاهد و
المعدوم يستحيل احساسه ومشاهدته فيمتنع الاشارة الحسية اليه
ومساء مفعول اول لجعل وجنة ثان له وهي بالضم الستر والوقاية ومنه
الصوم جنة من النار والجمع الجنن بضم الجيم وفتح النون ومنه سمي الترس
جنة لانه يواري حامله ويستره ويقيه عما يوذيه من الضربات والطعنات
وهذا هو المراد هنا ففي الكلام تشبيه بليغ اي اجعله كجنة واقية تدفع
بها عني ما ينزل بي من كيد العدى الداخلة او الخارجة او الاعم والاوسط او
لتكون الفقرة الثانية تاسيسا لانه خير من التاكيد ولا يخفى لطافة تشبيه
المسى بالجنة لجامع الستر والتواري منهما ومن كيد العدى متعلق بالجنة
والاضافة لامية والكيد المكر والخدعة والاحتيال والاجتهاد وبه سميت
الحرب كيدا وقيل هو ارادة مضمنة لاستتار ما يراد عمن يراد به لكن اكثر ما
يستعمل ذلك في الشر وبالجملة هو السعي في افساد الحال على جهة الاحتيال
وقال بعض العلماء الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة

ما هو شر لي من كيد العدى

الشبهة ومن الله تعالى التدبير للحق بمجازاة اعمال الخلق والمكر من جانب العبد
ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر ومن جانب الحق هو ادرار النعم
مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب واظهار الكرامات من غير جهد
الكيد منبع السعي في الحيلة والخديعة ويقابله القاء الانسان من
لا يشعر في امر مكروه لا سبيل الى دفعه والعدى بالكسر الغرباء والاجانب
الاعداء واما بالضم فهم الاعداء خاصة وهو الاوفق بالمقام لقوله عليه السلام
الهوى والدنيا والاعداء اربعة الهوى والدنيا والشيطان والنفس الامارة
بالسوء وهذه الاربعة مجموعة في دعائهم عليهم السلام فيا غوثاه ثم وا غوثاه
بك يا الله من هوى قد غلبني ومن عدو قد استكلب علي ومن دنيا قد
تزينت لي ومن نفس امارة بالسوء الا ما رحم ربي فانظر الى هذا الدعاء كيف
خرج عند ذكر هؤلاء مخرج الاستغاثة ولا يكون الاستغاثة الا من
على نفسه من اشد الاعداء القهر والابتلاء ومن ابتلي ببعض هذه
لا محالة فعليك بالدعاء والتضرع واحياء الليلة لعلك تنجو من
قال بعض اصحابنا العدو ضربان باطن لا يدرك بالحاسة وهو اثنان احدهما
الشيطان وهو اصل كل عدو يعادي معاداة جوهرية وقد حذرنا الله منه غاية
التحذير فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الى غير ذلك من الايات و
الثاني النفس الامارة المشار اليها بقوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا
ما رحم ربي وظاهر يدرك بالحاسة اعني الانسان وهو ضربان ضرب
للعداوة قاصد الى الاضرار اما مجاهرة او مسارة وذلك اثنان والحذر
كل احد وهو كل احد سبع الطبع خبيث الطينة مبغض لكل من لا يحتاج اليه
في العاجل يبغض الخير لكل غير هارش كل من يخافه وهو الذي سماه الله بقوله
شياطين الانس والثاني عدو خاص العداوة وذلك اما بسبب الفضيلة والرذيلة

كمعاداة الجاهل للعاقل واما بسبب تجاذب نفع دنيوي كالتجاذب في رياسة ومال و
جاه واما بسبب لحمة او مجاورة مورثة للحسد كمعاداة بني الاعمام بعضهم لبعض و
ذلك في كثير من الناس كالطبيعي قال رجل لشبيب بن شيبة انا والله احبك
قال اشهد على صدقك قال وكيف ذلك قال لانك لست بجار قريب ولا بني عم
نسيب ولا مشاكل في صناعة واكثر العداوة بين الناس يتولد عن شيء من ذلك
وضرب عدو غير متعرض للعداوة لكن يؤدي ما له الانسان الى ان يقع بسببه
في مثل ما يقع من كيد عدو فيمن جد له كالاولاد والازواج وعلى ذلك قال
تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وآله ليس
عدوك الذي ان قتلته كان لك اجرا وان قتلك ادخلك الجنة ولكن عدوك
نفسك التي بين جنبيك وامرأتك التي تضاجعك واولادك الذين من صلبك هذا
والمراد بالمساء ما يقابل الصباح وهو الشفق الذي يظهر في افق المغرب بعد الغروب
وهما متقابلان شكلا ومتقابلان وضعا لان الصبح يبدو اولا بضياء ضعيف
ثم ينبسط ذلك الضياء على الافق ثم يميل الى الحمرة الى ان يطلع الشمس والشفق بالعكس
لان بعد الغروب يظهر في الافق حمرة منبسطة ثم يبلغ عرض ثم بياض يتقلص الى ان
ينمحي بالكلية

ووقاية من مرديات الهوى

اشار الى طلب الستر والصيانة من الاعداء الداخلة كما ان سابقها ايماء الى
طلب الوقاية والاعانة الى الاعداء الخارجة وهو عطف على جنة والطوق متعلق
بالوقاية وهي الستر والصيانة وحفظ الشيء مما يؤذيه ويضره يقال وقيت الشيء
اقيه وقيا ووقاية اذا صنته وحفظته من الاذى قال تعالى فوقاهم الله شر ذلك
اليوم واضافة المرديات الى الهوى اضافة الجزئي الى الطبيعة اي من اهواء
المردية المهلكة الموقعة في بحر الخطيئة المرضية في لجة بحار الشيئة فيكون

من قبيل قوله وهذه اهون الى المسئلة او يكون من باب حاتم فصيحات المرتبات التي
هي من جنس الهوى وقد سبق شرح الردى والهوى والمراد بالوقاية الوقاية الحاجز
على الهوى من السيئات وتبعاتها وهي الوقاية التي سألها حملة العرش ومن حوله
للمؤمنين بقولهم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو
الفوز العظيم ولما كان من شرائط اجابة الدعاء ومن آدابه اعتقاد الداعي قدرة
الله على فعل مطلوبه كما ورد في الخبر عن سيد البشر يقول الله عز وجل من
سألني وهو يعلم اني اضر وانفع استجيب له قال عليه السلام

انت قادر على ما تشاء

اي طلبت منك ما طلبت لانك قادر على ما تشاء ان تفعله مما تشاء والقادر
من يصح منه الفعل والترك لو الدعاء شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدرة هي
من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قوة الانسان هيئة بها يتمكن
من الفعل وعلى الاضطراب عن فعل الجوعة واشتقاق القدرة من القدر لان
القادر يوقع الفعل على مقدار قدرته او على ما يقتضيه مشيته وفيه دلالة
على عموم قدرته تعالى وكونها شاملة لعامة الممكنات لان علة المقدورية هي
الامكان عامة فالقدرة عامة فيه ردا على الثنوية والدهرية وسائر
الفرق المباينة لنا وهذا الاصل الذي هو من اعظم الاصول الاسلامية
ولذا اتى بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التأكيد واما افعال العباد فهي وان كانت
مقدورة له تعالى الا ان مشيته الحتمية لا تتعلق بها لمنافاته الحكمة والتكليف

تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء

كالدليل على قدرته تعالى ولذا اتى بالعاطف ومعناه انك تعطي من تشاء وتمنع
كذلك قال صاحب الكافية وفي حديث القدسي انا الله ملك الملوك قلوب الملوك

ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني
جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطف قلوبهم
عليكم وهو معنى قوله صلى الله عليه وآله كما تكونون يولى عليكم
وقيل المراد الملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم آخر

وتعز من تشاء وتذل من تشاء

في الدنيا او الآخرة او الاعم من النصر والادبار والتوفيق والخذلان يقال
اعزه الله اي جعله عزيزا منيعا لا يغلب لا يقهر واعز ايضا اكرمه واحبه
وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وآله من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر
خفضه الله وروى ثقة الاسلام عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال ان في
السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه وعن
النبي صلى الله عليه وآله ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وعن
عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة
وبين يديه غلمان فاذا هم يعنفون بالناس ثم لبثت بعد حين فدخلت بغداد
فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر فجعلت انظر اليه وأتأمله
فقال لي ما لك تنظر الي فقلت شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة
فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع
فيه الناس فوضعني الله حيث يرتفع الناس واعز الله تعالى من يشاء عبادة عن
جعل اياه معظما موقرا بحيث يميل القلوب الى تعظيمه وتوقيره ومحبته
واجتناب اذلاله واهانته والاستخفاف به ظاهرا او باطنا والذل بالضم
ضد العز ويعبر عنه بالمهانة والضعة والحقارة وذله تذليلا صيره ذليلا
كاذله اذلالا قاله الجوهري واذله وذلله كلاهما بمعنى قال عليه السلام

بيدك الخير انك على كل شيء قدير

ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض فان الشرور الذ
وهي الاعدام مما هو اعدام لا ليس يدعى مبدأ موجودا مؤثرا بل علتها عدم
الوجود اما الشرور العرضية فهي وان استندت الى علة موجودة الا ان
هذا الاستناد انما هو من حيث كونه شرورا لمجعوله صادرة من المبدا
الذي هو صرف الوجود بالعرض والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل
ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق
على المفعول واكتفى في ذلك باعتبار تعلق المشية به من حيث العلم و
الاخبار به فقط فيتناول الواجب والممكن والممتنع وقد يخص بالممكن موجودا
كان او معدوما كما هنا بقرينة اختصاص تعلق القدرة به اذ المراد بها
التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وذهب القاضي وجمع من الاشاعرة
الى ان الشيء يختص بالموجود وان المعدوم لا شيء ولا ذات ولا ماهية وهو
ايضا مذهب الحكماء قالوا الشيء اسم لما هو حقيقة الشيء ولا يقع على المعدوم
والمحال ولا علم بالمحال اصلا اذ لا شيئية له ولا ما هو مما يتمثل في ذهن او يتصور
في وهم وانما المعلوم المتصور والمتمثل في الذهن عنوان المفهوم من لفظه
وهو ممكن ما من الممكنات ليس بازائه حقيقة من الحقائق ولا شيء من الاشياء
ابدا والى الاول ذهب المعتزلة وجماعة من الاشاعرة وقال الزمخشري والنيشا
قال الشيء اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحا
بل على المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل العقل فمن الاشياء ما لا
يتعلق القدرة به كالمستحيل والواجب وجوده لذاته وقال القطب العلامة
كل من قال بان الوجود عين الماهية مثل الاشعري واتباعه قال بان المعدوم ليس

الشيئية

بشيء لانتفاء الشيئية عنه عند العدم ومن قال بان الوجود غيرها فهم قد اختلفوا في ذلك
والنزاع انما هو في المعدوم الممكن لا في المعدوم الممتنع فانه ليس بشيء عند الكل
انتهى وهذا الاخير على ما صرح به الزمخشري والنيشابوري لان كلامهما يجب
مخصوص لغة وما ذكر من النزاع انما هو في الشيئية بمعنى الثبوت منفكا عن
الوجود لا في اطلاق لفظ الشيء على مفهومه فانه بحث لغوي لا ينبغي ان يقع بين
المحققين لان مرجعه الى النقل والسماع هذا ومعنى كونه تعالى قادرا على كل شيء
ان قدرته لا تقصر عما يمكن تعلق القدرة به من كل ما هو له امكانية او شيئية
يصح كونها مقدورة له تعالى وليس في نفي مقدوريتها نقص على عموم القدرة كما لا يخفى

تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل

هذه كناية عما في البيان والدليل والولوج الدخول وقد يستعمل هنا بمعنى ادخال الاخر
في الاخر بالزيادة والنقصان كما في التفسير الشيء في الشيء او المراد ايلاج كل في اخر بالايلاج
فيه موقع واحد بحسب اختلاف الافاق لا بمعنى كل وقت ادخل الليل في النهار
مثلا في بقعة من البقاع فقد ادخل النهار في الليل في مقابلها كالشمالية من خط
الاستواء والجنوبية عنه فان نصف احدهما بعينه شتاء الاخر وقال الشيخ
الجليل امين الاسلام الطبرسي في مجمع البيان قيل في معناه قولان احدهما انه
ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة في النهار وينقص من النهار فيجعل
ذلك زيادة في الليل على قدر طول النهار وقصره والاخر يدخل احدهما في الاخر
باتيانه به بدلا في مكانه وقال البيضاوي ايلاج الليل في النهار ادخال احدهما
في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقصان وقال بعض اصحابنا انظر الى العاقل
المتعمق في اسرار حكمة الله وجوده انه لو لم يخلق هذه الاجرام النيرات على
الوضع الذي يقع به التفاوت بين الليل والنهار بان يلج كل منهما في ذاك

مدة اخرى بالعكس ويتعلق التعاقب بينهما على نظام محكم وقانون مضبوط لما اصلح
احوال الخلائق والبلاد ولا ادرنا مرجع الحيوان والنبات الذي منعوا عن الى انضمام
التركيب خلق الله تعالى اوضاع الاجرام العلوية ومناطق حركاتها ومدارات سيرها
على نحو ينتظم به احوال الكائنات وينتفع به السفليات فلو ثبتت انوارها او تحركت
ولكن لو من دائرة واحدة لاثرت بالحرارة فيما يقابلها وتفريطها فيما وراء ذلك و
لو لم تكن لها حركة لفعلت ما يفعله السكون واللزوم ولو لم تكن لها سرعة
لها بطيئة ولم يحصل بتداول الحركات البطيئة وسمومها ما يلزم من سرعة الحركة
السريعة لما ما ... الانوار الى النواحي فما الاوحيث ... تنتشر انوارها ومع
ضوؤها على بقاع الارض ولولا حركة الشمس على هذا المنوال من مخالفة سمت حركتها
الدائبة ليمتد حركتها العرضية لما حصلت الفصول الاربعة التي يتجه بها انتظام
في الليالي والايام ولولا حصول الماء تم الزراع ولا اصلحت امر حياة العباد وسد
الحرث والنسل وقد علمت ان نشأة الاخرى من الدنيا وان الدنيا قنطرة الاخرى
وفي فساد القنطرة مثل العبور بطلان العبور والحرمان عن الوصول الى دار
السرور فاذن فلا ينبغي عند اولي الالباب ان الحكمة في اختلاف الليل والنهار
وتوالجهما على هذا الوجه المؤدي للمنافع والاثار عجيب كما نقص من الليل زاد
في النهار وبالعكس والطول ما يكون من النهار يوم سابع عشر حزيران عند حلول
الشمس اول الجوزاء فيكون النهار حينئذ خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وهو اقصر
ما يكون من الليل ثم يأخذ النهار في النقصان والليل في الزيادة الى ثامن عشر ايلول
هو عند حلول الشمس اول السنبلة فيستوي الليل والنهار ويسمى الاعتدال الخريفي
فيصير كل منهما اثنتي عشرة ساعة ثم ينقص النهار ويزيد الليل الى سابع عشر كانون
الاول عند حلول الشمس اول القوس فيصير الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات

فيكون

فيكون الليل في غاية الطول والنهار في غاية النقصان ثم يأخذ الليل في النقصان
والنهار في الزيادة الى سادس عشر اذار عند حلول الشمس اول الحمل فيستوي الليل
والنهار ويصير كل منهما اثنتي عشرة ساعة ويسمى الاعتدال الربيعي ثم تبتدئ
السير ويرجع الى الاول ثم كلما ازداد البلد عرضا عن خط الاستواء ازداد تفاوت
في الصيف طولا وفي الشتاء قصرا وبالعكس في الليل وقد ينتهي طول النهار بحسب
تزايد عرض القطب الى حيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبازائه الليل ثم الى
اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا ونصفها الاخر ليلا فيكون السنة
كلها يوما وليلة وذلك اذا صار قطب الفلك الاعظم محاذيا لسمت الرأس ولا عمارة
هناك ولا فيما يقرب اذ لا ينضج بها النضج لشدة البرد اللازم من تحاشي الشمس ولا
يصلح المسكن للحيوان ولا ينبت فيه شيء من اسباب المعيشة واما البلاد
التي هي تحت خط الاستواء فالليل والنهار فيها في جميع السنة متساويان كل
منهما اثنتا عشرة ساعة متساوية فلا يتصور فيها ايلاج احدهما في الاخر
بالتعقيب لا بالزيادة وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي والنقصان
اخراج الحي من الميت والعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها وانشاء
الحيوان من النطفة والنطفة منه او اخراج المؤمن من الكافر وبالعكس ثم
ذلك بيان لقدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله
دلالة على ان من قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه وفيه
وفيما سبق عكس وتبديل وهو ان تقدم في الكلام جزءا ثم تعكس فتقدم
ما اخرت وتؤخر ما قدمت وهو على وجوه منها ان يقع بين متعلقي فعلين
او جملتين كما وقع بين الحي والميت حيث قدم الاول واخر الثاني ثم عكس
وهما متعلقان لفعلين في جملتين ومثله ما يسمعه [illegible]

ذلك قدرته على

وترزق من تشاء بغير حساب

بغير طلب وكسب او بغير ان يعرف سبيل رزقه ويجعله محسوبا في علم
وجه معاشه او بغير تقدير وتعيين او بما لا يليق عليه الحساب فيوسع في الدنيا
على من يوجب الحكمة التوسعة عليه كما استدرج الجبابرة والمراد انه
يعطي ولا يحاسب نفسه بما اعطاه او يعطي العبد ولا يحاسبه عليه و
ذلك اما لاجل استعداد الاشتغال والعلم بانه اصلح لشانهم كما جاء
وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده وفي كلام
الفقهاء لطالب العلم المتقي لا يحتاج الى كسب الرزق فانه يأتيه من عند الله
بغير كسبه من حيث لا يحتسب وفي التفسير نظم بعضهم من علومهم ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وفي الكشاف عن الاصمعي قال
اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود له فقال ممن الرجل قلت من اصمع
قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت و
الذاريات فلما بلغت قوله تعالى وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته
فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه وكسرهما و
فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف لي بصوت دقيق
فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما
بلغت الاية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا
فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح فقال يا سبحان الله من ذا
الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها
ثلثا وخرجت معها نفسه والارزاق نوعان ظاهرة للابدان كالاقوات وباطنة
للقلوب كالمعارف والعلوم والرزق بالكسر اسم للمرزوق وفي الصحاح انه ما

ينتفع

ينتفع به واما المخالف فان الحرام رزق كما هو مذهب الاشاعرة ام لا كما هو
مذهب المعتزلة فليس هنا موضع ذكره وتقرير دليله فليطلب من موضع اخر

لا اله الا انت

في كتاب التوحيد باسناده المتصل الى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه واله
انه قال ما من الكلام كلمة احب الى الله عز وجل من قول لا اله الا الله وما من عبد
يقول لا اله الا الله يمد بها صوته فيفرغ الا تناثرت ذنوبه تحت قدميه كما
يتناثر ورق الشجر تحتها اقول وانما صارت هذه الكلمة احب الكلمات الى الله
عز وجل لانها اعلى كلمة واشرف لفظة ينطق بها في التوحيد اذ دالة على وجوده
تعالى بمفهومها وعلى وحدانيته منطوقا وعلى استجماعه جميع صفات الكمال وتنزيهه عن جميع
النقائص وليس في الاذكار ما يدل على ذلك دونها لانها اما تمجيد او تنزيه بخلاف
هذه الكلمة فانها جامعة بينهما منطبقة على جميع مراتب التوحيد توحيد
الذات والصفات والافعال ونفيا لما كان الشرك وهو من جميع صفاته ان يجعل
فيما اشركا فيه على ما يريد وهذا نبأ في السلطنة والملك ببعض الاشياء والله
تعالى ولذا لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كان احب الاشياء
اليه تعالى نقيضه وهو توحيده المدلول عليه بلا اله الا الله فكانت احب
الكلمات اليه تعالى ومما يؤيده ما رواه في خبر اخر خير ما قلت ولا قال
القائلون قبلي مثل لا اله الا الله وفي اخر عنه صلى الله عليه واله قال الله
عز وجل لموسى يا موسى لو ان السموات وعامرهن والارضين السبع في كفة ولا
اله الا الله في كفة مالت لا اله الا الله وفي اخر عنه صلى الله عليه واله
الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وفي اخر طوبى
ما من عبد يقول لا اله الا الله الا صعدت تخرق كل سقف لا تمر بشيء من سيئاته

الا طلبتها حتى تنتهي الى مثلها من الحسنات فتقع في جوابر حي عليه
ما من شيء اعظم ثقلا من شهادة ان لا اله الا الله وفي اخرى صادق قول
لا اله الا الله ثمن الجنة ونظائرها في الاخبار كثيرة وبالجملة احسن افراد الذكر
قول لا اله الا الله لان اثارها متنوعة الاثار من جهتها وقد وقع في صحف
شرحها واسرارها وخواصها من طريق الخاصة والعامة ما لا يكاد يحصى ولذا
اختارها اهل السلوك لتربية السالكين فقد ثبتها المربين وقد جعلت من
نفي الوحشة ما يحتوا فضوا اثبات الوحدة وهي متعلقة بالجنان واللسان و
متفاوته فيه فمنها ما يكون باللسان وحده من غير حضور القلب وهي ادنى
المراتب ومنها ما يكون مع استحضاره واستيلائه بحيث يغفل عما عدا المذكور
وهي المرتبة العليا والدرجة القصوى واليها الاشارة بقوله تعالى
ولذكر الله اكبر ثم لا يذهب عليك ان قوله صلى الله عليه وآله ومد بها
صوته يدل على صحة مذهب من قال بان تطويل المد في لا اله الا الله تعظيم
لله مستحسن لان المكلف في زمان التمديد يستحضر في ذهنه جميع ما
سوى الله من الاضداد والانداد وينفيها ثم يعقب ذلك بقوله الا الله فيكون
ذلك اقرب الى الكمال والاخلاص ومن الناس من يقول باولوية ترك التمديد
مستدلا بانه ربما مات في زمان التلفظ بها قبل الانتقال الى الا الله والاول هو
المقول مع كونه مخالفا لقواعد التجويد ومناقضا لصريح الرواية مدفوع
بان من مات في زمن التلفظ بها قبل الوصول الى الا الله اذ كان مؤمنا لان
عقد هذه الكلمة قبله ثم اراد ان يجريها وضميره ليكون ذلك دليلا على
فلم يجد محله فلم يلزم منه كفر وخاتمته اذا كان المتلفظ بها مؤمنا
وانما يلزم كفر او عدم انتقاله الى الايمان ان لو وجد من الغرض ما امكنها

يقول

يقول الا الله ثم لم يقل ومات واما ما فصله الفحول الاذكى واستحسنه الشيخ
البهائي واتى عليه في رسالته المعمولة لتفسير الكلمة من ان المتلفظ
بهذه الكلمة ان كان يتلفظ بها لينتقل من الكفر الى الايمان فترك التمديد
اولى حتى يحصل الانتقال من الكفر الى الايمان باسرع الوجوه وان كان مؤمنا
وانما لم يذكرها للتجديد فالتمديد اولى ليحصل في زمانه حضور الاضداد في
الخاطر ونفيها ثم يعقبها بقوله الا الله فيكون الاقرار بالالهية اصفى واكمل
فهو مع كونه غير دافع لما سبق من اولوية ترك التمديد فما ذكره من اولوية
معارض به وانما يرجحه ما ذكرنا على ان مذهبه فان الانتقال من الكفر الى
الايمان على مذهبه قد حصل بمجرد التصديق القلبي كما هو مذهب الاشاعرة
وهو منهم واما جعل اللسان على الجنان دليلا فهو على مذهبه كاشف عن
ايمانه الثابت على زمن التلفظ بهذه الكلمة لا مصحح له ومنهم من ذكر تصحيح
مذهب من قال التصديق وحده ليس بايمان بل الايمان هو التصديق القلبي
مع الاقرار بالشهادتين كما هو المنقول عن ابي حنيفة واليه مال صاحب
التجريد وبالجملة فالتمديد بها مطلقا كما هو ظاهر الرواية حيث رتب الله
على قول لا اله الا الله لا مطلقا بل مقيدا بمد الصوت بها البشر بمثله الحكم
مستحسن اليه مندوب بل الظاهر منه ان الغرض من التمديد بمجرد تجويد
اللفظ وتحسينه على ما يقتضيه القوانين التجويدية لا الاستحضار الذكر
فان المتلفظ بالكلمة ان كان عالما بوضع الفاظها استحضر الاضداد ونفيها
وانيتها لا اله الحق بمجرد الالتفات الى معانيها ملحوظة في كلام الاول وان لم يكن
عالما او كان ولم يكن ملتفتا لم يتيسر له الاستحضار ومدام لم يمد فان المد
لا يوجب الاستحضار كما لا يخفى على ذوي الابصار واعلم ان ترتب الثواب على

على قول لا اله الا الله مشروط بشروط لا يتحقق بدونها منها ان يكون قلبه
مواطئا للسانه كما ورد في خبر لبن بن سمعان لا اله الا الله كلمة عظيمة كريمة
على الله عز وجل من قالها مخلصا استوجب الجنة ومن قالها كاذبا عصمت ماله
ودمه وكان مصيره الى النار ومن امن بالله واليوم الاخر وعمل باحكام الرسل
ثم قال لا اله الا الله ترتب عليه ثوابه فالمطلق مقيد والعام مخصوص بهذا
بما انعقد عليه اجماع الامة ودل عليه الكتاب والسنة قال الله تعالى
ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا
وفي صحيح البخاري عن وهب بن منبه قيل له اليس لا اله الا الله مفتاح الجنة
قال بلى ولكن ليس مفتاح الا وله اسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك و
الا لم يفتح ومنها الولاية لاهل الولاية كما يدل عليه قول الرضا عليه السلام
بعدما روى عن جده عن جبرئيل عن الله تعالى لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني
عز وجل
امن من عذابي بشروطها وانا من شروطها وقال ابو سعيد الخدري كان رسول
الله صلعم ذات يوم جالسا وعنده نفر من اصحابه منهم علي بن ابي طالب عليه السلام
اذ قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال رجلان من اصحابه فنحن نقول لا
اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه واله انما تقبل شهادة ان لا اله الا
الله من هذا وشيعته الذين اخذ ربنا ميثاقهم وفي الكافي عن ابان بن تغلب
عن الصادق عليه السلام قال يا ابان اذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث من شهد
ان لا اله الا الله مخلصا وجبت له الجنة قال قلت انه يأتيني من كل صنف من
الاصناف افاروي لهم هذا الحديث قال نعم يا ابان انه اذا كان يوم القيمة وجمع الله
الاولين والاخرين فتسلب لا اله الا الله منهم الا من كان على هذا الامر ومن ظ
يظهر ان من لم يكونوا كالصابر الدعاة جعلت له الفداء ومن بعده من الائمة



سلام الله عليهم يسلب منه عمن لا اله الا الله ويكون وجوده وتهليله في
الدنيا مجرد تحريك لسان لا ينتفع به في الاخرة فلا اشكال ولا منافاة بين الاخبار
المطلقة الدالة على ان من قال لا اله الا الله فله الجنة ودخل الجنة وامثالها
والدالة على عدم دخول مخالفينا الجنة وان بذلوا جهدهم في العبادة
بين الركن والمقام حتى صاروا كالشن البالي فانهم ليسوا من اهل التوحيد
المنتفعين بتوحيدهم في الاخرة لما فاتهم من الولاية الشديدة الحاجة اليها
في تحقق الايمان الموجب لدخول الجنة فالمطلق هذه الوجوه ايضا مقيد و
منها ان يكون الموحد تاركا للدنيا وزاهدا عنها فعن حذيفة عن النبي صلى
الله عليه واله قال لا يزال لا اله الا الله ترد غضب الرب جل جلاله عن
العباد ما كانوا لا يبالون ما انتقص من دنياهم اذا سلم دينهم واذا كانوا
لا يبالون ما انتقص من دينهم اذا سلم دنياهم ثم قالوها ردت عليهم وقيل كذبتم
ولستم بها صادقين وهذا بعينه حال ابناء دهرنا هذا نعوذ بالله منهم
اجمعين ومنها الموافاة على التوحيد كما يدل عليه رواية ابي ذر عن النبي
صلى الله عليه واله ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل
الجنة وبالجملة المراد بالموحد الذي لا يعذب بالنار اذا كان محسنا ان يكون
توحيده يحجزه عما حرم الله وهو على قسمين اما ان يدخل الجنة ولو بعد تعذيب
برزخي اذا كان مسيئا هو من كان مواليا ثم مات على ذلك والا فيسلب منه
قوله لا اله الا الله فالاخبار المطلقة الواردة في هذا الباب كقوله صلى الله
عليه واله من مات ولم يشرك بالله شيئا احسن او اساء دخل الجنة وقول
الصادق عليه السلم ان الله حرم اجساد الموحدين على النار وغير ذلك كل ذلك
مقيدة بما ذكرنا فلا اشكال ولا تدافع ثم لما كان مبنا الكلام الاثر وجوب الاجود

كما ان منشأ النقائص امكان الوجود فالمعبود بالحق هو الذي يثبت له وجوب
الوجود وانتفى عنه الامكان فمعنى لا اله الا الله لا واجب الوجود الا الله
فحينئذ يصح تقدير الممكن والموجود في خبر لا والثانية الجليل اما الاول فلان
مفهومه ان الله يمكن ان يكون واجب الوجود فحينئذ يندفع فساده المشهور
وهو ان اللازم امكان وجوده تعالى لا ثبوت وجوده تعالى لانا نقول حينئذ
بان ما يمكن ان يكون واجب الوجود فهو واجب والا يكون اما ممتنع الوجود
او ممكنه على التقديرين لا يكون واجب الوجود لا لزم الانقلاب واما
الثاني فلان فساده وهو ان اللازم نفي وجود الشريك لا نفي امكانه مندفع
بان نفي وجوب الوجود عما سواه يستلزم نفي امكان وجوب الوجود عنه
ايضا والا لثبت له بعضه وهو امكان وجوب الوجود له فيثبت له وجوب
الوجود لما سبق هذا خلف واما ما قيل من عدم الحاجة الى الخبر وان الا
مبتدا الخبر ولا اله اذ كان الاصل الله اله فلما اريد الحصر زيد لا والا ومعناه
الله معبود بالحق لا غيره فضعيف لانه مع كونه مخالفا لما عليه النحاة من وجوب
تقدير الخبر يرد عليه ان الا اعراب في حال الاداة لا معنى لو لم ذات الا الله بل
لا يلتمس نفي وجوده او امكانه ومنهم من قال ان هذه الكلمة نقلت شرعا الى نفي
الامكان والوجود عن اله سوى الله مع الدلالة على وجوده تعالى وان لم
يدل عليه لغة وفيه ان هذه الكلمة مشهورة بكلمة التوحيد فلو لم يكن قائلها
موحدا وان لم يعلم او يثبت صدق الحقائق الشرعية وكذا تقدير مستحق
لا يدل على نفي التعدد بل على نفي المستحق فقط والصوفية لما راوا دلالة
مفهومها على وجود غيره تعالى وراموا التفصي عنه اولوها بحمل كلمة الا على
معنى الغير وجعلوها بدلا من محل اله المنفي فصار المعنى لا غيره تعالى مطلقا

لا وصفه الالوهية وهذا هو التوحيد العامي الذي هو نفي الشرك الاعظم الجلي
المثبت بالدليل المعقول والمنقول قالوا والمناقشة بانه لا يلزم من انتفاء غيره
ثبوته مندفعة اذ لا شك في وجود موجود ما وما ذهب اليه السوفسطائية
من انه لا موجود في الحقيقة بل هو خيال ووهم فهو خيال موهوم وامر باطل
معلوم وانت وكل من له ادنى بصيرة اذا صرف بصيرته نحو هذا الكلام يعرف ان
الغرض منه نفي الوهية ما سوى الله واثبات الوهيته لا نفي ما سواه بالكلية
واثبات وجوده فقط وهل يليق بالحكيم العليم ان يقول في كتابه العزيز الى رسوله
الكريم اعلم انه لا اله الا الله ويريد به وحدته في الوجود وهو يفيد وحدته
في الالوهية وهم بمثل هذا التاويل المنكر يضلون ويضلون فطوبى للذين
هم كما قال رسول الله صلى الله عليه واله يحمل هذا العلم من كل خلف عدول
ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين وعلى تاويلهم
هذا فمعنى كون هذه الكلمة كلمة توحيد انها تفيد ان الوجود واحد ويلزم
منه ان يكون الاله واحدا فتكون دلالتها على وحدة الوجود مطابقة وعلى
وحدة الاله التزاما وهذا كما ترى صرف الكلام عن وجهه بل ابطال له بالكلية
وانما صرفوا الى ذلك وهم يعلمون قطعا انه ليس المراد به ذلك لتعزيز الباطل
في دعوتهم الى مذاهبهم الفاسدة وارائهم الكاسدة فنزلوا القران على اهوائهم
[illegible] منهم ومن تبع ما هوا اهم واشهادهم على علم منهم قطعا انه غير مراد به [illegible]
[illegible] ومنهم من زعم ان تحرف عنه ويذب ما يرد عليه وهو يقول
[illegible] وحده فقال اعلم ان الذكر الخفي من اعظم علامات المحبة لان من احب احدا
ذكره دائما وغالبا وان اصل الذكر هنا الطاعة والمعصية سبب لفعل الطاعة
وترك المعصية وهذا بيان افضل زمان الذكر ووقته وهكذا اعتبار الا ان

الى ان يتولى المذكور وهو الله سبحانه على القلب ويتجلى فيه فالذاكر حينئذ
يحبه حبا شديدا ويغفل عن جميع ما سواه حتى عن نفسه اذ الحب المفرط يمنع
عن مشاهدة غير المحبوب وهذا المقام يسمى مقام الفناء في الله والواصل
الى هذا المقام لا يرى في الوجود الا هو وهذا معنى وحدة الوجود لا بمعنى
انه تعالى متحد مع الكل لانه محال او زندقة بل بمعنى ان الموجود في نظر الفاني
هو لا غيره لانه تجاوز عن عالم الكثرة وجعله وراء ظهره وغفل عنه فافهم
انتهى ولنا على ابطال وحدة الوجود رسالة مفردة وجيزة نقلنا فيها
اقوال الخصم وعمدة ما تشبثوا به عليها واشرنا فيها الى ما فيه وعليه فيطلب
من **سبحانك اللهم وبحمدك** هناك
اي نزهتك تنزيها عما لا يليق بجنابك قدسك وعز جلالك واثبت لك ما يليق بك
سبحان مصدر كغفران وسلطان بمعنى التنزيه عن النقائص ولا يستعمل الا
محذوف الفعل منصوبا على المصدر بحذف من جنسه ومتعلق الجار في بحمدك
هو العامل المحذوف والتقدير سبحتك تسبيحا او سبحانا وسبحتك بحمدك الحمد
بمعنى والحمد لك نظير ما انت بنعمة ربك بمجنون اي والنعمة له على انه حال والعامل
فيه اما معنى النفي فانه بمعنى انتفى عنك الجنون ومجنون ولا يمنع الباء منها لانها
زائدة مؤكدة وفي مجمع البيان وقيل معناه ما انت بمجنون والنعم بك كما يقال سبحانك
اللهم وبحمدك اي والحمد لك انتهى وهو مضاف الى المفعول ويحتمل كونه
مضافا الى الفاعل بمعنى التنزيه والواو اما حالية والتقدير وانا متلبس
بحمدك على التوفيق لتنزيهك الناهل لعبادتك لانه لما اسند التسبيح الى
نفسه اوهم ذلك فرحا وسرورا فعقب هذه الجملة الحالية لرد ذلك على قياس ما قال
في اياك نعبد واياك نستعين واعتراضية ومدخولها جملة مقدرة والحمد لك

مقامها او التقدير اسبحك سبحانا وبنعمتك التي توجب على حمدك اسبحك و
تلك النعمة هي حولك وقوتك التي ملكتنيها او زائدة والجار مجرور في محل النصب
على الحالية والتقدير متلبسا بحمدك اسبحك او عاطفة تعطف الجملة الاسمية او الفعلية
المقدرة على الفعلية المضمرة في سبحانك فان جعلت الباء في بحمدك للمصاحبة
فاضافة الحمد الى الضمير اضافة المصدر الى المفعول وان جعلتها للاستعانة
فاضافته اليه اضافة المصدر الى الفاعل ولعل المراد بالحمد التوفيق له
والتقدير اسبحك سبحانا واسبحك مستعينا بتوفيقك اياي على حمدك والى
ذلك اشار الشهيد الثاني بقوله الواو في بحمدك قيل زائدة والباء للمصاحبة والحمد
مضاف الى المفعول ومتعلق الجار عامل المصدر اي سبحت الله حامدا اي نزهته
عما لا يليق به واثبت له ما يليق به ثم قال ويحتمل كونها للاستعانة والحمد مضاف
الى الفاعل اي سبحته بما حمد به نفسه اذ ليس كل تنزيه محمودا او قيل ان الواو
عاطفة ومتعلق الجار محذوف اي وبحمده سبحته وذكر بعضهم ان المعنى وبحمدك سبحتك
التي هي نعمة توجب على حمدك سبحتك لا بحولي وقوتي فيكون مما اقيم المسبب مقام
السبب وقال العلامة الكرماني امين الاسلام انه صار في الشرع علما لاعلى مراتب
التعظيم الذي لا يستحقها الا هو سبحانه ولذلك لا يستعمل في غيره وان كان تنزيها
عن النقائص ولعله نظر الى ما قيل ان التنزيه المستفاد من سبحان الله ثلاثة انواع تنزيه
الذات عن نقص الامكان الذي هو منبع الشرور وتنزيه الصفات عن الحدوث بل عن
كونها مغايرة للذات وزائدة عليها وتنزيه الافعال عن القبح والعبث بل عن كونها
جالبة اليه نفعا او دافعة عنه ضررا كافعال العباد ثم التسبيح يدل على كونه منزها
في ذاته وصفاته عن النقائص والآفات والحمد يدل مع حصول تلك الصفة على
كونه محسنا الى الخلق منعما عليهم رحيما بهم فالتسبيح اشارة الى كونه تاما والتحميد

على كونه نوعاً للجسم وتعدّيه عليه ظاهر والغرض من هذه الجملة التنبيه
الرد على من توهم انه عرفه سبحانه بجنسه او بفصله بكنه ذاته وذلك لان معرفة
ذاته اما بالبديهة وهو باطل بالبديهة واما بالنظر وهو اما بالحد والحد يتركب
الجنس والفصل المستلزمين للتركيب والرسم وهو لا يفيد الحقيقة لان المعلوم
منه سبحانه اما السلوب والاضافات وذاته مغايرة لهما اذ المعلوم من
قدرته مثلاً انها امر مستلزم للتأثير وحقيقتها مجهولة والمعلوم منها ليس الا هذا
اللازم فيبقى ان صفاته كذاته غير معلومة وان المعلوم منها ليس الا السلوب و
الاضافات ولما ثبت ان العلم بها لا يستلزم العلم بالحقيقة ثبت انا لا نعلم ذاته
ولا صفاته التي هي عين ذاته **من ذا يعرف** واليه اشار بقوله عليه السلام
قدرتك فلا يخافك ومن ذا يعلم ما انت فلا يهابك
يعني لو كان لقدرته تعالى حد محدود يعرف به لكان يمكن ان يكون فوقه مرتبة
الجبروتية وهنا تلك المرتبة الفوقانية بعد ملاحظة قدرته تعالى ووجدها دون
قدرته سبحانه لان لايجاد لكن لا حد لقدرته نفس عنده فلا يتصور فوقها
قدرة بل كل قدرة هي دونها ويد الله فوق ايديهم تحوي منه لازم لكل عا
به وانما الايجاد من لا يعرف قدرته وكذا لو كانت له ماهية معلومة بكنهها
من علمها وعلم انها ليست بمنشأ الاثار غريبة وافعال عجيبة كان له ان لا يهابه
لكنه سبحانه لا ماهية له فلا ماهية له معلومة لغيره ولذا المناسب كليم الله
على نبينا وآله وعليه السلام عن حقيقته حيث قيل وما رب العالمين اجاب عنه
بذكر خاصة فقال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين تنبيهاً
على ان حقيقة ذاته لا تعلم الا بذكر خواصه ولا مقوم لها اذ لا تركيب فيه ولم يتنبه
السائل الجاهل بذلك لجهله وعناده ولذا قال لمن حوله الا تستمعون اذ سال عن

حقيقة

حقيقة رب العالمين وهو الجاهل بذكر صفاته فلم يعرض موسى لبيان غلطه
وفرط جهالة فذكر صفات اخرى ابين من الاولى فقال ربكم ورب آبائكم الاولين
لينبهوا على غلطه وجهله فلم ينتبه وغضب الى الجنون فقال ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون فلم يلتفت اليه الكليم وذكر صفات اخرى اظهر من الاولى و
اشار الى ان السؤال عن حقيقته ليس من اداب العقلاء فقال رب المشرق و
المغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون واذا ثبت انه ليس له تعالى حقيقة معلومة
لغيره فكيف لا يهابه ولا يوقع واحتمال الضمير بذلك قائم ووقعه واجب
وقيل بجهل شانه لان كلمة من بمعنى الاصل وان كانت للاستفهام الا انها قد
استعملت لمجرد التحقير كما في قولك من هذا وكذا في ابراز المسند اليه باسم الاشارة
الدال على القرب تحقير لها اذ القرب كما يطلق على قرب المرتبة ودناءة الحال
فيقال فلان قريب الحال داني المرتبة اجراء للامور العقلية مجرى الامور المحسوسة
كذلك قد يطلق اسم الاشارة الدال على القرب ويراد به ما يلائم القرب غالباً وهو
التحقير الرتبي وذا في الموضعين مبتداء ومن كان خبره قدم عليه لاقتضائه
صدر الكلام والجملة الفعلية صفة له لكونه نكرة والمضاف محذوف اي
مقدار قدرتك وحقيقة ذاتك ويحتمل ان تكون من للاستفهام الانكاري و
ذا اسم موصول بمعنى الذي والمراد ان كل من عرف قدرتك يخافك وكل من علم ما
انت يهابك فلا احد يعرف قدرتك فلا يخافك ويعلم ما انت فلا يهابك وكلمة ما
على الاول طالبة للحقيقة وعلى الثاني شارحة للاسم ثم المعرفة يقال لادراك
الجزئي والبسيط والعلم للكلي والمركب ايضاً فان الاول يقال للادراك الثاني اما
والثاني للادراك بعد الاول ولذا يقال عرفت الله دون علمته لان ذاته جل هي البسيط
معروف بالاثار وصفاته لا بذاته وقيل هي عبارة عن الادراك التصوري

وا العلم هو الادراك المطلق يعني ومن ذهب الى هذا القول جعل المعرفة اعظم
رتبة من العلم فان صدقنا باسناد هذه المحمولات الى موجود واجب
الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقة واجب الوجود امر معلوم
بالضرورة واما تصور حقيقة واجب الوجود فامر فوق الطاقة البشرية
لان الشيء ما لم يعرف لم يطلب ماهيته فعلى هذا كل عارف عالم من دون عكس
كلي ولذا كان الرجل لا يسمى عارفا الا اذا توغل في بحار العلوم ومبادئها وترقى
في مطالعها الى مقاطعها ومن مباديها الى غاياتها بحسب الطاقة البشرية وجعل
في ادراك الشيء بعد توسط نسيانه ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف
وهو اشهر الاقوال في تعريف المعرفة وفيه نظر فقد ورد في رواية رواها محمد بن
يعقوب في الاصول في باب النسبة عن قول ابي عبد الله عليه السلام قل هو الله
احد نسبة الله الى خلقه احدا صمدا ازليا صمديا لا ظل له يمسكه وهو
يمسك الاشياء باظلتها عارف بالمجهول معروف عند كل جاهل ومن العجب ان
بعضهم ادعى الاجماع على ان اطلاق العارف عليه تعالى غير جائز لعدم وروده في
الشرع مع ايهام النقص هذا ولعله عليه السلم اشار بذلك الى انه تعالى لو كان
يعلم بكنه ذاته فانما كان يعلم اذا كان كليا مركبا من الجنس والفصل ولما كانت
القدرة محجوبا من جنس وفصل فانه خص المعرفة بجانبها على هذه الدقيقة
فتامل فيه والخوف فقد كانا امرا يعتبر في اللغة الا انهم فرقوا بينهما بان الخوف
تالم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات والتقصير في الطاعات
وهو يحصل لاكثر الخلق وان كان متفاوتا بالتشكيك والخشية حالة تحصل عند الشعور
بعظمة الخالق وهيبته وهذه الحالة عزيز المثال لا يحصل الا لمن اطلع على جلال
الكبرياء وذاق لذة القرب ولذا قال عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء

الفتَ بعدَ رتاتِ العلق

هذه وما عطف عليها كالبيان والدليل على ان قدرته لا يعرف بحقيقتها وانما
يعرف بهذه الاثار وما شاكلها ولعله لذلك ترك العاطف فتامل ويقال الف
بينهما تاليفا اذا اوقع الالفة والتاليف بمعنى التركيب وهو جعل الاشياء المتعددة
بحيث يطلق عليها اسم واحد وقد يفرق بينهما بان التاليف من الالفة فلا بد
ان يكون بين اجزائه مناسبة بخلاف التركيب فهو اعم منه والفرقة بالكسر
الطائفة من الناس والقسم من كل شيء والجمع فرق كذا في القاموس والمراد انه تعالى
الف بقدرته بين المتباينات وجمع بين المختلفات والمتضادات كما في المركبات المجتمعة
من الاسطقسات المتداعية الى الانفكاك وفي البقعة اصناف تنافرها طبعا
ثم احتياج بعضها الى البعض في قوامها وانتظامها دلالة واضحة على وحدة
مؤلفها ومدبرها كما ان في ارتباط اجزاء الشخص بعضها ببعض وانتظام
دلالة على وحدة مدبره وفي خطبة لضياء الاعلام جعلت له الفداء في التوحيد
ضاد النور بالظلمة والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالصرد
مؤلف بين متعادياتها مقارن بين متبايناتها مقرب بين متباعداتها مفرق
بين متدانياتها دالة بتفريقها على مفرقها وبتاليفها على مؤلفها وذلك قوله عز وجل
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون والمراد انه تعالى الف بين قلوب طوائف
مختلفة مع تخالف طبايعهم وتباين سلائقهم وتضاد اهوائهم وتضادها
كما اشار اليه بقوله هو الذي الف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما
الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم ومن الظاهر بل الاظهر منه
ان الالفة من اهم المطالب شرعا وعرفا لانتظام صلاح حال الدنيا والاخرة
لان الانسان مدني بالطبع فلا غناء له في تعيشه من التمدن وهو اجتماع مع

بالآثار و ... وما شاكله

ضد اختلافها

بحيث يوجه لا يقتضان في تحصيل ما رتبه الى معاونتهم ومشاركتهم اذ لا يمكن
للانسان الواحد القيام بجميع ما يحتاج اليه من الضروريات التي لا بقاء له
بدونها وتلك المعاونة والمشاركة لا تتم الا بالالفة والاجتماع ومعاشرة ولا
يتيسر ذلك الا بتحقق الروابط بينهم وهي لا تتم الا بنفي الضغائن والاحقاد
والحسد وذلك مستلزم للاجتماع على الالفة والانس بعضهم ببعض فيتم امر
معاونتهم وقد قال العلماء ان سلوك سبيل الله انما يرجع الى الاوامر والنواهي
لا يتم الا بها ولذلك عظم الله المنة بايقاع الالفة بين اهل الملة وذلك انهم بالالفة
يكونون بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه ولاجلها شرع الله اجتماع الخلق في
الصلوة في المساجد كل يوم خمس مرات وفي كل اسبوع مرة في المسجد الاعظم وفي
كل سنة مرتين في الاعياد وفي العمر مرة بمكة لاجتماع البلدان النائية كل ذلك
لتتأكد باجتماعهم الالفة والاتحاد ويتم بسببه المحبة والوداد والاخبار
في هذا المعنى **وَفَلَقْتَ بِرَحْمَتِكَ الْفَلَقَ** كثيرة جدا
فلقت الشيء فلقا من باب ضرب شققته والفلق بالسكون الشق وهو الفالق
الذي فلق الارحام فانشقت عن الحيوان وفلق الحب والنوى فانفلقت عن النبات
وفلق الارض فانفلقت عن كل ما يخرج منها وفلق الظلام عن الصباح والسماء عن
القطر وفلق البحر لموسى فكان كل فرق كالطود العظيم والفلق بالتحريك الصبح
نفسه وقد يقال فلق الصبح لضوئه وانارته والمراد انك شققته و
وانرت واظهرت بياضه بقرب طلوع النير الاعظم اذ لولاه لبطل امر العالم ولا يمكن
الناس ان يسعوا في امور معاشهم ومعادهم ولم يكونوا يهتدون بالعيش مع
فقد لذة النور ووجه كونه من الرحمة ظاهر مستغن بظهوره عن
الاطناب ومن الظاهر ان المفلوق ليس هو الفلق بل هو ظلمة وهي الغبش في

اخر الليل وكان الافق كان بحرا مملوا من الظلمة ثم انه تعالى شق ذلك البحر المظلم
بان اجرى فيه جدولا من النور فالمعنى فلقت ظلمة الفلق بنور الفلق وحسن
الحذف **وَأَنَرْتَ بِكَرَمِكَ دَاجِيَ الْغَسَقِ** للعلم به
الانارة الاضاءة والباء سببية والكرم الجود والسخاء يقال رجل كريم
اذا كان جوادا سخيا وكونه من الكرم ان الليل لو امتد مثلا مقدار سنة
لكان يموت اصناف الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى يموت
جوعا وتبطل القوى الطبيعية من النبات حتى تعفن وتفسد كالذي تراه يحدث على
النبات اذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس مع ان الحر والبرد يعتدلان لابد
وينضجانها ولولاهما لفسدت او هلكت فجعل النهار بكرمه مبصرا ليبتغوا
فيه من فضله وليسعوا الى رزقه ويسرحوا في ارضه طلبا لما فيه نيل
العاجل من دنياهم ودرك الآجل في اخرتهم قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون والدجى ظلمة
الليل وكان الدجى من الدجى سمي لانه يغطي كل شيء يقال دجى الليل
اذا تمت ظلمته والبس كل شيء ومنه ليل داج والغسق محركة الظلمة او اول الليل
ومن شر غاسق اذا وقب اي الليل دخل كذا في القاموس والتجوية للازم او الاضافة
لامية وجه مبالغة او بيانية وجعل غسق الليل منتصفه لا ظلمة او له كما
قاله بعض اللغويين ثم استشهد عليه بما رواه في الكافي بسند صحيح عن الباقر
عليه السلم انه قال فيما بين دلوك الشمس الى غسق الليل اربع صلوات الحاة
وغسق الليل انتصافه وعليه فلا حاجة الى التجوز ولعله خص منتصفه
بالذكر لكونه اشد ظلاما لبعد الشمس من الافق الغربي ووصولها الى دائرة
النهار تحت الارض في هذه الاقاليم وفيه يكونون في سطح وظلها

الارض فى اشد الظلام والمراد انه تعالى بكرمه جعل الاهوية المظلمة منورة
لا الظلمات نفسها فانها لا تتصف بالنور والحق ان تكيف الهواء بالنور فى
الجملة مما لا ينبغى الشك فيه وان منع منه من جعل اللون شرطا فى التكيف
به فاذا دنه عليه السلم الى الاهوية المظلمة لا مانع منه ويجوز ان يراد
به الاجسام المظلمة غير الهواء وهذا التكيف فيه كثير بعد لاستحالته عن
بحثهم الاستدلال على قبول الهواء الضوء وسلامته عن شوب الخلاف
والمراد بانارتها احداثها ما حدث الضوء فى ظلمها وهذا مبنى على ان الظلمة
كيفية وجودية كما ذهب اليه طائفة قيل وهذا وان كان الاكثر على خلافه
الا انه لا يتم عليه لتثبت هذه القوة وهو باق على اصل الامكان ولا
يذهب عنه والحرث المياه من الصم الصياخيد عذبا واجاجا قاطع البرهان
الانهار الاجراء والاسالة والصب بكثرة ومنه النهر بالفتح والسكون
المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والركية التى
والماء الذى يشرب والهمزة فيه مبدلة من الها وفى موضع اللام واصله موه
ما يحرك والصم اصله صلابة حاصلة من اكتناز الاجزاء وتضامها او
قيل حجر صم اى ليس فيه تجاويف وقناة صماء اى رمح مصمت غير مجوف
كالقصب وصمام القارورة بكسر الصاد ما يشد به ثم تنحى به فقدان حاسة
السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ منكرا لا تجويف فيه يشتمل على هواء
يسمع الصوت بتموجه والجمع الصم افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون صم
بكم عمى فهم لا يرجعون وكلمة من بظاهرها مشعرة بان تلك المياه كانت فى الاصل
احجارا فانقلبت مياه وهذا كما يقال من النطفة كان انسان بمعنى انها خلعت
صورتها ولبست صورته فهى ابتدائية والظرف فى محل النصب على الحالية

اى اجريناها لكونها مبتدأة منها والصيخود الصخرة الشديدة والجمع الصياخيد
والياء زائدة يقال صخرة صيخود وصيخاد اى شديدة والصيخاد ونقا الصلابة
والعذب الطيب الذى لا ملوحة فيه وفى القاموس العذب من الطعام والشراب
كل مستاغ والاجاج بالضم الماء الملح الشديد الملوحة هذا على قراءة يساغ

مستساغ نو

شرابه وهذا ملح اجاج وهما منصوبان اما على الحالية او المصدرية او التميز
وهو الاظهر ولعل المراد انه تعالى شق تلك الاحجار فاشقت اشقاقا بالطول
والعرض فنبعت منها المياه لا انها انقلبت مياه كما يفيده الظاهر فان قلت
كيف يجوز ان يكون عذبا واجاجا حالين من المياه والحال يجب ان يكون
مطابقة لذى الحال فى التذكير والتانيث وههنا قد تعددت حيث لم يقل عذبة
واجاجة قلت معنى الكلام انه تعالى اجرى المياه من الاحجار الشديدة الصلابة
لكونها عذبا بعضها واجاجا بعضها كما فى قول امرئ القيس الشاعر
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى حيث لم
يقل رطبة ويابسة لكن ظاهره يقتضى حذف الفاعل وابقاء نعته ولا يجوزه
البصريون ولا بعض الكوفيين الا ان يقال تفصيل الحال لفظا يستدعى تفصيل
ذيها وهو يجوز ترك تانيثها فان العذوبة بالنسبة الى بعض والاجوجة
بالنسبة الى اخر والاظهر ان يقال قسما عذبا وقسما اجاجا والاولى ان يجعل
نصبهما على التمييز لعدم حاجته الى التاويل فانه يكون مفردا وان كان المميز
مثنى او مجموعا اذا كان جنسا يشابه اجزاءه ويقع مجردا عن التاء او يطلق
على القليل والكثير كالماء والتمر ونحوهما تذيب الماء اذا كان لطيفا خفيفا
ونبه لقلة ما يخالطه من الارضية وعدم ما يمازجه من الاوساخ المدنية و
الكيفيات المعدنية الموجبة لغلظته فاجعل طريقة بقية خير قابلة للعفونة

وخاصة الماء الجاري على المشرق لان امواج الشرقية معتدلة بين الحرارة والبرودة
مائلة الى اليبوسة فتكون مصلحة له وبعدها الماء المتصعد الى سفل فانه يكون
اسرع فريدة لطافة وخاصة اذا بعد المنبع لانه ح يكون الطف لكثرة حركته
لطول المسافة بحيث لا لونه ولطافة رطوبة الفم ولسيلها وينفذ هذا في
جرم اللسان وهو خال عن الطعوم وبذلك يحصل العذوبة لان طعم هذه
الرطوبة مائل الى العذوبة كالبلغم الطبيعي والعذوبة اول درجات الحلاوة
ولذلك يخيل لشاربه انه حلو والا فالماء البسيط لا طعم له ولا رائحة بل ولا
لون كما ثبت **وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا** في محله
من ابتدائية وهي بمجرورها في موضع النصب على الحالية من الماء وثجاجا
له دائما قدم عليها لضرورة رعاية الفاصلة مع كونها نكرة والمراد انه تعالى
انزل ماء ثجاجا لكونه مبتدأ وناشيا من المعصرات وهي السحاب اذا اعصرت
شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له ان يجز ومنه
اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض ويمكن ان يراد بها السموات لان الماء
ينزل من السماء الى السحاب ومنه الى الارض فكان السموات تعصر بعض
على العصر وما يمكن منه قال حتى الدعاء جعلت له الغداء السحاب
المطر ولولا ذلك لافسد كل شيء وقع عليه ولا التفات الى ما يزعمه الطبيعي
اذ لم يقيموا على ما زعموه من سبب حدوث المطر برهانا نعتمد عليه او
دليلا يركن النفس اليه بل الظاهر انه لا مجال للقول بان جميع الماء النازل من
السماء هو الذي يصعد من الارض بمخالطة الهواء المتصاعد بسبب
الحرارة ولا للقول بان الصاعد هو جزء من الغالب من النازل لعله يكون
عندهم مستعدا لانقلاب الهواء ماء فيكون حدوث معظمه في السماء ويجوز ان

بها الرياح نفاثات الاعاصير لان الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح
ان يجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء
الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر وعن سيدنا الصادق عليه السلام
ان فيه رياح رحمة لواقح ورياح تهيج السحاب فتسوقه ورياح تحبس السحاب بين السماء و
الارض ورياح تعصره فتمطره باذن الله ورياح تفرق السحاب **وماء ثجاجا** منصبا
بكثرة يقال ثج دمه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية
وصب دماء الهدي **فائدة** السيد الاكثر في كثرة حبات الامطار الشتوية في
صغر حبات الشتوية ان الابخرة الشتوية في الاكثر لا تخلو عن الادخنة
مادة الرياح الموصلة بموجبها تلك القطرات بعضها ببعض فتكبر وفي الشتاء
يكون الهواء ساكنا فلا اتصال **تذنيب** قال العلامة ان الشمس اذا اشرقت
على المياه والارض الرطبة تحلل منها اجزاء هوائية مائية اجزاء صغار
لا تتميز بعضها في الحس لفرط الصغر والاختلاط بل يتركب منهما ما يسمى بخارا وهو
اذا صعد ولم يصل وصعوده الى الطبقة الزمهريرية تكاثف بواسطة البرد فان
لم يكن قويا اجتمع وتقاطر للثقل الحاصل من التكاثف والانجماد فالمجتمع السحاب
والمتقاطر المطر وان كان قويا فاما ان يصل الى اجزائه السحابية قبل اجتماعها او بعد
فان كان الاول نزل السحاب ثلجا لانجماد الاجزاء الصغيرة ان عقدت وانضم بعض
ببعض وهو الثلج الذي يهبط كالقطن المحلوج وان كان الثاني نزل بردا واما اذا
لم يبلغ وصعوده لقلة حرارته اليها فان كان كثيرا كان ذا اصابة او يستعمل
سحابا ماطرا كما حكاه بعضهم انه شاهد وقد صعد من سافل بعض الجبال
بخارا وتكاثف حتى كانه مكبة موضوعة على وهدة فكان فوقه شمسا
وكان من تحته من اهل القرية يمطرون وقد يكون السحاب من انقباض الهواء بالبرد

الشكل بل يحصل معه الاقسام ثم ان البخار المتصعد برد ان كان بعيدا عن الارض
كان صغير الحب مستديرا لذوبان زواياه بالحركة السريعة الخارقة للهواء
وان كان قريبا كان بالعكس والسبب في كثرته في البلاد الباردة وفي الربيع دون
الشتاء ان الاجزاء البخارية اذا تم ثمة نضجها احاطت بها حرارة الهواء او ريح
حار انحط البرد الى ما من السحاب فيقع منه ... البخار ويحمل بعضه وانحلت
بحلل الحرارة فيها ولذا كان الحار من الماء اسرع جمودا من البارد فهذا اجمال
احوال الكائنات الجوية او على ما يرضونها واكثرها لا يخالج ما ورد في الشرائع
المطهرة على صادعها وآله السلام الا بضرب من التأويل

وجعلت الشمس والقمر المرتبة سراجا منيرا

يستضيئون به في مقاصدهم فانه مع الحاجة الى الظلمة لهدء الحيوان وبرد الهواء على
لم يكن صلاح وان يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها فلا يمكن فيه
شيء من العمل لانه ربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليه في بعض
الاعمال بالنهار او لشدة الحر وافراطه فيعمل في ضوء القمر اعمالا شتى كحرث الارض
وقطع الخشب وما شابه ذلك فجعل ضوء القمر معونة لهم على معايشهم اذا
احتاجوا الى ذلك وانسا للسائرين وحتى يعرف القمر حسنه وظلاله ومحاقه
وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة الله خالقه المصرف له
هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون فتبارك الذي جعل في السماء
بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وانما سمي قمرا لبياضه من الاقمر وهو
الابيض او لانه يقمر الكواكب اي يغلبها بزيادة النور وقد اضطربوا في انه
الى كم يسمى هلالا ومتى يسمى قمرا فقال الجوهري الهلال اول ليلة والثانية
والثالثة ثم هو قمر وزاد الفيروزابادي فقال الهلال غرة القمر او الى ليلتين او

ثلاث او الى سبع ولليلتين من آخر الشهر ست وعشرين وسبع وعشرين وفي غير ذلك
قمر وقال بعضهم يسمى هلالا لليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالا الى ان يعود
في الشهر الثاني وقال آخرون يسمى هلالا الى ثلاث ليال ثم يسمى قمرا وقال آخرون
يسمى هلالا الى ان يحجر وتحجيره ان يستدير بخط دقيق ثم يقال قمر وقال بعضهم
يسمى هلالا الى ان يبهر ضوؤه سواد الليل ثم يقال قمر وهذا لا يكون الا في الليلة
السابعة ولعل في وصفه بالسراجية اثبات لهذا القول وجعله مجازا باعتبار
من باب ما يؤول اليه الشيء مع ... البرية الخلق يقال براه الله براه خلقه وجمع
على البرايا والبريات من البرية الرابعة السراج معروف ويقال له النبراس ايضا
وهو المشبه به وهذا التشبيه يسمى تشبيه التسوية وهو تشبيه
التسوية وهو ان يكون المشبه متعددا دون المشبه به كقوله صدغ الحبيب
وحالي كلاهما كالليالي وثغره في صفاء وادمعي كاللآلي فان قلنا المشبه
به واجب ان يكون اقوى واظهر في وجه الشبه من المشبه فلا يجوز هنا ان اريد
الجمع بين شيئين في امر كمطلق اللون مثلا كالتشبيه ايضا كتشبيه الصبح
بغرة الفرس مثلا اذ يراد ظهور منير في مظلم اكثر من ذلك المنير من غير قصد الى
المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ اذ لو
قصد شيء من ذلك لوجب جعل الغرة مشبها والصبح مشبها به الا انه ان لم يرد
ذلك ويمكن ان يكون هذا التشبيه من باب تشبيه آحاد من الجمل باجزاء مثلها
بان شبه كل من النيرين بالسراج المنير وشبه من يستضيء بنورهما ويتنعم
به وهم البرية بمن يستضيء بنوره ويتنعم به وازالتهما الظلمة واظهارهما
الاشياء مع ظهورهما بنفسهما بازالة الظلمة واظهاره الاشياء وظهوره
بنفسه الى غير ذلك من الاعتبارات ويمكن ان يكون من باب تشبيه الهيئة

الحاصلة من احاد الجمل بالجزء منها حصل جملة وكان الجواهر البحور لو امعنت
ينثرن على بساط الارزاق فانه يمكن فيه اعتبار كل من التشبيهين وان
كان الثاني احسن ولما كان السراج في الاصل مصدر ثم بقياء او بقيا لما كان
اضاف احدهما الى الاخرى في جملة بجامع ولما انتفى الاخر منهما او نفيهما
على ذلك وهو جنس يطلق على الواحد والمثنى او حذف في احدهما للظهور اي
جعلنا الشمس للبرية سراجا والقمر ايضا نورا وسراجا

من غير ان تمارس فيهما ابتدعت به لغوب ولا علاج

كلمة غير وضعت للمغايرة وهي مستعملة للنفي فان مراد بها اثبات المغايرة
كما في غير المغضوب عليهم ولا الضالين فيكون اثباتا في حكم النفي لتضمنه
اياه فيجوز تاكيده بلا واجري بها النفي كقولنا ما غير ضارب زيد
لست ضاربا له لا الى مغاير الشخص ضاربه فلفظة لا مزيدة لتاكيد معنى
ما في غير من معنى النفي وممارسته عالجة وزاوله كذا في القاموس والابداع
الاختراع لا على مثال سابق وكل خلق لا على مثال سبق فهو مبدع بفتح الدال
وخالقه ومبدع بكسرها وفي كلام لطائف الادباء جعل له العلماء مذكور في
اصول الكافي باب جوامع التوحيد ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا
نصب وكل صانع شيء فمن شيء صنع والله لا من شيء صنع ما خلق والغرض انه تعالى
خلق الخلق انشاء او احدثه ابتداء من غير مثال فلم يكن صنعه كصنع البشر لان
الصانع البشرية انما يحصل بعد ان يرتسم في الخيال صورة المصنوع وتلك
الصورة تحصل اما عن مثال خارجي يشهد الصانع ويحذو حذوه وتارة بحسب
الالهام فان كثيرا ما يفاض على اذهان الاذكياء صور اشكال لم يسبقهم الى
تصورها غيرهم فيصورونها في الخارج وكيفية صنع الله عز وجل منزهة

عن النوع على هذين الوجهين اما الاول فلانه تعالى كان ولم يكن معه شيء ولا
قبل له فلا يكون خلقه مسبوقا بمثال من صانع او صنع هو مثل صنعه
اما الثاني فلان الفاعل على وفق ما الهم وان كان مبتدعا ومخترعا في الظاهر لكنه
في الحقيقة ليس هو المبتدع وانما المبتدع هو مفيض تلك الصور وملهمها
وهو مفتقر في الحقيقة الى الغير الذي الهمه وافاض على ذهنه صورة ما
ابتدعه وهو سبحانه منزه عن الافتقار والاحتياج فلم يكن صنعه بهذا
الوجه ايضا وفي بعض النسخ فيهما ابتدأت به بالهمز والمراد بها الابتداء الا
ان المراد لو كان له معنى واذا لم يوجب ابتداء الخلق من غير مادة نصبا ولا
تعبا فبان لا يوجبه الاعادة لسبقها بالمادة اولى اعيينا بالخلق الاول بل
هم في لبس من خلق جديد واللغب واللغوب النصب والتعب والاعياء والعلاج
العمل بالجوارح تقول عالجت الشيء معالجة وعلاجا اذا زاولته والمراد
انه صدرت منه تعالى تلك الافاعيل العظيمة وظهرت منه هذه الاثار
العجيبة الغريبة المتحيرة فيها اذهان الاذكياء من غير ان تولاها وعالجها
بالاعضاء كما توهمه الكفرة الفجرة المجسمة والمشبهة ومن حذا حذوهم
ومن دون ان يحصل فيهما نصبا ولا تعبا كما هو شان القوى المادية الجسمانية
فانها تعجز او تكل عند تكرر الاحوال وتوارد الاعمال لتاثرها وانفعالها وهي
لا تقتدر على افعال غير متناهية بخلاف القوى المجردة عنها وخاصة القدرة
القديمة الواجبية فهو سبحانه ابدع بقدرته الخلق ابداعا واخترعهم
على مشيئته اختراعا وكونهم بارادته تكوينا واحدثهم بحكمته احداثا من غير
ان زاوله بالاعضاء والمعالجة بالجوارح ومن غير ان يمسه فيما فعله نصب ولا
تعب واليه يشير قوله عز وجل من قائل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما

الفنون

في ستة ايام وما مسّنا من لغوب **تذنيب** روى بعض المحدثين في كتاب العلل
باسناده عن صاحب الدعاء وجلت له العلماء في حديث طويل انه قام اليه رجل
من اهل الشام فقال يا امير المؤمنين اني اسألك عن اشياء فقال سل تفقها
ولا تسأل تعنتا فتحدق الناس بابصارهم فقال اخبرني عن اول ما خلق الله تبارك و
تعالى فقال خلق النور قال فمم خلق السموات قال من بخار الماء قال فمم خلق الارض قال
من زبد الماء قال فمم خلقت الجبال قال من الامواج والخبر طويل اخذنا منه موضع الحاجة
ونقل عن ثاليس الملطي ان اول ما ابدعه الله تعالى من الاجسام هو الماء لانه قابل لكل
صورة ثم حصل الارض منه بالتكثيف والهواء والنار بالتلطيف اذ الماء اذا لطف
صار هواء وتكونت النار من صفوة الماء والسماء تكونت من دخان النار ونقل
انه اخذه من التورية لانه جاء في السفر الاول منها ان الله خلق جوهرا فنظر اليه
نظر الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ماء ثم ارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه
السموات وظهر على وجه الماء زبد فخلق منه الارض ثم ارساها بالجبال ونقل
صاحب الملل والنحل عن ثاليس الملطي انه قال ان المبدأ الاول ابدع العنصر الذي فيه
صور الموجودات والمعدومات كلها فانبعث من كل صورة موجود في العالم على
المثال الذي في العنصر الاول فمحل الصور ومنبع الموجودات هو ذات العنصر
وما من موجود في العالم العقلي والعالم الحسي الا وفي ذات العنصر صورة ومثال
منه ثم قال ومن العجب انه نقل عنه ان المبدع الاول هو الماء ومنه ابدع الجواهر
كلها من السماء والارض وما بينهما فذكر ان من جموده تكونت الارض ومن انحلاله
تكون الهواء ومن صفوة الهواء تكونت النار ومن الدخان والابخرة تكونت
السماء ومن الاشتعال الحاصل من النار الاثير تكونت الكواكب فدارت حول
المركز دوران المسبب على السبب بالشوق الحاصل اليه ثم قال ان ثاليس الملطي

تلقى

تلقى مذهبه من المشكاة النبوية يعني ما نقل عن التورية **اقول** ظاهر ما نقل
عنهما وصريح ما نقل عن ثاليس الملطي يفيد ان ذلك الجوهر او ذلك
الماء اول ما ابدعه الله من الجواهر الجسمانية فلا ينافي ما ثبت في بعض
الروايات من العامة والخاصة ان العقل اول مخلوق ابدعه الله تعالى فيها
ما في الكافي عن سماعة عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام ان الله عز وجل
خلق العقل وهو اول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره والظاهر
ان المراد بالعقل في هذه الروايات هو النفس المجردة وتسميتها بالعقل
من باب تسمية المحل باسم الحال اذ العقل باصطلاح اهل الشرع غريزة
نفسانية مدركة لما فيه صلاح النفس في النشاة الاخرى وليس المراد
به ما اصطلح عليه الفلاسفة من العقول العشرة اذ العقل باصطلاحهم
جوهر مجرد في ذاته وفعله والرواية الصحيحة الواردة في الطريقين صريحة
في ان المراد به اما النفس او قوة قائمة بها حيث قال ولا اكملتك الا فيمن
احب اما اني اياك آمر واياك انهى واياك اعاقب واياك اثيب **وقوله** عليه
السلام ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر محمول اما على الاستعداد في
بتبعيته الهيئة الحاصلة من القاء وتواهب ملك النفس وتلقيها اياها او
بالقبول للهيئة الحاصلة من اكتساب عند المطيع له فيما امره وينهاه فان
يأمره بالاقبال فيقبل ويأمره بالادبار فيدبر او على الاستعانة البعيدة فالا
استعانة في الاتيان بالاوامر والادبار عن الاتيان عن النواهي فان قلت قد
ورد عن النبي صلى الله عليه واله السلام انه قال اول ما خلق الله نوري وفي رواية
روحي وفي اخرى اول ما خلق الله القلم فكيف التوفيق بين هذا الخبر وهذه
الاخبار **قلت** اول ما خلقه الله نفس النبي صلى الله عليه واله وهي من حيث

انها تدرك الاشياء كما هي عقل ومن حيث انها تهتك بها نور ومن حيث انها
باعث خضوع الخلق بالمعرفة والعبادة روح ومن حيث انها مظهر لطائف
الدقائق علم واما قول بعض الحكماء ان النفوس حادثة بحدوث الابدان فغير
وكثير من الروايات ناطقة بخلافه منها صحيحة محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام
المذكورة في الكافي خلق الله ارواح شيعتنا قبل ابدانهم بالفي عام ولا
فيه اذ كما يجوز تعلق الارواح بعد خراب هذه الابدان بابدان مثالية
جاز تعلقها بها قبل تعلقها بهذه الابدان كما دل عليه كثير من الاخبار منها قول
ابي جعفر عليه السلام ان الله خلق الخلق ثم بعثهم في الظلال قال السائل
واي شيء الظلال قال الم تر الى ظلك في الشمس شيء وليس بشيء هذا وقد دلت
الفقرات السالفة على انه تعالى واجب الوجود لذاته متوحد متفرد عال
على غيره اذ لا ضد ولا ند له لا قابل العظام مخاصمته ابتداء الخلق وتدبيره
من غير لغوب من القدرة المتكثرة غير ممكن ولا كلام في ان من هذا شانه
فهو باق بذاته قاهر على غيره فرع عليه قوله

فيما يتعلق بالعز والبقاء

تعزز وطلب من نفسه ان يكون واحدا والعز خلاف الذل والعزة في الاصل
القوة والشدة والغلبة والرفعة والامتناع يقال عز يعز بالكسر اذا صار
عزيزا وعز يعز بالفتح اذا اشتد والعزيز المنيع الذي لا يغلب يقال من عز بز
اي من غلب سلب وعزه تعالى عبارة عن قدرته وغلبته على الممكنات وبقي
الشيء من باب رضي بقاء ملكته فهو باق ما عندكم ينفد وما عند الله
باق والبقاء صفة الوجود وهو استمراره فهو وجود مخصوص بالنسبة الى
مستمر وبقاؤه تعالى عين ذاته فاستحال ان يسبقه عدم او يلحقه انقطاع

هو

هو باق ازلا وابدا وان مرت الدهور والاعوام ومضت الازمان والآنات
اذ لا غاية له من الزمان ينتهي اليها ولا مدة مضروبة منه يقف عليها
كما يكون للزمانيات من زمانها لان الدهور والاعوام والازمان والآنات
من جملة مخلوقاته ووجوده تعالى وان كان مساوقا لوجود الزمان بمعنى
انه معه في الوجود اذ كان هو موجده وخالقه الا ان مساوقة الزمان
لا يقتضي الكون في الزمان كالعالم فانه مع الخردلة وليس فيها واذا كان تعالى
ليس في الزمان لم يكن له غاية منه يقف عندها فثبت انه تعالى باق دائم
على مر الدهور والازمان والشهور لان الواجب بالذات يمتنع العدم ذاتا
فان كل ما كان واجب الوجود لذاته في وقت فهو واجب الوجود في جميع
الاوقات ازلا وابدا ما دام الذات لان الواجب بالذات ما كان مجرد
ذاته كافيا في كونه واجبا وكل ما كان مجرد ذاته كافيا في كونه واجبا وجب
وجوده في كل وقت اذ لو وجد في وقت دون وقت لزم اما الترجيح بلا مرجح
او الوجوب بسبب وهو خلاف الفرض والباقي من اسمائه تعالى ما لا سبيل عليه للفناء
او الذي لا يعرض له عوارض الزوال ولا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال
ويعبر عنه بانه ابدي الوجود لان بقاءه غير متناه ولا محدود وليس صفة
بقائه وبقاؤه كبقاء الجنة والنار ودوامهما لان بقاءه ابدي ازلي وبقاءهما
ابدي غير ازلي وليس المراد ببقائه استمرار وجوده من حيث انتسابه الى الزمان
كما هو المشهور في تفسيره وجوز بعض الفضلاء المتاخرين الحمل على
القول بالزمان الموهوم كما اشرنا اليه نعم يمكن تصحيح المعنى المشهور على
القول بالزمان التقديري كما اومانا اليه في بعض رسائلنا المعمولة
لتحقيق الحدوث الدهري فليطلب من هناك

وقهر عباده بالموت والفناء

القهر الغلبة والقهار من صفاته تعالى والعباد جمع عبد واكثر ما يطلق
على المملوك وقد يطلق على الانسان حرا كان او رقيقا قال صاحب المحكم
يذهب بذلك الى انه مملوك لباريه عز وجل قال سيبويه هو في الاصل
صفة قالوا رجل عبد ولكنه استعمل استعمال الاسماء وقال الجوهري كل
العبودية الخضوع والذل وللعبد عشرون جمعا اشهرها عبيد وعباد و
اعبد وجعل بعضهم العباد لله وغيره من الجمع لله وللمخلوقين والمراد بالعباد
هنا جميع ما سوى الله تعالى لاشتراك الكل في الامكان المصحح لطريان العدم
يعني انه تعالى جعلهم مقهورين مغلوبين باماتتهم وافنائهم وينفرد هو بالبقاء
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام والتعبير بصيغة
الماضي للدلالة على تحققه وحصوله كانه امر وقع وتحقق ومن لا يقول باعادة
المعدوم بعينه بل بتفرق اجزاء الجسم وخروجها عن حد الانتفاع يأوله
بان ما سواه تعالى دائما في التغير والتبديل وفي معرض الزوال والفناء
وهو تعالى من حيث الذات والصفات باق ازلا وابدا من حيث لا الجهة
شائبة تغير اصلا فكل شيء فان الا ذاته تعالى وهذا مضمون رواية
صحيحة رواها ثقة الاسلام في اصول الكافي وجماعة من المتكلمين على ان الموت
فعل من الله او من الملك يقتضي زوال حياة الجسم من غير جرح وجمهور
المعتزلة القائلين بان النفس جسم لطيف بخاري يتكون من الطف اجزاء
الاغذية وينفذ في العروق والضوارب والحيوة عرض قائم بالنفس
وحال فيها قالوا وكيفية قبض ملك الموت للنفس انه يلج في فم الانسان
الى قلبه لانه جسم لطيف هوائي لا يتعذر عليه النفوذ في المخارق

الضيقة فيخالط النفس التي هي كالشبيهة به لانها جسم لطيف بخاري ثم
يخرج من حيث دخل والنفس معه وانما يكون ذلك في الوقت الذي
باذن الله تعالى فيه وهو حضور الاجل وهؤلاء نافون للنفس
المجردة واما المثبتون لتجردها كاعاظم الحكماء الالهيين واكابر
الصوفية العارفين وجمع من المتكلمين كقدماء اصحابنا الامامية
مثل ابن بابويه والمفيد والمرتضى وبني نوبخت والغزالي والفخر الرازي
وغيرهم فحقيقة الموت عند هؤلاء انقطاع تعلق النفس بالبدن و
تصرفها فيه بالخروج عن حد الانتفاع به وكيفية قبض ملك الموت
لها انه يتولى اضافة العدم على قوى هذا البدن حال انقطاع تعلق النفس
به وعلى هذا فيكون خروج النفوس عن ابدانها كما ورد في بعض الايات و
الروايات كناية عن مفارقتها لها وانقطاع تعلقها بها ولما كانت
النفس منغمسة منغمرة في عوارض البدن وعلائقه المادية وملتفتة
اياه دائما لا ينفك عن الالتفات اليه ما دامت متعلقة به لسعيها
في مصالح هذا المزاج واصلاحه واعتنائها اياه لتمام التصرف والا
كان كانها حالة فيه حلول الساكن في الدار القائم لمصالحها فعبر عن
القائها اياه وطرحها وتخليها عنه بالخروج عنه فالموت عند الاولين
من المتكلمين كما سبق وجودي واستدلوا عليه بكريمة خلق الموت
والحيوة ليبلوكم فان المعدوم لا يوصف بالخلق والجواب ان المراد به
احداث اسبابه على حذف المضاف وله اسباب منها ما به تفسد
القلب من الم شديد او كيفية مفرطة من الكيفيات الملائمة او كيفية
غريبة سمية او انحسار مادة النفس والمبرسمون في الاكثر يموتون بعلة

النفس هذا وفنى المال يفنى من باب تعب نفد ويتعدى بالهمزة فيقال افنيته
والقول بان الله يخلق الفناء فيفنى به الاجسام جميعا لكونه ضدا لها باطل
لانه لو كان قائما بذاته كان جوهرا ولو كان قائما بغيره فالجوهر او
ينتهي اليه وعلى التقديرين لا يكون ضدا للجوهر فلا يفنى به تبصرة
قال بعض المحققين اعلم ان الذي نطقت به الاخبار وشهد به الاعتبار
ان الموت ليس الا تغير حال وهو مفارقة الروح لهذا البدن الجاري مجرى
الآلة الذي تستعمله وان الروح باقية بعده كما شهدت به البراهين العقلية
والاخبار النبوية المتواترة ومعنى مفارقتها له انقطاع تصرفها عنه
لخروجه عن حد الانتفاع به فما كان من الامور المدركة لها يحتاج الى
آلة فهي معطلة عنه بعد مفارقة البدن الى ان تعاد اليه في القبر او
يوم القيمة وما كان لها بنفسها من غير آلة فهو باق معها تتنعم به وتفرح او
تحزن من غير حاجة الى هذه الآلة في بقاء تلك العلوم والادراكات الكلية لها
هناك وقد ضرب للمفارقة التي سميناها بالموت مثل فقيل كان بعض
اعضاء المريض تبطل بسبب فساد مزاج تقع فيه او بسبب سدة تعرض
للاعصاب فيمنع نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعملة لبعض الاعضاء
دون ما استعصى عليها منها فكذلك الموت عبارة عن استعصاء جميع
الاعضاء وتعطلها وحاصل هذه المفارقة يعود الى سلب الانسان عن هذه
الاعضاء والآلات والقنيات الدنيوية من الاهل والمال والولد وغيرها
ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء عن الانسان او يسلب هو عنها اذ
المؤلم هو الفراق وقد يحصل ذلك بنهب مال الرجل وسبي ذريته وقد
يحصل بسلبه وقتله عن اهله وماله فالموت بالحقيقة هو سلب الانسان

عن

عن امواله بارتحاله الى عالم آخر فان كان له في هذا العالم شيء يانس به ويستريح
اليه فبقدر عظم خطره عنده يعظم تحسره عليه في الآخرة ويكون سبب
عظم خطره عنده ضعف تصديقه لما اعده للابرار المتقين في الآخرة مما
يستحقر في القليل منه اكثر نفائس الدنيا فاما من كان على بصيرته مقصورة
حتى لم تفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعمه وتمت سعادته اذ خلى
بينه وبين محبوبه فقطع علائقه وعوائقه الشاغلة له عنه ووصل
اليه وانكشف له هناك ما كان يدركه من السعادة بحسب الوصف
انكشاف مشاهدة كما يشاهد المستيقظ ما رآه في النوم والناس نيام
فاذا ماتوا انتبهوا ولذلك كان الموت راحة للمؤمنين ومحبوبا
للمتقين كما اشار اليه سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وآله
اجمعين ليس للمؤمن صل على محمد راحة دون لقاء الله
علم منقول من اسم المفعول المضعف سمي به عبثا الحاما من الله ويقولون
بانه يكفيه وآله الاتقياء حمد المتقون له
المتزهدين عما يشغل سرهم عن الاقبال عليك والمتبتلين اثر اشوم اليك
وهذا هو التقوى الحقيقي المعني بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته و
قد سئل بعض اهل بيت العصمة سلام الله عليهم اجمعين عن معناه فقال هو
ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك فالتقي من يجتنب المنهيات
باسرها ويرتكب المامورات بتمامها وقد يراد به من يتوقى من العذاب
المخلد بالتبري عن الشرك فله ثلث مراتب والمعروف باسم التقوى في عرف الشرع
هو المرتبة الثانية والتقوى في اللغة بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية
من المحذورات وعند اهل الحقيقة هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته

وقيل هي وقاية النفس عما يضرها في الآخرة من اعتقاد وعمل وخلق وقال بعض
العلماء التقوى بحسب الشرعي تعود الخشية للحق سبحانه المستلزمة للإعراض
عن كل ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا وزينتها وتنحيه ما دون
وجهه المقصد وقيل ان تزن الدنيا والآخرة جمعت تحت لفظة واحدة
وهي التقوى انظر الى ما في القرآن الكريم من ذكرها فكم علق عليها من خير و
وعد لها من ثواب واضاف اليها من سعادة دنيوية وكرامة اخروية ولنذكر
من خصالها وآثارها الواردة فيه اثنتي عشرة خصلة الاولى المدحة و
الثناء قال تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور الثانية الحفظ
والحراسة قال تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا الثالثة
التأييد والنصر قال تعالى ان الله مع الذين اتقوا الرابعة النجاة من الشدائد
والرزق الحلال قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب الخامسة صلاح العمل قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا
قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم السادسة غفران الذنوب قال تعالى ويغفر لكم
ذنوبكم السابعة محبة الله تعالى قال تعالى ان الله يحب المتقين الثامنة قبول
الاعمال قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين التاسعة الاكرام والاعزاز
قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم العاشرة البشارة عند الموت قال تعالى
الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة
الحادية عشرة النجاة من النار قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا الثانية عشرة
الخلود في الجنة قال تعالى اعدت للمتقين فقد ظهر لك ان سعادة الدارين
منطوية فيها ومندرجة تحتها وهي كنز عظيم وغنم جسيم وخير كثير و
فوز كبير انتهى والاتقياء جمع تقي وهو المجتنب عن المعاصي وقال الشهاب

الفيومي رجل تقي زكي وقوم اتقياء وتقى يتقي من باب تعب تقاة وتقى
والاسم التقوى واصل التاء واو لكنهم قلبوا انتهى فاصل تقي وقي
قلبت الواو تاء كما في تخمه وتراث

واسمع ندائي

سماع قبول واجابة والا فهو سبحانه سميع لا يشغله صوت عن
صوت ولا شان عن شان وهو الذي يسمع السر والنجوى سواء عنده
الجهر والخفوت والنطق والسكوت فيكون المراد بالسماع الاجابة والقبول
وهو في الاستعمال شائع يقال فلان سامع اي سامع لما يؤمر به كأنما كان
يسمع طاعة وقبول ومنه قوله تعالى واتقوا الله واسمعوا وقال بعض
العلماء واصل السماع الاصغاء لكنهم استعملوه في الاجابة وقبول الامر
كثيرا كما يقول سمع فلان ما قلت له ومنه قولهم سمع القاضي البينة اي قبلها
انتهى ومن هذا القبيل قوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت
بسوء عندهم اذنوا وقول الآخر اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع
خلق الله حين اريد والمشهور في الاسناد الى كونه تعالى سميعا مع
قطع النظر عن علم ضروري من دون تجشم حاسة والدال على كونه سميعا
ان كمال الحي ولا سيما كونه تام كمال التجرد يقتضي ادراك المسموعات
وليس سمعه تعالى من صفات الفعل المتعلقة بالموجود العيني لكونه
حادثا بعد الوجود بل هو من صفات الذات فيكون مما يمكن تعلقه
بالمعدوم كسائر العلوم وبعد وجود المسموع يتعلق به من حيث الوجود
والحضور ولا تفاوت بين حضوره باعتبار الوجود وعدمه فيما يرجع الى
هذه الصفة نعم لما كان هذا النوع من الادراك في الانسان مشروطا
بشرائط لا يتصور في المعدوم لم يكن تعلقه به ولا شرط شيء منه في تعلقه

تعالى فلا يستحيل تعلقه بالمعدوم وقال المحقق الطوسي لما كان السمع و
البصر الطف الحواس واشدها مناسبة للعقل عبر بهما عن العلم ولاجل
ذلك وصفوا الباري تعالى بالسميع والبصير دون الشام والذائق و
اللامس وعنوا بهما العالم **واستجب دعائي** بالمسموعات والمبصرات
اجب واستجب بمعنى ولعله عليه السلم اراد الايماء بذلك الى قوله تعالى
ادعوني استجب لكم وللاجابة شرائط وآداب من طرف الداعي اذا اخل واحد
منها لم يجبه منها اخلاص النية وحضور القلب والاستكانة والخشوع
والصدق والالحاح وحسن الظن بالله وتعلق القلب به وقطعه عن الاسباب
ومن اسبابها الصلوة على رسول الله واهل بيته عليهم السلم فلا ينبغي للداعي
والناس بل الواجب عليه اصلاح سره وحاله ليكون مطابقا لما يقتضي الحكمة
والمصلحة فيجيبه وقد يجيب ويوخر لضرب من المصلحة ولو لم يستجب
يعوضه اما في الدنيا او الآخرة كما اشار الى ذلك [illegible] الدعاء جعلت له [illegible]
في وصيته لابنه الحسن عليهما السلم حيث قال ولا يقنطك ابطاء اجابته
فان العطية على قدر النية وربما اخرت عنك الاجابة ليكون ذلك اعظم
لاجر السائل واجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشيء فلا تؤتاه واوتيت خيرا
منه عاجلا او آجلا او صرف عنك لما هو خير لك فلرب امر قد طلبته فيه هلاك
دينك لو اوتيته فانظر كيف عدد عليه السلم لتأخر الاجابة اسبابا ليطمئن
السائل عند تأخرها فلا يقنط من رحمته تعالى واما ما يقال اي فائدة في الدعاء
لان المطلوب منه ان كان مقدرا وجب وقوعه وقوعه وان لم يدع وان لم
يكن مقدرا امتنع وقوعه وان اكثر فيه دعاءه فجوابه معلوم لانه تعالى اذا قدر
شيئا ان لا يقع الا بالدعاء امتنع وقوعه الا بالدعاء وعدم دعائه دليل على

عدم

عدم كونه مقدرا له وقد جاء في الخبر عن سيد البشر انه سئل النخع في امر
فرغ منه او في امر مستأنف فقال النخع في امر قد فرغ منه وفي امر مستأنف
واما من يقال لا يلزم من دعائه ان يصل اليه ما قدر وصوله اليه بالدعاء
فان الدعاء وحده ليس بسبب موجب بل يحتاج وصوله اليه الى شرائط
كما سبق هذا والدعاء بالضم والمد والنداء متقاربان بل مترادفان لان
الدعاء لغة النداء والاستدعاء تقول دعوت فلانا اذا ناديته و
صحت به لان اصله الصياح والدعوة المرة واصطلاحا طلب الادنى
للفعل من الاعلى على جهة الخضوع والاستكانة وقيل هو الرغبة الى الله
تعالى وطلب الرحمة منه على وجه الاستكانة والخضوع وقد يطلق على
التمجيد والتقديس لما فيه من التعرض للطلب سئل عطاء عن معنى
قول النبي صلى الله عليه وآله خير الدعاء دعائي ودعاء الانبياء من قبلي وهو
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي
لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير وليس هذا دعاء وانما هو التقديس
والتمجيد فقال هذا امية بن الصلت يقول في ابن جدعان اذا اثنى عليك
المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء فيعلم ابن جدعان ما يراد منه بالثناء
عليه ولا يعلم رب العالمين ما يراد منا بالثناء عليه

وحقق بفضلك املي ورجائي

امر من حق بمعنى ثبت اي اجعله محققا مقضيا او من حق الامر بمعنى تحققه ف
فالمقصود حينئذ اجعله متحققا متيقنا بحيث لا يكون مشكوكا في والفضل
الزيادة والسعة واصله ان يحصل من الشيء زيادة لا يحتاج اليه وفضله تعالى
افاضة جوده وكرمه ابتداء من دون سابقة استحقاق فاذا عرف العبد

رحمته وفضله ولطفه ورأفته واحسانه وجوده وامتنانه واجرائه
نعمه عليه ظاهرة وباطنة جليه وخفيه ضروريه وغير ضروريه
منذ كونه جنينا في بطن امه بلا سبق استحقاق ولا تقدم استهلال
كان ذلك موجبا لسكون نفسه اليه لا ضاعلى رجائه ولكد على توقع
قضاء حاجته منه واسعافه بما يؤمله فالحر من جعل ذلك سببا لسؤاله
والامل محركة الرجاء **يا من يرجى لكشف الضر والمأمول** فالحرف لطف تغير
خدعا الداعي للمنعم لانه تعالى يدعو وبه اله من في السموات والارض
كما اشار اليه في كتابه الكريم والكشف وهو المدعو له كالقرب رفع الشيء
عما يواريه ويغطيه وبيان للجرح منع الستر والحجاب عن الشيء ومنه
الكشاف واضافة المصدر الى المفعول اي لكشفه الضر وفيه استعارة
بالكناية ومرشح واستعارة تمثيلية مرشحة بان شبه الهيئة الحاصلة
من احاطة الضر بالمضطر واضطراب احدهما الاخر بالهيئة الحاصلة من
احاطة الستر المستور واضطراب احدهما الاخر ومن اسمائه تعالى كاشف الضر
معناه للفرج الذي يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف عنه السوء والضر
بفتح الضاد خلاف النفع وبالضم الهزال وسوء الحال وضر وضار بمعنى
والاسم الضر والمأمول معطوف على الكشف اي لحصوله وقضائه و
انجاحه فيه اشارة الى انه تعالى يدعو لامرين دفع الضر وجلبا للنفع

لكل عسر ويسر

صعب وسهل او جليل وحقير لانه ينبغي للعاقل ان يرجع في كل حوائجه الى ربه
ويترلها به جليلة كانت او حقيرة ولا يأنف من رفع المحقرات اليه فانه نعم
الموكل عليه لاموسى سل كل ما تحتاج اليه حتى علف شاتك وملح عجينك

والعسر

والعسر ضد اليسر وهو الضيق والشدة والصعوبة فاليسر هو السعة واللين
والسهولة اصبر على طول الحاجة فلا بأس وان اعسرت يوما
فقد ايسرت في دهر طويل ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله اولى
بالجميل وان العسر يتبعه يسار وقول الله اصدق كل قيل اعلم ان
من اسباب اجابة الدعاء ان لا يعتمد الداعي على غير الله تعالى اذا اراد احدكم
ان لا يسئل ربه شيئا الا اعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء
الا من عند الله فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسئله شيئا الا اعطاه يا موسى
سلني ولا تسئل غيري فيحصل مثل الدعاء ومنع الاجابة والى ذلك اشار
بقوله **بك لا بغيرك انزلت حاجتي** لانه ليس
لانجاح بغيتي واسعاف طلبتي فادر سؤالك فتقديم الظرف لافادة التخصيص
والحصر وذلك لانه تعالى المالك له خزائن السموات والارض وكان امرها بيده
لا معطي ولا مانع الا هو وقد امر بالدعاء وتكفل بالاجابة وكان له القدرة
التامة التي لا يعجزها شيء والجود الذي لا يبخل فيه والغنى الذي لا فقر معه لا
ينقصه عطاؤه ولا يضره منع لا جرم من طلب اصلاح حاله وجبر فاقته من عنده
وزوال ضر والفقر عن نفسه به طالبا الحاجة من موضعها الذي يعلم الفاقة
ويسد ما طلبه من جهة التي يقصد منها فكان حريا بالنجح اسال الرحمن ابا
الظفر بالطلب واما من توجه بحاجته الى احد من المخلوقين واتاح مطالبه الرجاء
والطلب في شاخص غير علو مثله او جعله سببا لنجاحها والظفر بها معتمدا عليه
دونه فقد تصدى للمنع وعرض للاحسان منه تعالى اذ لم يات حاجته من الوجه
الذي ينبغي ان ياتيها منه ولم يطلبها من محلها الذي هي فيه وعرض النفس التي
من غير محله واما من غير جهته لم يظفر الا بالحرمان ولم يحصل الا على خيبة المطلب

روى ان ابا عبد الله عليه السلام قرء في بعض الكتب ان الله تعالى يقول
وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن امل كل مؤمل غيري با
لياس ولاكسونّه ثوب المذلة عند الناس ولانحينّه من قربي ولابعدنّه
من وصلي ايؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي ويرجو غيري و
يقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح — لانحينّه نـ
لمن دعاني فمن ذا الذي اتى لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الذي رجاني
لعظيمة فقطعت رجاءه مني جعلت امال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا — املني نـ
بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يمل من تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا
الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته نائبة من
نوائبي انه لا يملك كشفها احد غيري الا من بعد اذني فما لي اراه لاهيا عني
اعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انزعته منه فلم يسألني رده وسأل غيري — انتزعته نـ
افيراني ابدأ بالعطاء قبل المسئلة ثم اسئل فلا اجيب سائلي ابخيل انا فيبخلني
عبدي اوليس الجود والكرم لي اوليس العفو والرحمة بيدي اوليس انا
محل الامال فمن يقطعها دوني افلا يخشى المؤملون ان يؤملوا غيري فلو ان
اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعا ثم اعطيت كل واحد منهم مثل
ما امل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك
انا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني
وفي هذا المعنى احاديث اخرجها العامة والخاصة لا يقال العالم عالم
الاسباب فكيف يذم من رجع الى الغير لجعله سببا لانا نقول الذم اذا
ان ظن مطلوبه واعتمد عليه واما من لم يركن اليه ولم يثق به ولم يعتمد
عليه فالظاهر انه غير مذموم والاولى مع ذلك ان يرجع الى الله تعالى فان شاء

ان يكون قضاء حاجته على يد احد جعله وسيلة له شاء او لم يشأ هذا
ونزل بالمكان حلّ به والمراد بانزال الحاجة به تعالى عرضها عليه والاستعانة
بانجاحها منه فهو على الكناية والترشيح لان الحاجة عرض لا يستقيم النزول
لان الصعود والنزول والحركة والسكون وما شاكلها من صفات الاجسام
فلا يتصف بها الا المتحيز بالذات والغالب ان النزول موصول بالباء وعلى
الحمد لله الذي نزل على عبده الكتاب نزل به الروح الامين على قلبك رب
انزل علينا مائدة من السماء [illegible]
ان الله تعالى ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا اي رحمته والطافه وملئكته
فلعل الوجه ان استعمال النزول معهما انما يكون اذا كان النازل في جهة عالية
والمنزول عليه على خلافها كالقوا الاية والوفا بشواهما اذا كان الامر بالعكس
فلا بد من وصلها بالباء لتدل على نحو من المقاربة حقيقة او حكما ومنه
نزل بك وانت خير منزول به والا فليس له تعالى منزل ومكان ليتصور النزول
به حقيقة فهو مجاز عن القرب الحاصل بالتبتل والانقطاع عن غيره اليه و
التوكل عليه او هو مبني على الكناية والترشيح بتشبيهه تعالى عن ذلك بعظيم
تشد اليه الرحال وينزل عليه الرجال ولما حصل طريقا نجاح مطالبه و
مسائله قاضيه مسائله وطاردته عليه تعالى وهو جل ذكره كريم
ينبغي له ان يرد الطالب والسائل عن بابه خائبا كيف وقد قال في كتابه
العزيز واما السائل فلا تنهر فوقع عليه معول له عليه

فلا تردني من رغبتي مواهبك خائبا

السني فعيل من السناء وهو الرفعة ومنه برق سني بالسناء اي بالرفعة
المنزلة والقدر عند الله تعالى وقد يسمى السني سناء ايضا نعم واما السني

بالبصر وهو الضوء اي من مواهبك الرفيعة في الاصال من ابن جرير
والهبة العطية الخالية عن الاعواض يقال وهبت له شيئا وهبا وهبة
والاسم الموهب والموهبة بالكسر وخائبا حال عن ضمير المفعول وقد مر
الخيبة مفسرة والظرف مع المضاف اليه متعلق به اي لا ترجعني خائبا
من عطاياك السنية وعن الباقر عليه السلام ما بسط عبد يده الى الله عز وجل
الا استحيى الله ان يردها صفرا حتى يجعل فيها من فضله ورحمته ما يشاء
فاذا دعا احدكم فلا يرد يده حتى يمسح بها على راسه ووجهه وفي خبر اخر
عليهم السلام ولم ترجع يد طالبة صفرا من عطائك وخائبة من نحل هباتك

يا كريم يا كريم يا كريم

ثلاثا قيل اذا عين ذكر بعدد مخصوص فلا ينبغي ان يتجاوز الداعي العدد
المنصوص عليه ولا ينقص منه فان الظاهر ان الثواب والاثر المترتب على
عدد معين لا يترتب على الكثرة او القلة وبه صرح ابن طاوس وغيره وقد قال
العلامة اذا قيل لك ان صادق القول عد من هذا المقام عشرا ادرج فيها اثنين
كان في مكرر فلا شبهة في انه لا يمكن تحصيله فيما فوق العشرة ولا دونها
انتهى والكريم يطلق على ضد اللئيم ويطلق على الجواد وهو المراد هنا قال
ابن الاثير من اسمائه تعالى الكريم وهو الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه
ولما كان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته لم يخيب سائلا عن حاجة
ان عظم خطره وجل قدره اذ لا اثر للنقصان في خزائن ملكه وعموم جوده
بل جوده في مشيته وكرمه غير محدود وحكى ابو القاسم القشيري قال كنت
على حلقة الشبلي في جامع المدينة فوقف سائل على حلقته وجعل يقول يا الله
يا جواد فتأوه الشبلي وصاح فقال كيف يمكنني ان اصف الحق بالجود ومخلوق

يقول في مثله * تعود بسط الكف حتى لو انه * ثناها لقبض لم تطعه انامله
تراه اذا ما جئته متهللا * كانك تعطيه الذي انت سائله * ولو لم يكن
في كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله * هو البحر من اي النواحي اتيته
فلجته المعروف والبر ساحله * ثم بكى وقال بلى يا جواد انت الجواد فانك
اوجدت تلك الجوارح وبسطت تلك الهمم ثم مننت بعد ذلك على قوم
بالاستغناء عنهم وعما في ايديهم فانت الجواد كل الجواد فانهم يعطون
عن محدود وعطاؤك لا حد له ويقصرون اذا اعطوا ولا تقتر من
العطاء ولا تعجز عن الجزاء فيا جوادا يعلو كل جواد وبه جاد كل من جاد
والكثير الخير ونخلة كريمة اذا طاب حملها او كثر والعرب تسمي الذي
يدوم ويسهل نائله كريما وكرمه تعالى انه يبتدئ بالنعمة من غير
استحقاق ويغفر الذنوب ويعفو عن المسيء وقيل الكريم المعبود وقيل
انه الصفوح وقيل معناه العلي الرتبة ومنه كرائم المواشي لنفاستها
وقال الواحدي الكريم اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن في بابه فالله تعالى
كريم لانه محمود في كل ما يحتاج اليه والقرآن كريم لانه
يوجد فيه بيان كل شيء اولئك لهم مغفرة ورزق كريم هو نعيم الجنة
المقرون بالدوام واللذة وقيل الكريم العزيز كما تقول فلان اكرم على من فلان
اي اعز وقوله تعالى انه لقرآن كريم اي عزيز وقيل اي كثير الخير دال على انه
من عند الله والجواد هو المنعم المحسن الكثير الانعام والاحسان والفرق
بينهما ان الكريم هو الذي يعطي مع السؤال والجواد هو الذي يعطي من
غير السؤال وقيل بالعكس والمراد بكرمه تعالى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع
وتعويق على كل من يقبل لان يقبله بقدر ما يقبله وهذا من باب يعلو الاسم

ليدل على قلبه وذلك انه تعالى لما كان كريما والكريم اذا وعد وفى وهو
سبحانه قد وعد لاجابة الدعاء فقال استجب لكم فلنسأل الله بوجهه الكريم
وفضله الجسيم ان يديم سائله من عطائه العميم واحسانه العظيم فلا يردنا من منح
مواهبك برحمتك يا ارحم الراحمين يا كريم
الذى سبقت رحمته غضبه وهو الذى كتب على نفسه الرحمة والباء
للاستعطاف والسببية اى فلا تردنا خائبا بسبب رحمتك التى وسعت
كل شئ لا باستحقاق منى وتعقيبا للدعاء بهذا النداء توقعا لحصول
الطلب واستعطافا بوصفه الدال على انه الجواد المطلق الذى لا يرجو
لمنفعة تعود اليه ولا مضرة يدفعها عنه وكل رحيم سواه فرحمته
لغرض من الاغراض اما ثناء دنيويا واجرا اخرويا او للرقة الناشية من
الجنسية او نحو ذلك على ان تلك الرحمة ايضا تتوقف على داعية
يخلقها الله تعالى والآفات والآلام التى نراها فى هذا العالم
لا تنافى رحمته تعالى لان كلها مستتبعة لمصالح وغايات لا يعلمها
الا هو ولانها ضرورية فى الوجود لاشتمالها على خيرات اكثر من
الشرور ومما يناسب ايراده هنا ما رواه بعضهم انه اوقف على
صبى فى بعض الغزوات ينادى عليه بمن يزيد فى يوم صائف شديد
الحر فبصرت به امرأة وهو ينادى عليه فعادت مسرعة اليه واخذته
والصقته الى بطنها ثم القت ظهرها على البطحاء واجلسته على بطنها تقيه
الحر تقول ابنى ابنى فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه
وآله حتى وقف عليهم فاخبروه فقال اعجبتم من رحمة هذه ابنها ان الله
ارحم بكم من هذه بابنها فتفرق المسلمون وهم فرحون مستبشرون وقد

انه سبحانه لما نفخ فى آدم من روحه وصار بشرا فعندما استوى جالسا
عطس فالهم ان قال الحمد لله رب العالمين فقال الله تبارك وتعالى يرحمك الله يا آدم
فكان اول خطاب توجه منه اليه بالرحمة وحين ارسل موسى الى فرعون [illegible]
قال له اخبره انى الى العفو والمغفرة اسرع منى الى الغضب والعقوبة وروى
انه لما استغاث بموسى حين ادركه الغرق ولم يستغث بالله فاوحى اليه يا موسى
لم تغث فرعون لانك لم تخلقه لو استغاث بى لاغثته وروى ان يونس
ابن متى لما صار الى البحر الذى فيه قارون قال الملك الموكل به ما هذا الدوى
والهول الذى اسمعه قال هذا يونس الذى حبسه الله فى بطن الحوت
فجالت به البحار السبعة حتى صار الى هذا البحر فهذا الدوى لمكانه
قال افتاذن لى فى كلامه فقال قد اذنت لك فقال له قارون ان توبتى
جعلت الى موسى وقد تبت اليه فلم تقبل وانت لو تبت الى الله لوجدته
عند اول قدم ترجع بها اليه وانظر الى حسن صيغة العبادة وكيف
تعلقت عنايته بالاحسان اليهم والرحمة لهم والرحمة النعمة وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين اى نعمة عليهم ويقال للقرآن رحمة
وللغيث رحمة اى نعمة ويقال الرحم القلب من الخلق رحيم لكثرة وجود
الرحمة منه بسبب الرقة واقلها الدعاء للمرحوم والتوجع له واطلاق
الرحم عليه تعالى وعلى غيره انما هو من باب الاشتراك اللفظى اذ لا شركة
بينه وبين غيره فى المعنى اصلا فان رحمته تعالى تناسب ذاته المقدسة
ورحمة غيره رقة انعطاف تقتضى الشفقة واللطف بالخلق وليست فى
حقه تعالى بمعنى الرقة بل معناها ايجاد النعمة للمرحوم وكشف البلوى عنه
لانه ذو الرحمة الشاملة التى وسعت الخلق فى ارزاقهم واسباب

معاشهم ومعادهم المؤمن والكافر والصالح والطالح وغيرهم من المو
الموجودات خذ الغايات واخذ المبادي وقد مرت في فواتح ا
الدعاء مبسوطة مشروحة وصلى الله على خير خلقه سيدنا سيد ولد ادم
بل ادم ومن دونه تحت لوائه بل كان نبيا وادم بين الماء والطين وهو ا
المشرف بخطاب لولاك لما خلقت الافلاك وفي اضافة الصيغة المفيدة
للعموم دلالة على انه اشرف المخلوقات واكمل الموجودات وهو كذلك
لقوله انا سيد من خلق الله وقوله تعالى خلقت الاشياء لاجلك و
خلقتك لاجلي ولانه من تشرف بصفات الله وصار مظهر جلاله و
جماله وقد تقرر في مقره انا اول خلق الله اشد مناسبة بذاته اذ لا وا
بينه وبين خالقه واما استدلال صاحب الكشاف بكريمة انه
لقول رسول كريم على افضلية جبرئيل منه صلى الله عليه واله حيث
قال ودنا منك بعداد ليدل على جلالة مكانة جبرئيل وفضله على الملائكة
ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد اذا وازن بين الذكرين حين قرن
بينهما وفاوت بين قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ففيه انه تعالى لم يبالغ
في هذا المكان عن ذكر نعوته اما لكونه اجل من ان يمدح في عرض مدح غيره وان
كان جبرئيل او لان المخاطبين بهذه الاية لما زعموا انه مجنون وان القران
مما القاه الشياطين الى الكهنة اقتضى المقام ان لا ينعته بصفات الكمال
لئلا يزيدهم انكارا ولذا اخرج الكلام على طريق التلطف بهم والمداراة معهم
حيث اضيف صلى الله عليه واله الى انفسهم وعد من جملتهم تنبيها على ان
شانكم ان تفتخروا به على كافة البرايا حيث ان الله اصطفى من انفسكم من

بلغ تلك المرتبة العظمى لان تنسبوه الى ما يرجع اليكم نقصا وتسلب عنكم عز
هذا وهذا الكلام منه عليه السلام خبر وقع موقع الانشاء اما التعبير بلفظ
الماضي على انه من الامور الحاصلة التي حقها ان تخبر بافعال ماضية او للاظها
الحرص في وقوعه لان الطالب اذا عظمت رغبته في شيء كثر تصوره له
فربما يخيل اليه حاصلا فيورده بلفظ الماضي وهذا معنى قولهم ان الدعاء
بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الامرين وروى ابن المغازلي عن سلمة ابن كهيل
قال مر علي ابن ابي طالب على رسول الله ص وعنده عائشة فقال يا عائشة اذا
سرك ان تنظري الى سيد العرب فانظري الى علي ابن ابي طالب فقالت انت
سيد العرب فقال انا امام المسلمين وسيد المتقين واذا سرك ان تنظري
الى سيد العرب فانظري الى علي ابن ابي طالب وعن سعيد ابن جبير عن عائشة
قال اقبل علي ابن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه واله من سره ان ينظر الى
شباب العرب فلينظر الى علي ابن ابي طالب فقالت الست شباب العرب
فقال انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب وفي رواية اخرى قال رسول الله
انتهيت ليلة اسري بي الى سدرة المنتهى فاوحي الي في علي ثلث انه امام
المتقين وسيد المرسلين وقائد الغر المحجلين الى جنات النعيم والسيد عند بعض
اهل اللغة المسن من المعز قال الجوهري وفي الحديث عنه صلى الله عليه واله
ثني من الضان خير من سيد المعز وقد يقال للملك القوم وعظيمهم سيد
وساد فلان قومه يسودهم سوددا بالضم وسيادة اذا صار رئيسهم وقال الكر
السيد الذي يفوق في الخير قومه وقال بعض اهل اللغة السيد المالك الذي في
حكمه الذي يجب طاعته ولذا يقال سيد الغلام ولا يقال سيد الثوب
وقيل لقيس ابن عاصم بم سدت قومك قال ببذل الندى وكف الاذى
وقال النبي صلى الله عليه واله علي سيد العرب فقالت عائشة يا رسول الله

الست سيد العرب فقال انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب فقالت
وما السيد قال من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي فعلى هذا الحديث
السيد هو الملك الواجب الطاعة وقد يطلق السيد على الرب والشريف
والفاضل والكريم والحليم والمتحمل اذى قومه والمقدم والزوج ومنه
الفيا سيدها لدى الباب واصله سيود قلبت الواو لاجل اليا الساكنة
قبلها يا. ثم ادعت محمد وآله الطاهرين بتطهير الله اياهم من كل رذيلة
واذهابه عنهم دنس كل كبيرة وصغيرة والطهارة النقاء من الدنس والنجس و
الطاهر النقي منهما وفي اصطلاح ارباب العرفان الطاهر من عصمه الله عن
المخالفات وهو ينقسم الى طاهر الظاهر وهو من عصمه الله عن المعاصي
والى طاهر الباطن وهو من عصمه الله عن الوساوس والهواجس وطاهر السر
وهو من لا يذهل عن الله طرفة عين وطاهر السر والعلانية وهو من قام بتوفية
حقوق الحق والخلق جميعا لسعته برعاية الجانبين ولا اخفا في ان المراد به هنا
ما يعم جميع هذه الاقسام وهذه النعوت لهم عليهم السلام عين الحق و
نفس الواقع كيف لا وهم الذين قال الله تعالى في شانهم انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وما احسن واصدق ما
قال الجاحظ فيهم هم سنام العالم وصفوة الامم وغرة العرب ولباب
البشر ومصاص بني ادم وزينة الدنيا وحلية الدهر وطينة البيضاء والغرس
المبارك والنصاب الوثيق ومعدن المكارم وينبوع الفضائل واعلام العلم
وايمان الايمان صلوات الله عليهم اجمعين واما قول القاضي البيضاوي
وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما لما روي انه
عليه السلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس
فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن

والحسين

والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف
لان التخصيص لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل
البيت لا انه ليس غيرهم فضعيف اما الاول فلان القران انما نزل على الاسلوب
المنطوية عليها لغة العرب لقوله قرانا عربيا ومن عادة فصحائهم وبلغائهم
في كلامهم انهم يذهبون من خطاب الى خطاب ثم يعودون اليه ومن ذلك
ما وقع لامرء القيس الشاعر من الفصل بين لذتي الحرب والبوس بلذة الدعة في قوله
كاني لم اركب جوادا للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال ولم اسبأ الزق الروي
ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال فيفصل بين لذتي الحرب والبوس وهما قوله
كاني لم اركب وقوله لم اقل لخيلي بلذة الدعة وهي قوله ولم اتبطن كاعبا ذات
خلخال الى قوله الروي من غير ضرورة داعية من محافظة على وزن او قافية اذ كان
له ان يقول كاني لم اركب جوادا ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال ولم اسبأ
الزق الروي للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال فكون ما قبل الاية وما بعدها
في ازواج النبي لا يمنع كون وسطها فيهم اذ الخروج من حكم الى اخر في القران
كثير جدا فكثيرا ما ينزل الاية اولها في شيء ووسطها في شيء اخر واخرها في
ولو اريد بالوسط النساء لقيل عنكن ويطهركن دون عنكم ويطهركم فهذا
قرينة على المراد والقول بالتغليب سيظهر ضعفه واما الثاني فلما قال ابو
سعيد الخدري وانس بن مالك ووائلة بن الاسقع وعائشة وام سلمة
وغيرهم ان الاية مختصة برسول الله وعلي وفاطمة وابنيهما عليهم السلام
وقول النبي في جواب ام سلمة ادخلني معك ومعهم في الكساء انت بخير
والى خير وانما انزلت هذه الاية في هؤلاء خاصة وفي ناحية الباب فخ

تفسير الثعلبي عن ام سلمة ان النبي كان في بيتها فاتته فاطمة ببرمة فيها
حريرة فقال لها ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا
فجلسوا ياكلون من تلك الحريرة وهو وهم على منام واحد له على وكان تحته
كساء خيبري قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله تعالى انما يريد الله ليذهب
الاية فاخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى السماء
ثم قال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا فادخلت راسي البيت فقلت وانا معكم قال انك الى خير وايضا
قال جميع دخلت امي على عائشة فسألتها امي ارايت خروجك يوم الجمل قالت
انها كانت قدرا من الله فسألتها عن علي فقالت تسألني عن احب الناس
كان الى رسول الله وزوج احب الناس كان الى رسول الله لقد رايت
عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فجمع رسول الله بثوب عليهم ثم قال اللهم ان هؤلاء
اهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فقلت يا رسول
الله انا من اهلك قال تنحي انك الى خير وروى الترمذي في الجامع عن عمر بن ابي سلمة
ربيب رسول الله صلعم قال نزلت انما يريد الله ليذهب الخ في بيت ام سلمة فدعا النبي
فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال هؤلاء اهل بيتي فاذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت ام سلمة وانا معهم يا رسول الله قال انت على مكانك
وانت على خير وفي رواية شهر بن حوشب فرفعت الكساء لادخل تحته معهم فجذبه
من يدي وقال انك على خير وفي رواية اخرى فقالت زينب يا رسول الله لا ادخل معكم
فقال رسول الله صلعم مكانك فانك الى خير ان شاء الله وفي صحيح ابي داود السجستاني في
كتاب السنن قالت ام سلمة وانا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله الست من اهل البيت
فقال انك الى خير انك من ازواج النبي هذه وامثالها الكثيرة الواردة في طريق

القاضي تقتضي بكونهم المراد باهل البيت دون غيرهم من ازواج النبي ونسائه
المذكورات بما قبل الاية وما بعدها وبالجملة ما ذكروه واحتملوه من التغليب
وكون الاية تعليلا لامرهن وحثهن على الاستيناف ومن كون الحكم عاما و
تخصيص الشيعة اهل البيت بهؤلاء والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم
حجة ضعيفا الى اخر ذلك كلام في مقابل النص الصحيح والبيان الصريح الواردين
في الطريقين فلا يسمع ذلك منهم نعم لو كان لم يرد الروايات الصحيحة من الجانبين في
بيانها لكان لما ذكروه واحتملوه وجه واذ قد ثبت ان المراد باهل البيت في الاية
هؤلاء المذكورون ثبت ان اجماعهم بل قول كل منهم حجة لان اذهاب
الرجس ووقوع التطهير يستلزم عدم العصيان والمخالفة لاوامر الله ونواهيه
فوقوع الخطاء منهم مامون فالاقتداء والاخذ لقولهم وفعلهم وتقريرهم دين
من لم يؤمن فيعوطه منه ونطرق الرجس اليه واجب ومن العجب ان هذا
القاضي يحيى في حكم يقتضي على خلاف ما ورد عليه من طرقه فيذكر عنه ما
يقبل التاويل الى ما يطابق دينه وهواه ويوافق مذهبه واشتهاه
ويترك او يتناسى مما هو نص بالباب والله يهدي من يشاء الى الصراط
السوي والطريق الصواب ولنذكر نبذا مما ورد على ذلك في طريق الشيعة
ففي كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سليم بن قيس الهلالي
عن صاحب الذي [illegible] انه قال في اثناء كلام له وجمع من المهاجرين
والانصار في المسجد في ايام خلافة عثمان ايها الناس اتعلمون ان الله
عز وجل انزل في كتابه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و
يطهركم تطهيرا فجمعني وفاطمة وابني حسنا وحسينا والقى علينا كساء
وقال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي ولحمتي يؤلمني ما يؤلمهم ويحرجني ما

بحرمتهم فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة وانا يا رسول
الله فقال انت والى خير انما انزلت فيّ وفي اخي وفي ابنتي وفي ابنيّ وفي
تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها لاحد غيرنا فقالوا كلهم
نشهد ان ام سلمة حدثتنا بذلك فسألنا رسول الله صلى الله عليه واله فحدثنا
كما حدثتنا ام سلمة وفي علل الشرايع باسناده الى عبد الرحمن بن كثير
قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ما عنى الله عز وجل بقوله انما يريد الله
ليذهب الاية قال نزلت هذه الاية في النبي وامير المؤمنين وفاطمة و
الحسن والحسين عليهم السلم فلما قبض الله نبيه كان امير المؤمنين ثم
الحسن ثم الحسين ثم وقع تاويل هذه الاية واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض في كتاب الله وكان علي بن الحسين ثم جرت في الائمة من ولده الاوصياء
فطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله عز وجل وفي الاحتجاج عن
علي بن الحسين عليهما السلام في حديث طويل يقول فيه لبعض الشاميين فهل
تجد لنا في سورة الاحزاب حقا خاصة دون المسلمين فقال لا قال عليه السلام
اما قرات هذه الاية انما يريد الله الاية والاخبار في ذلك من الطريقين اكثر من ان
تحصى وفيما اوردنا كفاية لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومنه
يظهر ان العصمة وان كانت من الامور الممكنة الحصول في غيرهم الا انها
في هذه الامة انحصرت فيهم وخصت بهم واليه يشير قول صاحب التجريد ولو
العصمة وانتفائها عن غيرهم وفي معاني الاخبار عن علي بن الحسين
عليهما السلام الامام منا لا يكون الا معصوما وليست العصمة في
ظاهر الخلقة فيعرف بها فلذلك لا يكون الا منصوصا وفي مجمع البيان
استدلت الشيعة باختصاص الاية بهولاء الخمسة بان قالوا ان الاية

ما يذكر بعده ونحو ما سواه واذا ثبت هذا فالارادة في الاية اما ارادة محضة
او ارادة يتبعها التطهير واذهاب الرجس لا سبيل الى الاول لانه تعالى
قد اراد من كل مكلف هذه الارادة المطلقة فلا اختصاص لها باهل البيت ع
لان هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم ولا مدح في الارادة المجردة
فثبت الثاني وفي ثبوته عصمة المعنيين بالاية من جميع القبائح وقد
علمنا ان من عدا من ذكرنا من اهل البيت غير مقطوع على عصمته فثبت
ان الاية مختصة بهم انتهى ولعل السبب في ذلك الاختصاص علو الله
لقبول المحل له دون غيره واليه يشير قوله الله يعلم حيث يجعل رسالته ويجوز
ان يكون ذلك من انفسهم بحيث لا يختارون المعصية مع قدرتهم عليها
بوفور عقلهم وكثرة علومهم وعدا وتهمهم على التفكر والنظر وملازمتهم
على الطاعات ومواظبتهم على العبادات والحاصل انهم من حيث هم بشر
متعلقون بجلابيب ابدانهم البشرية وقوالبهم الناسوتية وان كانوا مائلين
الى الغالب والامور الدنية وما هو من مقتضى الطبيعة النوعية واللوازم البشرية
الا انه حصل لهم بطهارة انفسهم القدسية وكمالها في نفسها بثبات قوتها
الفكرية واستقامة وجهها منقادا تحت حكم العقل سواء في ذلك صغيرهم و
كبيرهم لما ثبت من امامة الجواد والقائم عليهما السلام بالسنة المتواترة القاطعة
في حد الصبا من العناية الازلية ما يمنعهم عن ذلك لمحبة عالم القدس والتشبه
بالمبادي العالية والملائكة المقربين والتخلق باخلاق الله رب العالمين ومعنى
قولهم العصمة لطف يفعله الله بالمكلف بحيث لا يكون له داع الى
ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك وامكان صدوره
خلافهما عنه وبالجملة المعصومون من البشر لهم جهتان ناسوتية ولاهوتية

فالاولى يقع عليهم ما يقع على غيرهم من الاحوال المشتركة واللوازم البشرية كا
كالاكل والشرب والنوم والحركة وغيرها من التناكح والتناسل وما ثبت بمجرد
قوى انفسهم المتضادة واهوائها المتنازعة المتداعية الى الشرور والغرور و
بذلك يكونون افضل من الملائكة اذ لهم امور مضادة للقوة العقلية وشواغل
من الطاعات العملية كالشهوة والغضب وسائر الحاجات الشاغلة والموانع الخارجة
والداخلة وللمواظبة على الطاعات وللمداومة على العبادات تحصيل الكمالات
بالقهر والغلبة على ما يضاد القوة العقلية يكون احمز والاحمز في استحقاق الثواب
ولا معنى للافضلية الا زيادة استحقاق الكرامة والثواب وقد سبق ان اهل
الجنة انما تحصل بدوام الفكر وقصر النظر في نعوت كماله وصفات جلاله و
وحقايق مصنوعاته وخواص مبدعاته وبالجملة التبتل عن دار الغرور والتوصل
الى عالم النور واليه يشير قول [illegible] الدعاء جعلت له الفداء وقد سأله اعرابي
بم نلت ما نلت فقعدت على باب قلبي فلم ادع ان يدخله سوى الله عليه ومن الصلوة
افضلها ومن التحيات اكملها ثم نعقب وشرط عليه السلام الدعاء لنفسه بالدعاء
للنبي صلى الله عليه وآله لوجوه احدها انه من اعظم اسباب اجابة الدعاء
فيكون الدعاء معه اقرب الى محل الاجابة حيث وقع بين المستجابين فانه سبحانه
اكرم من ان يقبل الطرفين ويرد الوسط قال الصادق عليه السلم من كانت
له الى الله حاجة فليبدأ بالصلوة على محمد وآله ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلوة
على محمد وآله فان الله عز وجل اكرم من ان يقبل الطرفين ويدع الوسط اذا كانت
الصلوة على محمد وآله لا تحجب عنه وعن صاحب الدعاء عليه صلوات الله ما
دامت الارض والسماء اذا كانت لك الى الله حاجة فابدأ بمسألة الصلوة على
النبي ثم سل حاجتك فان الله اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احديهما ويمنع الاخرى

وذلك

وذلك ان من باع امتعة صفقة واحدة فان المشتري لا يسوغ له اخذ
الصحيح ورد المعيب بل اما يرد الجميع او يقبل الجميع فههنا الداعي مزج لنفسه
بدعاء غيره من النبي وعرض الجميع صفقة واحدة على حضرة ذي الجلال و
الاكرام فهو سبحانه اجل واكرم من ان يرد المعيب ويقبل الصحيح كيف
وقد نهى عن ذلك عباده ولا يليق بكرمه جل شانه رد الجميع لان بعضه مقبول
البتة فلم يبق الا قبول الجميع وفيه المطلوب الثاني ان النبي وآله عليهم السلام
وسائط بين الله سبحانه وبين عباده في قضاء حوائجهم ونجاح مطالبهم وهم ابواب
معرفته عز وجل فلا بد من التوصل بذكرهم في عرض الدعاء عليه وقبوله لديه
وذلك كما اذا اراد احد من الرعية اظهار حاجته على السلطان توسل بمن
بطانته ولا يرد قوله وعن سلمان المحمدي صلى الله عليه وآله قال سمعت محمدا
يقول ان الله عز وجل يقول يا عبادي اوليس من له اليكم حوائج كبار لا تجودون
بها الا ان يتحمل عليكم باحب الخلق اليكم تقضونها كرامة لشفيعهم الا فاعلموا
ان اكرم الخلق علي وافضلهم لدي محمد واخوه علي ومن بعده من الائمة هم
الوسائل الى الله الا فليدعني من همته حاجة يريد نفعها او دهته داهية
يريد كشف ضررها بمحمد وآله الطيبين الطاهرين اقضها له باحسن ما يقضيها
من تستشفعون باعز الخلق عليه فقال له قوم من المشركين والمنافقين وهم
وهم مستهزؤن به يا ابا عبد الله فما لك لا تقترح على الله سبحانه بهم عليهم
السلام ان يجعلك اغنى اهل المدينة فقال سلمان دعوت الله وسألته ما هو
اجل وانفع وافضل من ملك الدنيا باسرها سألته بهم صلى الله عليهم ان يهب لي
لسانا ذاكرا لتحميده وثنائه وقلبا شاكرا لآلائه وبدنا على الدواهي الداهية
صابرا وهو عز وجل قد اجابني الى ذلك وهو افضل من ملك الدنيا بحذافيرها

وما تشتمل عليهما من خزائنهما ما ثمه الفائقة مرة قد الصادق عليه السلم لا يزال
الدعاء محجوبا حتى يصلى على محمد وآله وعنه عليه السلم من دعا ولم يذكر النبي
رفوف الدعاء على رأسه فاذا ذكر النبي رفع الدعاء أقول انه صلى الله عليه وآله
معتوبه لامته من حيث الشفقة والنصيحة فحق الدعاء له على كل احد من امته
قضاء لحق تعليمه واداء لواجب تعظيمه وتكريمه وفي الحديث انا وعلي ابوا
هذه الامة وقد ثبت عند ارباب الحجى انه صلى الله عليه وآله ابو
الارواح كما ان آدم ابو الاجسام وقال بعض اصحابنا المتاخرين ان الارواح كلها
مخلوقة من روح واحدة هي روح النبي ص ونفخة اصل الارواح فكما ان آدم كان
ابا البشر وخليفة الله في الارض كان النبي ابا الارواح وخليفة الله في عالم الارواح
فالروح خليفته ويجمع صفاته تعالى الذاتية كالعلم والحيوة والقدرة والارادة
والسمع والبصر والكلام والبقاء والجسد خليفة الروح وهو مجمع صفاتها الفعلية
وذلك ان الله تعالى اول ما خلق روح النبي كان الله ولم يكن معه شيء او حتى يضاف
اليه الروح غير الله بل كان روحه اول شيء تعلقت به القدرة الازلية ولذلك
شرفه تشريفا لاضافة الى نفسه وهو روح النبي كما قال واذا سويته ونفخت فيه
من روحي ولم يقل نفخت فيه روحي بل من ليكون فيه دلالة على ان الروح
المنفوخ في آدم هو بعينه روح النبي ص بل كان روح آدم متولدا منه فالنبي
الاب الروحاني للبشر وسائر الانبياء وابو البشر الاب الجسماني للنبي وسائر
البشر كما قال ولي وان كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بابوتي وكذلك
ارواح اولاد آدم مخلوقة من روح النبي ص لقوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء
مهين ونفخ فيه من روحه وكذا قال في حق روح عيسى فنفخنا فيه من روحنا
فكانت النفخة لجبرئيل والروح من روح النبي ص المضاف الى الحضرة الالهية ولاجل

كون حقيقة الروح على هذه المنزلة والشرف قصرت افهام الناس وملائكة العقول
عن دركها كما تتلاشى انوار الابصار في شعاع الشمس ولهذا قال الله تعالى وما
اوتيتم من العلم الا قليلا فافهم هذا المقال فانه مدرك عزيز المنال انتهى كلامه
ثم نفعه عميم ما تضمنه الدعاء من الاعتراف بالذنوب والمعاصي والاقرار بالخطايا
والسيئات والمساوي مع عصمة صاحب الدعاء وطهارته كما سبق محمول اما على
تاديب الرعية وتعليمهم كيفية الاقرار والاعتراف بالتقصير والذنوب و
الاستغفار منها والتوبة منها او على التواضع والاعتراف بالعبودية و
ان البشر في مظنة المعصية وليسوا كالملائكة الذين لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون و يؤيده ما روي عن صاحب الدعاء انه جعل له الفداء
مر بقوم من اخلاط المسلمين ليس فيهم مهاجري ولا انصاري وهم قعود في بعض المساجد
في اول يوم من شعبان واذا هم يخوضون في امر القدر وغيره مما اختلف فيه الناس
قد ارتفعت اصواتهم واشتد فيه جدالهم فوقف عليهم فسلم فردوا عليه ووسعوا
له وقاموا اليه يسألونه القعود اليهم فلم يحفل بهم ثم قال لهم وناداهم يا معشر المتكلمين الم تعلموا
ان لله عبادا اسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وانهم الفصحاء العقلاء الالباء
العالمون بالله واياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انكسرت السنتهم وانقطعت
افئدتهم وطاشت عقولهم وتاهت حلومهم اعزازا لله واعظاما واجلالا فاذا افاقوا
من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم مع الظالمين والخاطئين
وانهم براء من المقصرين والمفرطين الا انهم لا يرضون لله بالقليل ولا يستكثرون
لله الكثير ولا يدلون عليه بالاعمال فهم اذا رايتهم مهيمون مروعون خائفون مشفقون
وجلون فاين انتم منهم يا معشر المبتدعين الم تعلموا ان اعلم الناس بالضرر اسكتهم
عنه وان اجهل الناس بالضرر انطقهم فيه وله مويدا ناخر يمنعني من ايراده لحق



الطويل فاكتفيت منه بذكر هذا القدر القليل والله الهادي الى سواء
جعلنا الله واياكم من العالمين بالقدر والساكتين عنه وخاصة عن امر
القدر فانه من مزالق الاقدام والخائض فيه لا يخلو عن الخطر ولذا نهى عنه
رسول الله وعترته المعصومون سادات البشر عليه وعليهم صلوات الله و
سلامه ما بزغت الشمس والقمر والحمد لله على الاتمام والصلوة على رسوله و
اله البررة الكرام خير البرية واشرف

كتبه العبد ابن محمد رضا عبد ...



